

مَوْهُو سَعْمَا
لَا مُؤَامِدُ الْمُؤْمِنِينَ

عَلَى رَحْمَةِ طَالِبِ

الجزء السابع و الثامن

فَأَلْفَتْ
بِأَفْشَرِ نَفْسٍ أَلْفَتْ



لَقَدْ نَزَّلْنَا
الْقُرْآنَ
عَلَى رَحْمَةٍ
وَأَذَانٍ



مَوْصُوِّعَةً
لِأَيَّامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

الْمَجْمُوعُ السَّابِعُ

مِنْ بَهْرٍ ثَمَرٍ

الْعِلْمُ وَالْتَعْلِيمُ وَالْمُغَيَّبَاتُ

تَأَلَّفَ

بِإِشْرَافِ الرَّهْتَنِ ثَمَرٍ





مَوْسُوْعَةُ الْأَيَّامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ

تأليف: العلامة الشيخ

ميرزا محمد باقر

الناشر: مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية

المطبعة: دار الحسينين عليه السلام للطباعة والنشر

الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م

عدد النسخ: ٢٠٠٠ نسخة

مقوق الطبع والنشر محفوظة للنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾

البقرة: ٢٤٧

﴿وَمَا أَوْتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

الإسراء: ٨٥

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾

آل عمران: ٤٤

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ

وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِّن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾

آل عمران: ١٧٩

﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ

مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾

هود: ٤٩



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

فَتْرَةٌ

أما الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فهو رائد النهضة الفكرية والعلمية في دنيا الإسلام ، والعقل المفكر في عالم الإنسانية ، الذي استوعب أسرار الكون ودقائق الموجودات بذاتياتها وجنسها وفصلها وغوامض محتوياتها ، كما أحاط بما يتحقق من بعده على مسرح الحياة من أحداث وشؤون أسماها العلماء بالملاحم والمغيبات ، وقد استمد ذلك كله من أخيه وابن عمه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ، فقد غذاه بمواهبه وعبقرياته ، وأفاض عليه معارفه وعلومه ليكون امتداداً لوجوده ومبلغاً لرسالته ، تلك الرسالة العظمى التي غيرت مجرى التاريخ ، وأضاءت سماء الكون بما تحمله من القيم والمبادئ التي لم تعرفها الإنسانية من قبل ، فكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو الذي وعاه ، وانطبعت في دخائل نفسه فكان هو الأمين عليها ، والمبلغ لها من بعد الرسول صلى الله عليه وآله .

ويعرض هذا الجزء من الموسوعة إلى فضل العلم والحث على تعلمه ، وإلى بعض العلوم التي فتقها وأتسها ، كما يتعرض إلى كوكبة من الملاحم والمغيبات التي أخبر عنها ، راجياً من الله تعالى أن أكون قد واكبت الحق وسايرت بدقة وأمانة سيرة هذا الإمام الملهم العظيم الذي هو نسخة من التقوى والمواهب لا ثاني لها في تاريخ عظماء الإنسانية سوى الرسول محمد صلى الله عليه وآله . . . إنه تعالى ولي التوفيق

الجنت لأشرف

قريشرف



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الْعِلْمُ وَالْتَعْلِيمُ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

ومن أهم البرامج السياسية في حكومة الإمام عليه السلام نشر التعليم ، ومحو الأمية ، وإشاعة العلم بين الناس فقد اتخذ جامع الكوفة مدرسة ومعهداً لإلقاء محاضراته العلمية وقيمه الفكرية ، والتي كان منها الدعوة إلى الله تعالى ، وإظهار فلسفة التوحيد وإقامة الإيمان بالله تعالى على ضوء الأدلة العلمية العاسمة التي لا تقبل الجدل والتشكيك ، بالإضافة إلى مواعظه العملاقة التي كانت تهرّ أعماق النفوس خوفاً ورهبة من الله تعالى .

وقد تخرّج من مدرسته جماعة من عظماء الإسلام أمثال الصحابي العظيم عمّار بن ياسر ، وحجر بن عدي ، وكميل بن زياد ، وأبي الأسود الدؤلي ، وميثم التمار ، وغيرهم من الذين أقاموا صروح النهضة العلمية في الإسلام .

وعلى أي حال فإننا نعرض - بإيجاز - لبعض ما أثر عن هذا الإمام الملهم العظيم من الكلمات القيمة في تبجيل العلم ، وذمّ الجهل ، وتكريم العلماء ، وبعض العلوم التي أقامها ، وفيما يلي ذلك :

الإشادة بالعلم :

أما العلم فهو من أفضل المحاسن التي يتحلّى بها الإنسان ويسمو إلى أرقى مستويات الكمال ، وبالعالم تكون نهضة الأمم وبلوغها إلى أهدافها ، ومستحيل أن تحتل أمة من الأمم مركزاً مهماً تحت الشمس وهي قابعة في أسر الجهل .

وقد أشاد إمام المتّقين كثيراً بالعلم ، ولنقرأ بعض أحاديثه :

١- قال ﷺ في حديثه مع تلميذه العالم كميل بن زياد :

يَا كَمِيلُ، الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ، الْعِلْمُ يَخْرُسُكَ وَأَنْتَ تَخْرُسُ الْمَالَ.
وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ، وَالْعِلْمُ يَزْكُو عَلَى الْإِنْفَاقِ، وَصَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ
بِرَوَالِهِ.

يَا كَمِيلُ بْنُ زِيَادٍ، مَعْرِفَةُ الْعِلْمِ دِينٌ يُدَانُ بِهِ، بِهِ يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ الطَّاعَةَ
فِي حَيَاتِهِ، وَجَمِيلَ الْأَخْلَاقَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ.
وَالْعِلْمُ حَاكِمٌ، وَالْمَالُ مَخْكُومٌ عَلَيْهِ.

يَا كَمِيلُ، هَلْكَ خُرَانُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءُ، وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ؛
أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ، وَأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ^(١).

حكى هذا الكلام أهمية العلم، وأنه أئمن شيء في الحياة، ولا يقاس به المال
الذي هو شريان الحياة.

وقد تميّز العلم على المال؛ فَإِنَّ الْعِلْمَ يَنْمُو بِإِنْفَاقِهِ عَلَى الطَّلَابِ وَالسَّائِلِينَ،
وَأَمَّا الْمَالُ فَإِنَّهُ يَفْنَى بِالْإِنْفَاقِ، كَمَا أَنَّ الْعُلَمَاءَ بَاقُونَ عَلَى امْتِدَادِ التَّارِيخِ وَأَمَّا أَصْحَابُ
الثَّرَوَاتِ الْعَظِيمَةِ فَأَنَّهُمْ يَفْنَوْنَ بِمَوْتِهِمْ وَتَتَلَاشَى لِرَوَانِهِمْ مِنْ بَعْدِهِمْ.

٢- قال ﷺ :

«الْعِلْمُ إِحْدَى الْحَيَاتَيْنِ»^(٢).

ما أروع هذه الكلمة التي أحاطت بقيمة العلم، فهو إحدى الحياتين اللتين
يخلد بهما الإنسان.

(١) نهج البلاغة ٣: ١٦٤.

(٢) مستدرک نهج البلاغة: ١٨٠.

٣- قال عليه السلام:

« الْعِلْمُ نُحْفَةٌ فِي الْمَجَالِسِ ، وَصَاحِبُ فِي السَّفَرِ ، وَأَنْسٌ فِي الْغُرَةِ ... »^(١).

حقاً إن العلم زينة المجالس ، فبه تزهر وتسمو وتتميز عن بقية المجالس العارية من العلم ، كما أنه صاحب وصديق مؤنس في السفر وأنس في الغربة.

أهمية العالم:

وتحدث الإمام عن أهمية العالم ، وسمو مكانته الاجتماعية وإن موته خسارة على الناس ، قال عليه السلام:

« إِذَا مَاتَ الْمُؤْمِنُ الْعَالِمُ ثَلِمَ فِي الْإِسْلَامِ ثَلْمَةٌ لَا يَسُدُّهَا شَيْءٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ »^(٢).

تكريم العالم:

وحدث الإمام عليه السلام على تكريم العالم وتبجيله والاعتراف له بالفضل ، قال عليه السلام:

« مِنْ حَقِّ الْعَالِمِ عَلَيْكَ إِذَا أَتَيْتَهُ أَنْ تُسَلِّمَ عَلَيْهِ خَاصَّةً ، وَعَلَى الْقَوْمِ عَامَّةً ، وَلَا تَجْلِسَ قُدَامَهُ ، وَلَا تُشِيرَ بِيَدِكَ ، وَلَا تَقُومَ بِعَيْنِكَ ، وَلَا تَقُلْ : قَالَ فُلَانٌ خِلَافَ قَوْلِكَ ، وَلَا تَأْخُذْ بِثَوْبِهِ ، وَلَا تَلِجْ عَلَيْهِ فِي السُّؤَالِ فَإِنَّمَا هُوَ بِمَنْزِلَةِ النَّحْلَةِ الْمُزْطِجَةِ الَّتِي لَا يَزَالُ يَسْقُطُ عَلَيْكَ مِنْهَا شَيْءٌ »^(٣).

وتحدث الإمام عليه السلام بهذه الكلمات عن حقوق العالم ، ولزوم رعايته واحترامه

(١) مستدرک نهج البلاغة : ١٨٦.

(٢) مستدرک نهج البلاغة : ١٧٧.

(٣) العقد الفريد ٢ : ٢٢٤.

تكريماً لعلمه وإشادة بفضلله لأنه مصدر عطاء وفيض للمجتمع توجيهاً وسلوكاً وأدباً.

أخذ المحاسن من كل علم:

قال عليه السلام: «الْعِلْمُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَى، فَخُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ»^(١).

وهذه الكلمة من روائع الحكم ، ومن محاسنها فإن العلم كنز لا يحصى ما فيه ، وعلى المرء أن يختار أبداع وأروع ما فيه ، وقد نظم بعض الشعراء هذه الكلمة الحكمية للإمام عليه السلام بقوله:

ما حوى العلم جميعاً رجل لا ولو مارسه ألف سنة
أما العلم بعيد غوره فخذوا من كل شيء أحسنه^(٢)

تشجيعه للحركة العلمية:

كان الإمام عليه السلام يدعو المجتمع إلى العلم ويحثهم عليه ، وقد خطب في الكوفة فقال: «مَنْ يَشْتَرِي عِلْماً بِدَرْهِمْ؟». فقام الحارث الأعور فاشتري صحفاً بدرهم ثم جاء بها إلى الإمام عليه السلام ، فكتب له بها علماً كثيراً^(٣) ، وقد دلت هذه البادرة على مدى تشجيعه للعلم ، وحثه على تدوينه وكتابته.

العمل بالعلم:

وأكد الإمام على ضرورة العمل بالعلم في كثير من أحاديثه كان منها ما يلي:

(١) معجم الأدباء ١: ٧٣.

(٢) التمثيل والمحاضرة - الثعالبي: ١٦٥.

(٣) تنقيح العلم: ٩٠. طبقات ابن سعد ٦: ١١٦.

١ - قال ﷺ :

« الْعِلْمُ مَقْرُونٌ بِالْعَمَلِ ، فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ ؛ وَالْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ ، فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا ارْتَحَلَ عَنْهُ »^(١).

والمراد من قوله ﷺ : فإن أجابه وإلا ارتحل عنه ، أي أن العالم إذا لم يعمل بعلمه ، ولم يسر على ضوئه فإن الله تعالى يسلبه عنه .

٢ - قال ﷺ :

« وَإِنَّ الْعَالَمَ الْغَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ الْخَائِرِ الَّذِي لَا يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ ؛ بَلِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ ، وَالْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ ، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ الْوَمُ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ ... وَالْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ . فَلْيَنْظُرْ فَاظْهُرُ : أَسَائِرُ هُوَ أَمْ رَاجِعُ ؟ »^(٢).

أن الذي لا يهتدي بعلمه كالسالك في الطرق الملتوية القاتمة التي تهوي به إلى مستوى سحيق من الانحطاط ما له من قرار .

٣ - قال ﷺ :

« أَوْضَعُ الْعِلْمَ مَا وَقَفَ عَلَى اللِّسَانِ ، وَأَرْقَعُهُ مَا ظَهَرَ فِي الْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ ... »^(٣).

٤ - قال ﷺ :

« رَبُّ عَالَمٍ قَدْ قَتَلَهُ جَهْلُهُ ، وَعِلْمُهُ مَعَهُ لَا يَنْقَعُهُ »^(٤).

(١) تصنيف نهج البلاغة : ٢٣٠٢ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١١٠ .

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة : ١٠٩ .

(٤) المصدر السابق : ١١٠ .

وكثير من هذه الكلمات الذهبية أدلى بها أمير البلاغة والبيان وهي نهيب بالعلماء أن يعملوا بما علموا وأن تتوافق أعمالهم مع أقوالهم الداعية إلى الهدى والصالح.

أنواع طلاب العلم:

تحدث الإمام عليه السلام عن أصناف طلبة العلوم فقال:

« طَلَبَةُ هَذَا الْعِلْمِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ ، أَلَا قَاغِرُ قُوَّهِمْ بِصِغَاتِهِمْ :

صِنْفٌ مِنْهُمْ يَتَعَلَّمُونَ الْعِلْمَ لِلْمِرَاءِ وَالْجَدَلِ .

وَصِنْفٌ لِلْإِسْطِطَالَةِ وَالْحِيلِ .

وَصِنْفٌ لِلْبِقَعِ وَالْعَمَلِ .

فَأَمَّا صَاحِبُ الْمِرَاءِ وَالْجَدَلِ فَإِنَّكَ تَرَاهُ مُعَارِيّاً لِلرُّجَالِ فِي أُنْدِيَةِ الْمَقَالِ ،

قَدْ تَسَرَّنَ بِالتَّخَشُّعِ ، وَتَخَلَّى عَنِ الْوَرَعِ ، قَدَّقَ اللَّهُ مِنْ هَذَا حَيَزُومَهُ ،

وَقَطَعَ مِنْهُ حَيْشُومَهُ .

وَأَمَّا صَاحِبُ الْإِسْطِطَالَةِ وَالْحِيلِ ، فَإِنَّهُ يَسْتَطِيلُ عَلَى أَشْبَاهِهِ مِنْ أَشْكَالِهِ ،

وَيَتَوَاضِعُ لِلْأَغْنِيَاءِ مِنْ دُونِهِمْ ، فَهُوَ لِحُلُولَانِهِمْ هَاضِمٌ ، وَلِدِينِهِ حَاطِمٌ ،

فَأَعْمَى اللَّهُ بَصَرَهُ ، وَمَحَى مِنَ الْعُلَمَاءِ أَثَرَهُ .

وَأَمَّا صَاحِبُ الْبِقَعِ وَالْعَمَلِ ، فَتَرَاهُ ذَاكَابَةً وَحُزْنَ ، قَامَ اللَّيْلَ فِي حَنْدِسِهِ ،

وَانْحَنَى فِي بُرْئُسِهِ يَفْعَلُ وَيَخْشَى فَشَدَّ اللَّهُ مِنْ هَذَا أَرْكَانَهُ ، وَأَعْطَاهُ اللَّهُ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمَانَةً^(١) .

والم هذا الحديث الشريف بأنواع طلبه العلم وحكى أهدافهم ، فبعضهم يطلبه لأغراضه الشخصية من دون أن يتنفي به رضا الله تعالى والدار الآخرة ، وهؤلاء هم الأخسرون عملاً ، وأكد الإمام هذا المعنى في حديث آخر له قال :

« لَوْ أَنَّ حَمَلَةَ الْعِلْمِ حَمَلُوهُ بِحَقِّهِ لِأَحِبَّهُمُ اللَّهُ وَأَهْلُ طَاعَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ ، وَلَكِنَّهُمْ حَمَلُوهُ لِطَلَبِ الدُّنْيَا فَمَقَتَهُمُ اللَّهُ وَهَانُوا عَلَى النَّاسِ »^(١).

إن من يطلب العلم ويتحمل الجهد الشاق في سبيله إن كان هدفه رضا الله والدار الآخرة فاز في دنياه وآخرته ، وإن كان هدفه رغبات الدنيا والتفوق على غيره فقد خسر خسراناً مبيهاً.

ذم أهل الرأي :

ذم الإمام عليه السلام أهل الرأي الذين يفتون بأرائهم من دون علم قال عليه السلام :

« تَرُدُّ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةَ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ فَيُحْكَمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ ، ثُمَّ تَرُدُّ تِلْكَ الْقَضِيَّةَ بِعَيْنَيْهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيُحْكَمُ فِيهَا بِخِلَافِ قَوْلِهِ ، ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقَضَاءُ بِذَلِكَ عِنْدَ الْإِمَامِ الَّذِي اسْتَفْضَاهُمْ ، فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعاً - وَلِلَّهِمْ وَاحِدٌ! وَنَبِيِّهِمْ وَاحِدٌ! وَكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ! أَفَأَمَرَهُمُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - بِالْإِخْتِلَافِ قَاطِعُوهُ !

أَمْ نَهَاَهُمْ عَنْهُ فَقَصَوْهُ !

أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِيناً نَاقِصاً فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِمْتَائِهِ !

أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ ، فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى ؟

أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِيناً تَاماً فَقَصَرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ

تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : ﴿ مَا قَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ،
وَقَالَ : وَفِيهِ ﴿ تَيَّيْنَانُ لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ، وَذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا ،
وَأَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا
فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ ^(١) .

عرض الإمام ﷺ إلى ما يفتي به العاملون بأرائهم وأقيستهم ، وأنها على ضلال
ياله من ضلال ، فهي متناقضة متباينة ليس فيها بصيص من نور الإسلام وهديه .

بذل العلم :

وَحَثَّ الإمام ﷺ العلماء على بذل العلم وإشاعته بين الناس ، فقد جاء في
كتابه :

« إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْخُذْ عَلَى الْجَهَالِ عَهْدًا بِطَلَبِ الْعِلْمِ حَتَّى أَخَذَ عَلَى الْعُلَمَاءِ
عَهْدًا بِبَذْلِ الْعِلْمِ لِلْجَهَالِ ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ كَانَ قَبْلَ الْجَهْلِ » ^(٢) .

لقد عنى الإمام بصورة إيجابية بإشاعة العلم ونشره بين الناس ، وقد حثَّ
العلماء وألزمهم بتعليم المجتمع وتنقيفه والسهر على رفع مستواه الفكري . ^(٣)

حثه على جودة الخط :

حَثَّ الإمام ﷺ أصحابه وجهاز حكومته على جودة الخط ، وقال لهم :
« الْخَطُّ الْحَسَنُ يُزِيدُ الْخَطَّ وَضُوحًا » ^(٣) .

ومن الجدير بالذكر أَنَّ المصحف الكريم لم يكن منقطعاً ، وأوّل من نقطه

(١) المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة : ١٩ .

(٢) أصول الكافي ١ : ٤١ .

(٣) صبح الأعشى ٣ : ٢٥ .

أبو الأسود الدؤلي ، وذلك بتلقين وإرشاد من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام^(١).

أنواع العلوم:

كان الإمام عليه السلام خزانة من العلوم والمعارف لم يمهّد له نظير في عظماء الدنيا وعابرة العالم ، وقد فتق أبواباً من العلوم تربو على ثلاثين علماً لم يكن يعرفها العرب وغيرهم من قبل حسبما يقول العقّاد ، وقد أثر عنه القول :

« الْعُلُومُ أَرْبَعَةٌ : الْفِقْهُ لِلْأَذْيَانِ ، وَالطَّبُّ لِلْأَبْدَانِ ، وَالنَّحْوُ لِللِّسَانِ ، وَالنَّجُومُ لِمَعْرِفَةِ الزَّمَانِ »^(٢).

وقد أعرب الإمام عليه السلام عن أساء وحزنه لأنه لم يجد من يبيّث إليه علومه حتى تستفيد منها العامة وتتطوّر بها الحياة ، وقد قال عليه السلام : « إِنَّ هَاهُنَا - وَأَوَّماً إِلَى صَدْرِهِ الشَّرِيف - لَوَعْلَمٌ جَمْعاً ، لَوْ أَصْبَحْتُ لَهُ حَقْلَةً »^(٣).

لقد كان صدره الشريف خزانة لعلم رسول الله ﷺ ، فهو باب مدينة علمه ووارث علومه وحكمه وآدابه ، وعلى أي حال فإننا نعرض إلى بعض العلوم التي أثرت عنه وهي :

١ - علم النحو

والشيء المحقّق الذي لا ريب فيه هو أنّ أوّل من وضع علم النحو وأرسى قواعده هو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، ونعرض إلى بعض البحوث المرتبطة به ، وهي :

(١) صبح الأعشى ٣ : ١٤٩ . مفتاح السعادة ١ : ٨٩ ، أنّ أوّل من نَقَطَ المصحف الإمام علي عليه السلام .

(٢) مفتاح السعادة ١ : ٣٠٣ .

(٣) المصدر السابق ١ : ٤٣ .

في اللغة :

النحو في اللغة الطريق والجهة والقصد ، ومنه انتحاه إذا قصد ، سمي به هذا العلم ، وذلك لينحى سمت كلام العرب في تصرفه من اعراب وغيره من ليس منهم فيضارهم في اللحن ، وقد عرض أبو الأسود ما أخذه من الإمام في هذا العلم فعرضه عليه فقال له : « مَا أَحْسَنَ هَذَا النَّحْوُ الَّذِي نَحْوَتْ » ، ولذلك سمي هذا النحو نحواً^(١) في الاصطلاح.

أسباب وضعه :

وذكر المؤرخون عدّة أسباب مختلفة لوضع هذا العلم الذي أصبح من أبرز العلوم العربية ، ومن أكثرها فائدة وهي :

١ - روى الأصمعي قال : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : جاء أعرابي إلى علي عليه السلام عليك يا أمير المؤمنين ، كيف تقرأ هذه الحروف : لا يأكله إلا الخاطون ، كلنا والله يخطو ؟ فتبسّم أمير المؤمنين عليه السلام وقال : « يَا أَعْرَابِي ، لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِطُونَ » .

قال : صدقت والله يا أمير المؤمنين ما كان الله ليظلم عباده ، ثم التفت الإمام إلى أبي الأسود الدؤلي فقال :

« إِنَّ الْأَعَاجِمَ قَدْ دَخَلَتْ فِي الدِّينِ كَأَنَّهُ فُضِعَ لِلنَّاسِ شَيْئاً يَسْتَدِلُّونَ بِهِ عَلَى صَلَاحِ أَلْسِنَتِهِمْ » ورسم له الرفع والنصب والخفض^(٢).

٢ - سمع الإمام أعرابياً يقرأ الآية : ﴿ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾

(١) تاج العروس ١٠ : ٣٦٠ . النزعة ٣ : ١ . المثل السائر : ٧ . لسان العرب ١٥ : ٣١٠ .

(٢) الزينة في الكلمات الإسلامية العربية - أبو الحاتم أحمد الرازي : ٧٢ . النزعة : ٨ .

قرأ بخفض الرسول ، وقال الاعرابي برثت من رسول الله ، فأنكر عليه الإمام وأرشده إلى الصواب وهو النصب ، ثم رسم لأبي الأسود صناعة النحو^(١).

هذه بعض الأسباب التي حفزت الإمام إلى وضعه لعلم النحو وتأسيسه له .
القواعد التي وضعها الإمام ﷺ :

وذكر المؤرخون أَنَّ الإمام ﷺ دفع إلى أبي الأسود رقعة مكتوباً فيها :

« الْكَلَامُ كُلُّهُ : اسْمٌ ، وَفِعْلٌ ، وَحَرْفٌ ، فَالاسْمُ مِنْ أَتْبَاعِ عَنِ الْمُسَمَّى ،
وَالْفِعْلُ مَا أَتْبَعِي بِهِ ، وَالْحَرْفُ مَا أَفَادَ مَعْنَى . وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَسْمَاءَ ثَلَاثَةٌ :
ظَاهِرٌ وَمُضْمَرٌ ، وَاسْمٌ لَا ظَاهِرَ وَلَا مُضْمَرٌ ... » .

ثم وضع أبو الأسود بابي العطف والنعت ، ثم بابي التعجب والاستفهام إلى أن وصل إلى باب إن وأخواتها ما خلا لكن ، فلمّا عرضها على الإمام أمره بضمّ لكن إليها ، وكلما وضع باباً من أبواب النحو عرضه عليه^(٢).

وفي رواية أَنَّ أبا الأسود دخل على عليّ فوجده مطرقاً مفكراً ، فسأله عن سبب ما به ، فذكر له أمر اللحن وما فشا من الخطأ في السنة الناس ، وأنه يريد أن يضع كتاباً في أصول العربية ، فانصرف عنه وهو مغموّم فالتقى الإمام عليه رقعة كتب فيها :

« الْكَلَامُ كُلُّهُ : اسْمٌ ، وَفِعْلٌ ، وَحَرْفٌ ، فَالاسْمُ مِنْ أَتْبَاعِ عَنِ الْمُسَمَّى ،
وَالْفِعْلُ مَا أَتْبَعِي بِهِ ، وَالْحَرْفُ مَا أَفَادَ مَعْنَى . أَي فِي غَيْرِهِ ... » .

ثم أمره أن ينحو نحوه وأن يزيد عليه ، فجمع أبو الأسود أشياء وعرضها عليه فكان من ذلك حروف النصب كان منها : إن وأن وليت ولعلّ وكأنّ ، ولم يذكر « لكنّ »

(١) الخصائص ٢ : ٩ .

(٢) النزهة - ابن الأثيري : ٤ . ضحى الإسلام ٢ : ٢٨٥ .

فأشار عليه الإمام بإدخالها عليها^(١).

وعلى أي حال فإنَّ علم النحو واضعه ومؤسسه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام باب مدينة علم النبي ﷺ^(٢).

٢ - علم الفقه

من العلوم التي وضع أسسها وأقام مناهجها علم الفقه الشريف .

يقول ابن أبي الحديد : « ومن العلوم علم الفقه ، وهو أصله وأساسه ، وكل فقيه في الإسلام فهو عيال عليه ، ومستفيد من فقهه ، أما أصحاب أبي حنيفة كابي يوسف ومحمد وغيرهما ، فأخذوا عن أبي حنيفة ، وأما الشافعي فقرأ على محمد بن الحسن فيرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة ، وأبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمد^(٣) .

وقرأ جعفر على أبيه عليه السلام ، وينتهي الأمر إلى علي عليه السلام ، وأما مالك بن أنس فقرأ على ربيعة الرأي ، وقرأ ربيعة على عكرمة ، وقرأ عكرمة على عبدالله بن عباس ، وقرأ عبدالله بن عباس على علي بن أبي طالب ، وإن شئت رددت إليه الشافعي بقراءته على مالك كان لك ذلك ، فهؤلاء الفقهاء الأربعة .

وأما فقه الشيعة فرجوعه إليه ظاهر ، وأيضاً فإنَّ فقهاء الصحابة كان من بينهم

(١) أنباء الرواة ١ : ٤ .

(٢) معجم الأدباء ١٤ : ٤٢ - ٥٠ . شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ١ : ٢٠ .

(٣) أعلن أبو حنيفة أنه تتلمذ عند الإمام الصادق عليه السلام واستفاد منه بقوله : « لولا الستان لهلك النعمان » يعني بالستين اللتين تتلمذ فيهما عند الإمام عليه السلام يراجع في ذلك موسوعة حياة الإمام الصادق للمؤلف .

عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس ، وكلاهما أخذ عن علي عليه السلام .

أما ابن عباس فظاهر ، وأما عمر فقد عرف كل أحد رجوعه إليه في كثير من المسائل التي أشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة ، وقوله غير مرة :
لولا علي لهلك عمر .

وقوله : لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن .

وقوله : لا يفتين أحد في المسجد وعلي حاضر .

فقد عرف بهذا الوجه أيضاً انتهاء الفقه إليه ...

وقد روت العامة والخاصة قوله عليه السلام : « أَقْضَاكُمْ عَلِيٌّ » ، والقضاء هو الفقه ، فهو إذن أفقههم ، وروى الكل أيضاً أنه عليه السلام قال له - وقد بعثه إلى اليمن قاضياً - : « اللَّهُمَّ اهْدِ قَلْبَهُ ، وَثَبِّتْ لِسَانَهُ » ، قال عليه السلام : فما شككت بعدها في قضاء بين اثنين ، وهو عليه السلام الذي أفتى في المرأة التي وضعت لستة أشهر ، وهو الذي أفتى في الحامل الزانية^(١) ، والذي قال في المنبرية صار ثمنها تسعاً ، وهذه المسألة لو فكّر فيها الفرضي فكراً طويلاً لاستحسن منه بعد طول النظر لهذا الجواب فما ظنك بمن قاله بديهية وأقضيته ارتجالاً^(٢) .

٣ - علم تفسير القرآن

من العلوم التي أخذت عنه علم تفسير القرآن الكريم ، فقد أخذ أكثر تفسيره منه ومن تلميذه حبر الأمة عبد الله بن عباس ، وقد قيل له : أين علمك من علم

(١) ذكرنا عرضاً مفصلاً لأقضيته في كتابنا : (قضاء الإمام) ، وهو أحد أجزاء هذه الموسوعة .

(٢) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ١ : ١٨ - ١٩ .

ابن عمك ؟ فقال : كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط^(١) ، وقد أفردنا جزءاً خاصاً من موسوعة الإمام إلى ما أثر عنه في تفسير القرآن الكريم ، ومن المؤكّد أنّ المصحف الذي قيل عنه أنّه مصحف الإمام ﷺ قد أدرج فيه أسباب النزول ومعاني الكلمات وبيان ما فيه من الأحكام .

٤ - علم الفلك والحساب

من العلوم التي أخذت عنه علم الفلك والحساب ، فقد قال ﷺ عن خلق السماء :

« ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ، وَضَيَّاهُ النُّوَاقِبِ ، وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً ، وَقَمَراً مُنِيراً ، فِي قَلْبِكَ دَائِرٍ ، وَسَقْفٍ سَائِرٍ ، وَرَقِيمٍ^(٢) قَائِرٍ^(٣) »^(٤) .

وقال ﷺ عن كيفية خلق السماء :

« وَنَادَاهَا بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ ، فَالْتَحَمَتْ عُرَى أَشْرَاجِهَا ، وَفَتَقَ بَعْدَ الْإِزْتِمَاقِ صَوَامِيتَ أَبْوَابِهَا »^(٥) .

ذهب بعض علماء الفلك في هذا العصر إلى أنّ أوّل نشوء الكون كان نتيجة انفجار كبير فشحاع في الكون سكون وظلام دامس ، ثمّ بدأت الذرات تتجمّع في

(١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ١ : ١٩ .

(٢) الرقيم : من أسماء الفلك .

(٣) المائر : المتحرك .

(٤) نهج البلاغة : ١٥ .

(٥) نهج البلاغة : ٣٧ .

مناطق معينة ، مشكلة أجراماً ، ثم ما لبثت أن بدت فيها التفاعلات النووية التي جعلت هذه الأجرام نجوماً مضيئة ، وفي قول الإمام عليه السلام : « فَأَلْتَحَمَتْ غُرَى أَشْرَاجِهَا » تشبيه لنجوم المجرة بالحلقات المرتبطة ببعضها بوشاح الجاذبية ، والتأثير المتبادل وبعد نشوء النجوم الملتهبة الدائرة بدأت تقذف بالحمم التي شكّلت الكواكب السيارة كالأرض وغيرها وهو ما عبّر عنه الإمام عليه السلام بالفتق بعد الارتاق .

ثم قال عليه السلام :

« وَأَقَامَ رَصْدًا مِنَ الشُّهُبِ التَّوَاقِبِ عَلَى نِقَابِهَا ، وَأَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ فِي خَرْقِ الْهَوَاءِ بِأَيْدِيهِ - أَيِ بَقْوَتِهِ - ، وَأَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ » .

علّق عليها ليب وجيه ييضون بقوله :

قوله عليه السلام : « وَأَقَامَ رَصْدًا مِنَ الشُّهُبِ التَّوَاقِبِ » يشير عليه السلام بذلك إلى ما أثبتته العلم الحديث من أنّ الشهب تغذي بعض أجرام الكواكب بما نظّمه لها من التفاتق فما نقب وخرق من جرم عوض بالشهاب .

ثم قال عليه السلام :

« وَأَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ فِي خَرْقِ الْهَوَاءِ بِأَيْدِيهِ » : أي أمسك الكواكب من أن تضطرب في الهواء بقوّته .

« وَأَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ » ، أي تلتزم مراكزها لا تفارق مداراتها .

قال عليه السلام :

« وَجَعَلَ شَمْسُهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا ، وَقَمَرُهَا آيَةً مَمْنُوءَةً مِنْ لَيْلِهَا ، وَأَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلَ مَجْرَاهُمَا ، وَقَدَّرَ سَبِيلَهُمَا فِي مَنَازِلِ دَرَجَتِهِمَا ، لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِهِمَا ، وَلِيُعْلَمَ عَدَدُ السَّنِينَ وَالْجِسَابُ بِمَقَادِيرِهِمَا » ^(١) .

لقد عرض الإمام عليه السلام بصورة موضوعية ودقيقة إلى علم الفلك ، وبين مقدار ما فيه من الأنظمة الهائلة .

أما علم الحساب ، فقد أقام مناهجه وبين غوامضه ، وقد عرض لها بعض المختصين بهذا العلم كان منها ما يلي :

مقدار قطر الشمس :

سأل شخص الإمام عليه السلام عن مقدار قطر الشمس ، فأجاب الإمام عليه السلام مرتجلاً :
« تِسْعُمِائَةٌ فِي تِسْعُمِائَةِ مِيلٍ أَيْ ٨١٠٠٠٠ مِيلٍ » .

ومن المعلوم أنَّ الميل في صدر الإسلام يساوي أربعة آلاف ذراع بذراع اليد ، وهو من المرفق إلى رؤوس الأصابع ، فلو قسمنا ذراع رجل متوسط القامة بالانجات ثمَّ حوَّلنا (٤٠٠٠) إلى انجات فياردات فأميل لوجدنا أنَّ ما أخبر به الإمام عليه السلام ٨١٠٠٠٠ ميل على ما كان معروفاً في صدر الإسلام تعادل ٨٦٥٣٨٠ ميلاً على ما هو معروف اليوم من أنَّ الميل ١٧٦٠ يارداً وأنَّ كتب الفلك تنصُّ أنَّ قطر الشمس يساوي (٨٦٥٣٨٠) ميلاً فما أخبر به علي عليه السلام يطابق تمام الانطباق مع ما تجده في كتب الفلك اليوم وذلك بعد تحويل الميل في صدر الإسلام إلى الميل الانكليزي الذي يعادل (١٦٠) يارداً^(١) .

مسألة الجمال :

كان ١٧ جملاً مشتركة بين ثلاثة أشخاص ، فجاءوا علياً عليه السلام وقالوا : إنَّ نصف هذه الجمال لأحدنا ولثلثها لآخر وتسعها لثالثنا ، ونريد أن نقسمها بيننا على أن لا يبقى باق .

(١) نظرة الإسلام إلى العلم الحديث : ١٧ .

فدعا عليّ ﷺ بجمل له وأضافه إلى الجمال ، فكانت ١٨ جملاً ، فأعطى نصف الجمال - أي نصف ١٨ جملاً - إلى من له النصف ، أي أعطاه ٩ جمال .
وأعطى ثلث الـ ١٨ إلى من كان له الثلث ، أي أعطاه ٦ جمال .
وأعطى تسع الـ ١٨ إلى من كان له التسع ، أي أعطاه جملين ، ثم أرجع الجمل الذي أضافه إلى بيته ^(١) .
وبهذا ينتهي الحديث عما خاضه وأبدعه الإمام ﷺ في علم الفلك والحساب .

٥ - علم الحيوان

من العلوم المهمة التي خاضها الإمام ﷺ علم الحيوان تحدث فيها عن خصائصها وبيدع صنعها وتركيبها ، انظروا إلى بعض أحاديثه عنها :
وصف الطيور :

ووصف الإمام ﷺ الطيور وصفاً دقيقاً وملماً بجميع أصنافها ، قال ﷺ :
« ابْتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوَانَ وَمَوَاتٍ ، وَسَاكِنٍ وَذِي حَرَكَاتٍ ؛ وَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ الْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صَنَعَتِهِ ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ ، مَا انْقَادَتْ لَهُ الْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ ، وَتُسَلِّمُهُ لَهُ ، وَتَعَقَّتْ فِي اسْتَعَاذِنَا دَلَالَتُهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ ، وَمَا ذَرَأَ مِنْ مُخْتَلِفِ صُورِ الْأَطْيَارِ الَّتِي أَسْكَنَهَا أَحَادِيدَ الْأَرْضِ ، وَخُرُوقِ فِجَاجِهَا ، وَزَوَاسِي أَغْلَامِهَا ، مِنْ ذَاتِ أُجْنَحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَهَيْئَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ ، مُصَرِّقَةٍ فِي زِمَامِ التَّسْخِيرِ ، وَمُرْفَرِّقَةٍ بِأُجْنَحَتِهَا فِي مَخَارِقِ الْجَوِّ الْمُتَنَفِّسِ ، وَالْفَضَاءِ الْمُتَفَرِّجِ .

كَوْنَهَا بَعْدَ إِذْ لَمْ تَكُنْ فِي عَجَائِبِ صُورِ ظَاهِرَةِ، وَرَكَّبَهَا فِي حِقَاقِ مَفَاصِلِ
مُخْتَجِبَةٍ، وَمَنَعَ بَعْضَهَا بِعِبَالَةٍ خَلْفِهِ^(١) أَنْ يَسْمُوَ فِي الْهَوَاءِ خُفُوفًا،
وَجَعَلَهُ يَدْفُ دَقِيقًا وَنَسَقَهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا فِي الْأَصَابِيعِ بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ،
وَدَقِيقِ صُنْعَتِهِ.

فَمِنْهَا مَقْمُوسٌ فِي قَالِبِ لَوْنٍ لَا يَشُوْبُهُ غَيْرُ لَوْنٍ مَا غُمِسَ فِيهِ؛ وَمِنْهَا
مَقْمُوسٌ فِي لَوْنٍ صَبِغَ قَدْ طُوِّقَ بِخِلَافٍ مَا صُبِغَ بِهِ^(٢).

أَرَأَيْتُمْ هَذَا الْوَصْفَ الدَّقِيقَ الرَّائِعَ لِلطَّيُورِ الْمُخْتَلِفَةِ أَلْوَانِهَا الْبَدِيعَةَ مَظَاهِرَهَا الَّتِي
تَأْخُذُ بِأَعْمَاقِ النُّفُوسِ أَلْوَانِهَا فَتَعَالَى اللَّهُ فِي صُنْعِهِ وَخَلْقِهِ وَهِيَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى
وَمِنْ شَوَاهِدِ وَحْدَانِيَّتِهِ.

وصف الطاووس :

وبعد ما أدلى الإمام في وصف مطلق الطيور ذكر عجيب صنع الطاووس قال ﷺ:

« وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقًا الطَّائُوسُ الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ، وَنَصَّدَ أَلْوَانَهُ
فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ، بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصْبُهُ، وَذَنْبٍ أَطَالَ مَسْحَبُهُ.

إِذَا دَرَجَ إِلَى الْأَنْثَى نَشَرَهُ مِنْ طِيهِ، وَسَمَّا بِهِ مُطَلًّا عَلَى رَأْسِهِ كَأَنَّهُ قَلْعٌ
دَارِيٌّ، عَنَجَهُ نُورِيُّهُ^(٣).

يَخْتَالُ بِأَلْوَانِهِ، وَيَمِيسُ بِزَيَّاقِيهِ^(٤).

(١) العباله: الضخامة.

(٢) نهج البلاغة - محمد عبده ٢: ٧٠، خطبة ١٦٠.

(٣) القلع: شراع السفينة. عنجه: جذبه.

(٤) يختال: أي يعجب. يemis: يتبختر.

يُفْضِي ^(١) كَافِضَاءِ الدِّيَكَةِ، وَيُورُ ^(٢) بِمَلَاقِيهِ أَوْ الْفُحُولِ الْمُفْتَلِمَةِ ^(٣)
لِلضَّرَابِ أَحْيَلِكَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى مُعَايِنَةٍ ^(٤)، لَا كَمَنْ يُحِيلُ عَلَى ضَعِيفٍ
إِسْنَادَهُ.

وَلَوْ كَانَ كَزَعَمٍ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُلْفَحُ بِدَمْعَةٍ تَسْفَحُهَا مَدَامِعُهُ ^(٥)، فَتَقِفُ فِي
صَفَّتِي جُفُونِهِ، وَأَنْ أَتَنَاءَ تَطْعَمُ ذَلِكَ، ثُمَّ تَبْيِضُ لَا مِنْ لِقَاحٍ فَحَلٍ سِوَى
الدَّمْعِ الْمُتَبَجِّسِ، لَمَّا كَانَ ذَلِكَ بَأْعَجَبٍ مِنْ مُطَاعَمَةِ الْغُرَابِ ^(٦)!
تَخَالُ قَصَبُهُ مَدَارِي مِنْ فِصَّةٍ، وَمَا أَنْبَتَ عَلَيْهَا مِنْ عَجِيبٍ دَارَاتِهِ،
وَشُمُوسِهِ خَالِصُ الْعُقَيَانِ، وَقِلْدُ الزَّبَرْجَدِ ^(٧).
فَإِنْ شَبَّهْتُهُ بِمَا أَنْبَتَتِ الْأَرْضُ قُلْتُ: جَنَى جُنَى مِنْ زَهْرَةٍ كُلِّ رَبِيعٍ ^(٨).

(١) يفضي: أي يسافد أثناء كما تسافد الديكة.

(٢) يور: أي يأتي أثناء بملاقعة فيفرز فيها مادة تناسله.

(٣) المفتلمة: من اغتلم، أي غلبة الشهوة.

(٤) أي أحيلك إلى معاينة الطاووس فتجد ذلك صدقاً على ما أقول.

(٥) تسفحها: أي ترسلها مدامعة، وقد أبطل الإمام دعوى من يقول إن أنشاء تلد لا من لقاح
فحل.

(٦) المراد من كلامه عليه السلام أنه لو صغ ما ذكروه في الطاووس من أن تلقيحه يكون بانتقال الماء
في جوف الذكر إلى الأنثى عندما تترشفه لجرى ذلك في الضراب أيضاً، وذلك لشبهه
لِلطاووس بذلك، ومنشأ الزعم في الغراب إخفاؤه لسفاده حتى ضرب به المثل فقليل أخفى
من سفاد الغراب.

(٧) القصب: جمع قصب، هي عمود الريش. المداري: جمع مدري، وهو آلة مصنوعة من
حديد أو خشب على شكل أسنان المشط يسرح بها الشعر. اللارات: حالة القمر. العقيان:
الذهب الخالص.

(٨) جنى: أي جمع من كل زهر لونا.

وَإِنْ ضَاهَيْتَهُ بِالْعَلَابِسِ فَهُوَ كَمَوْشِيِّ الْحُلَلِ ^(١)، أَوْ كَمَوْقٍ عَصَبِ الْيَمَنِ .
وَإِنْ شَاكَلَتْهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَمُضَوِّمِ ذَاتِ الْوَانَ، قَدْ نَطَقَتْ بِاللَّجِينِ
الْمُكَلَّلِ ^(٢) .

يَمْشِي مَشْيَ الْمَرْحِ الْمُخْتَالِ ^(٣)، وَيَتَصَفَّعُ ذَنْبَهُ وَجَنَاحَيْهِ، فَيَقْبِضُهُ
ضَاحِكًا لِحِمَالِ سُرْبَالِهِ ^(٤)، وَأَصَابِيغِ وَشَاحِيهِ ^(٥)؛ فَإِذَا رَمَى بَبْصَرِهِ إِلَى
قَوَائِمِهِ زَقًا مُعْوَلًا ^(٦) يَضُوتُ يَكَاذُ يُبَيِّنُ عَنْ اسْتِغْفَاتِهِ، وَيَشْهَدُ بِصَادِقِ
تَوْجِعِهِ، لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمُشٌ كَقَوَائِمِ الدِّيَكَةِ الْخِلَاسِيَّةِ .

وَقَدْ نَجَمَتْ مِنْ ظُنُوبٍ سَاقِيهِ صَبِيبِيَّةٌ ^(٧) خَفِيَّةٌ، وَلَهُ فِي مَوْضِعِ الْعُرْفِ
فَرْزَعَةٌ خَضْرَاءُ مَوْشَاءُ .

وَمَخْرُجُ عُنُقِهِ كَالْأَبْرِيقِ، وَمَعْرُزُهَا إِلَى حَيْثُ بَطْنُهُ كَصَبِيغِ الْوَبْسَةِ
الْبَيَانِيَّةِ، أَوْ كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ مِرَاءَ ذَاتِ صِقَالٍ ^(٨)، وَكَأَنَّهُ مُتَلَفَعٌ بِمِعْجَرِ
أَسْحَمٍ ^(٩)؛ إِلَّا أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكَثْرَةِ مَائِهِ، وَشِدَّةِ بَرِيقِهِ، أَنَّ الْخَضِرَةَ النَّاضِرَةَ
مُفْتَرِجَةً بِهِ .

(١) المَوْشَى: المنقوش .

(٢) المَكَلَّل: المزِين بالجواهر .

(٣) المَخْتَال: الزَّاهِي بحسنه .

(٤) سُرْبَاله: لِبَاسه .

(٥) الوَشَاح: نِظَامَانٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَجَوْهَرٍ .

(٦) زَقًا: صَاح . مُعْوَل: رَافِع صَوْتَه .

(٧) ظُنُوب: عَظْمُ حُرُوفِ السَّاقِ . الصَّبِيبَةُ: هِيَ الشُّوكَةُ .

(٨) الصِّقَال: الْجَلَاءُ .

(٩) المِعْجَر: الثَّوبُ . الْأَسْحَم: الْأَسْوَدُ .

وَمَعَ فَتَقِ سَمْعِهِ خَطُّ كُمْسْتَدَقِ الْقَلَمِ فِي لَوْنِ الْأَفْحَوَانِ، أُبْيَضُ يَقُوقُ^(١)، فَهُوَ
بَيْتَاضِهِ فِي سَوَادِ مَا هُنَاكَ يَأْتَلِقُ.

وَقُلْ صَبِغْ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقَسْطٍ، وَعَلَاهُ بِكَثْرَةِ صَقَالِهِ، وَبَرِيقِهِ،
وَبَصِيصِ^(٢) دِيْبَاجِهِ وَرُؤْيَقِهِ، فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ الْمَبْثُوثَةِ، لَمْ تُرْبِهَا أَمْطَارُ
رَبِيعٍ، وَلَا شُمُوسُ قَيْظٍ.

وَقَدْ يَنْحَسِرُ^(٣) مِنْ رِيْشِهِ، وَيَغْرَى مِنْ لِبَاسِهِ، فَيَسْقُطُ تَحْرَى، وَيَنْبُتُ
تِبَاعاً، فَيَنْحَتُ مِنْ قَصْبِهِ انْحِتَاتُ^(٤) أَوْزَاقِ الْأَغْصَانِ، ثُمَّ يَسْلَحُ نَامِيَا
حَتَّى يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ، لَا يُخَالِفُ سَالِفَ الْوَانِهِ، وَلَا يَقَعُ لَوْنٌ فِي
غَيْرِ مَكَانِهِ! وَإِذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ شَعْرَاتِ قَصْبِهِ أَرْنَكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً،
وَتَارَةً خَضِرَةً زَبْرَجْدِيَّةً، وَأَخْيَاناً صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً^(٥)، فَكَيْفَ تَصِلُ إِلَى
صِفَةِ هَذَا عَمَانِيُقِ الْفِطَنِ^(٦)، أَوْ تَبْلُغُهُ قِرَائِنُ الْعُقُولِ، أَوْ تَسْتَنْقِظَ وَصْفَهُ
أَقْوَالُ الْوَاصِفِينَ!

وَأَقُلْ أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ الْأَوْهَامُ أَنْ تُدْرِكَهُ، وَاللِّسَنَةُ أَنْ تُصِفَهُ! فَسُبْحَانَ
الَّذِي بَهَرَ الْعُقُولَ عَنْ وَصْفِ خَلْقِ جَلَّاهُ لِلْمُيُونِ^(٧).

وَأَلَمَ هَذَا الْوَصْفُ الرَّائِعُ بِخَلْقَةِ الطَّاوُوسِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْعَجَائِبِ الَّتِي يَذْهَلُ

(١) اليقيق: شديد البياض.

(٢) البصيص: اللّمان.

(٣) ينحسر: وهو من حصره أي كشفه.

(٤) ينحت: يسقط.

(٥) المسجدية: الذهب.

(٦) العمانيق: هي العميقة أو القمر.

(٧) نهج البلاغة - محمد عبده ٢: ٧٣ - ٧٥.

الفكر البشري من إدراكها ، فسبحان المصور الذي خلق الطاروس بهذه الكيفية التي يقصر الوصف عن بيانها إلا أن باب مدينة علم النبي ﷺ أحاط بذكر عجائب هذا الطائر الغريب في شكله والعجيب في خلقته .

الخفّاش :

وصف الإمام الخفّاش وصفاً دقيقاً وملماً بجميع خواصّه وصفاته قال ﷺ :

« وَ مِنْ لَطَائِفِ صُنْعَتِهِ ، وَ عَجَائِبِ خَلْقَتِهِ ، مَا أَرَانَا مِنْ عَوَامِضِ الْحِكْمَةِ فِي هَذِهِ الْخَفَافِشِ الَّتِي يَقْبِضُهَا الضِّيَاءُ النَّبَاطِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَ يَنْسُطُّهَا الظَّلَامُ الْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ ، وَ كَيْفَ عَشِيَتْ أُعَيْنُهَا ^(١) عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ نُوراً تَهْتَدِي بِهِ فِي مَنَازِلِهَا ، وَ تَتَّصِلُ بِعَلَانِيَةِ بُرْهَانِ الشَّمْسِ إِلَى مَعَارِفِهَا . وَ زَدَعَهَا يَتَلَاوُضُ بَيْنَانَهَا عَنِ الْمُضِيِّ فِي سُبُحاتِ إِشْرَاقِهَا ^(٢) ، وَ أَكْنَهَا فِي مَكَامِنِهَا عَنِ اللَّهَابِ فِي بُلُجِ انْتِلَاقِهَا ^(٣) ، فَهِيَ مُسَدَّلَةُ الْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَى أَحْدَاقِهَا ، وَ جَاعِلَةُ اللَّيْلِ سَرَاجاً تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي الْإِتِمَاسِ أَرْزَاقِهَا ؛ فَلَا يَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِسْتِغْنَاءُ ظُلْمَتِهِ ، وَلَا تَمْتَنِعُ مِنَ الْمُضِيِّ فِيهِ بِغَسَقِ دُجْنَتِهِ .

فَإِذَا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِتَاعَهَا ، وَ يَدَّتْ أَوْضَاحُ نَهَارِهَا ^(٤) ، وَ دَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَى الصُّبَابِ فِي وَجَارِهَا ^(٥) ، أَطْبَقَتْ الْأَجْفَانُ عَلَى مَاقِبِهَا ،

(١) العشا : ضعف البصر .

(٢) سبحات النور : أطواره ودرجاته .

(٣) الانتلاق : اللّمعان . البلج : وضوح الضوء وظهوره .

(٤) أوضاح النهار : بياض الصبح .

(٥) الوجار : مكنها الذي تأوي إليه .

وَتَبَلَّغْتُ^(١) بِمَا اكْتَسَبْتَهُ مِنَ الْمَعَاشِ فِي ظِلِّ لَيْلِيهَا.

فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا نَهَارًا وَمَعَاشًا، وَالنَّهَارَ سَكْنًا وَقَرَارًا وَجَعَلَ
لَهَا أَجْنَحَةً مِنْ لَحْمٍ تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الطَّيَرَانِ، كَمَا أَنَّهَا شَطَايَا^(٢)
الْأَذَانِ غَيْرَ ذَوَاتِ رِيشٍ وَلَا قَصَبٍ^(٣)، إِلَّا أَنَّكَ تَرَى مَوَاضِعَ الْعُرُوقِ بَيِّنَةً
أَعْلَامًا^(٤).

لَهَا جَنَاحَانِ لَمَّا يَرِقًا فَيَنْشَقُّا، وَلَمَّا يَغْلُظَا فَيُثْقَلَا. تَطِيرُ وَلَدُهَا لاصِقًا بِهَا
لَاجِيءٍ إِلَيْهَا، يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ، وَيَرْتَفِعُ إِذَا ارْتَفَعَتْ، لَا يَقَارِقُهَا حَتَّى تَشْتَدَّ
أَرْكَانُهُ، وَيَحْمِلُهُ لِلنُّهْوضِ جَنَاحُهُ، وَيَعْرِفُ مَذَاهِبَ عَيْنِيهِ، وَمَصَالِحَ
نَفْسِيهِ.

فَسُبْحَانَ الْبَارِيءِ، لِكُلِّ شَيْءٍ، عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ! «^(٥)».

أُرَيتُمْ هَذَا الْوَصْفَ الدَّقِيقَ لِلْخُشَّاشِ الَّذِي تَفَرَّدَ عَنْ بَقِيَّةِ الطُّيُورِ بِخَصَائِصِهِ
وَمُمِيزَاتِهِ، وَلَمْ يَحِطْ عُلَمَاءُ بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ إِلَّا بَابُ مَدِينَةِ عِلْمِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي غَدَا
النَّبِيُّ بِعُلُومِهِ وَمَعَارِفِهِ.

الجراد :

ووصف ﷺ خلقه الجراد بقوله :

« وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي الْجَرَادَةِ، إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ، وَأَسْرَجَ لَهَا

(١) تبَلَّغْتُ : اكتمت .

(٢) شَطَايَا : جمع شَطِيَّة ، وهي شَقُّ الْأُذُنِ .

(٣) الْقَصَبُ : جمع قَصْبَةٍ ، وهي عُمُودُ الرِّيشَةِ .

(٤) أَعْلَامًا : ذِي رُسُومٍ ظَاهِرَةٍ .

(٥) نَهَجُ الْبَلَاغَةِ : ٤٦ .

حَدَقْتَيْنِ قُمْرَاوَيْنِ - أَي مَضِيئَةٍ كَالْتَمَرِ - ، وَجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ ، وَفَتَحَ
لَهَا الْقَمَّ السَّوِيَّ ، وَجَعَلَ لَهَا الْحِسَّ الْقَوِيَّ ، وَنَابَتَيْنِ بَيْنَهُمَا تَقَرُّضٌ ، وَمِنْجَلَيْنِ
بَيْنَهُمَا تَقْبِضٌ^(١) . يَرْهَبُهَا الزُّرَاعُ فِي زَرْعِهِمْ ، وَلَا يَسْتَعْلِيْعُونَ ذَهَبَهَا ، وَلَوْ
أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ ، حَتَّى تَرِدَ الْحَرْثُ فِي نَزَوَاتِهَا ، وَتَقْضِي مِنْهُ
شَهَوَاتِهَا^(٢) .

أَرَأَيْتُمْ هَذَا الْوَصْفَ الرَّائِعَ الدَّقِيقَ الَّذِي أَحَاطَ بِكُنْهَ هَذَا الْمَخْلُوقِ وَبِصِفَاتِهِ
وِخْوَصِهِ .

النملة :

انظروا إلى وصف الإمام للنملة ، وما فيها من عجائب الإبداع وجمال
الأسلوب قال ﷺ :

« وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ ، وَجَسِيمِ النُّعْمَةِ ، لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ ،
وَحَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ، وَلَكِنَّ الْقُلُوبَ غَلِيلَةٌ ، وَالْبَصَائِرُ مَذْخُولَةٌ ! أَلَا
يَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرِ مَا خَلَقَ ، كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ ، وَاتَّقَنَ تَرْكِيبَهُ ، وَفَلَقَ لَهُ
السَّمْعَ وَالْبَصَرَ ، وَسَوَّى لَهُ الْعَظْمَ وَالْبَشْرَ !

انظروا إلى النملة في صغر جثتها ، وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا ، لَا تَكَادُ تُنَالُ بِإِلْخِظِ
الْبَصْرِ ، وَلَا بِمُسْتَنْزَكِ الْفِكْرِ ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا ، وَصُبَّتْ عَلَى
رِزْقِهَا ، تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى جُحْرِهَا ، وَتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا .

تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِيَرْدِيَهَا ، وَفِي زُرْدِهَا لِصَدْرِهَا ، مَكْفُولٌ بِرِزْقِهَا ، مَرْزُوقَةٌ

(١) يقصد بالمنجلين : رجلها .

(٢) نهج البلاغة : ٨٥ ، الخطبة رقم ١٨٥ .

يُوفِقُهَا؛ لَا يُفْقِلُهَا الْمَنَانُ، وَلَا يَحْرِمُهَا الدُّيَانُ، وَلَوْ فِي الصُّفَا النَّيَاسِرِ،
وَالْحَجَرِ الْجَامِسِ - أَيِ الْجَامِدِ -! وَلَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا، فِي غُلُوبِهَا
وَسُقْلِهَا، وَمَا فِي الْجَوَفِ مِنْ شَرَاسِيفٍ بَطْنِهَا، وَمَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا
وَأُذُنِهَا، لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَبًا، وَلَقَبَيْتَ مِنْ وَضْعِهَا تَعَبًا! فَتَعَالَى الَّذِي
أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا، وَبَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا! لَمْ يَشْرَكْهُ فِي فِعْزَتِهَا فَاطِرُ،
وَلَمْ يُعِنَّهُ عَلَى خَلْقِهَا قَائِدُ.

وَلَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لَتَبَلَّغَ غَايَاتِهِ، مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى أَنَّ
فَاطِرَ النَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ النُّحْلَةِ، لِتَقْيِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ، وَغَايِضِ اخْتِلَافِ
كُلِّ حَيٍّ.

وَمَا الْجَلِيلُ وَاللَّطِيفُ، وَالثَّقِيلُ وَالْخَفِيفُ، وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ، فِي خَلْقِهِ
إِلَّا سَوَاءٌ»^(١).

٦ - علم الكلام

من العلوم التي وضع أصولها وقواعدها علم الكلام، ومنه أخذ المتكلمون
مناهج بحوثهم.

يقول ابن أبي الحديد: «ومن كلامه اقتبس، وعنه نقل، وإليه انتهى، ومنه
ابتدأ، فَإِنَّ الْمُعْتَزِلَةَ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ التَّوْحِيدِ وَالْعَدْلِ وَأَرْيَابِ النَّظَرِ، وَمَنْ تَعَلَّمَ النَّاسِ
هَذَا الْفَنَّ، تَلَامَذَتْهُ وَأَصْحَابُهُ لِأَنَّ كِبِيرَهُمْ وَأَصْلَ بْنَ عَطَاءٍ تَلْمِيزُ أَبِي هَاشِمٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ وَأَبُو هَاشِمٍ تَلْمِيزُ أَبِيهِ، وَأَبُوهُ تَلْمِيزُهُ عَلَيْهِ».

وَأَمَّا الْأَشْعَرِيَّةُ فَإِنَّهُمْ يَنْتَسِبُونَ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ أَبِي بَشَرٍ

الأشعري، وهو تلميذ أبي علي الجبائي، وأبو علي أحد مشايخ المعتزلة، فالأشعرية ينتهون بآخره إلى أستاذ المعتزلة ومعلمهم هو علي بن أبي طالب عليه السلام.

وأما الإمامية والزيدية فانتمائهم إليه ظاهر^(١).

ونهج البلاغة طافح بالبحوث الكلامية خصوصاً فيما يتعلق بالتوحيد الذي هو الأساس لهذا العلم قال عليه السلام:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الدَّالُّ عَلَى وَجُودِهِ بِخَلْقِهِ، وَيُخَدِّثُ خَلْقِهِ عَلَى أَرْزَلِيَّتِهِ؛ وَيُشَاقِقُهُمْ عَلَى أَنْ لَا شَيْءَ لَهُ.

لَا تَسْتَلِمُهُ الْمَشَاعِرُ^(٢)، وَلَا تُخَبِّهُ السَّوَابِرُ، لَا تَفِرَّاقِ الصَّانِعَ وَالْمَصْنُوعَ، وَالْحَادَّ وَالْمَخْدُودَ، وَالرَّبَّ وَالْمَرْيُوبَ؛ الْأَحَدَ بِلَا تَأْوِيلٍ عَدَدٍ، وَالْخَالِقَ لَا يَمْنَعُنِي حَرَكَةٌ وَتَنْصِبُ^(٣)، وَالسَّمِيعَ لَا بِأَذَاةٍ^(٤)، وَالْبَصِيرَ لَا بِتَفْرِيقِ آلَةٍ^(٥)، وَالشَّاهِدَ لَا بِمُتَاسَاةٍ، وَالْبَاطِنَ لَا بِتَرَاجُحٍ مَسَافَةٍ^(٦)، وَالظَّاهِرَ لَا بِرُؤْيَاةٍ، وَالْبَاطِنَ لَا بِلُطَافَةٍ.

بَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا، وَالْقُدْرَةُ عَلَيْهَا، وَبَانَتِ الْأَشْيَاءُ مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ، وَالرُّجُوعُ إِلَيْهِ.

مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ خَدَّهُ^(٧)، وَمَنْ خَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَرْزَلَهُ،

(١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ١: ١٧.

(٢) لا تستلمه المشاعر: لا تصل إليه الحواس.

(٣) التنصب - بالتحريك -: التعبد.

(٤) الأداة: الآلة.

(٥) تفريق الآلة: فتح الأجفان بعضها عن بعض.

(٦) البائن: المنفصل عن خلقه.

(٧) أي من كَيْفِهِ بكيفيات المحدثين.

وَمَنْ قَالَ: «كَيْفَ» فَقَدْ اسْتَوْصَفَهُ، وَمَنْ قَالَ: «أَيْنَ» فَقَدْ حَيَّزَهُ.

عَالِمٌ إِذْ لَا مَعْلُومَ، وَرَبٌّ إِذْ لَا مَرْبُوبَ، وَقَادِرٌ إِذْ لَا مَقْدُورَ»^(١).

وهذه اللوحة من كلامه عليه السلام صميم البحوث الكلامية التي عرضت إلى صفات الله تعالى الثبوتية والسلبية.

٧- علم الطبيعة - الفيزياء

من العلوم التي تستند معرفتها وبرامجها إلى الإمام عليه السلام هو علم الطبيعة الفيزياء، وهذه بعض نظرياته:

قال عليه السلام: «وَكُلُّ بَصِيرٍ غَيْرُهُ يَغْمَى عَنْ خَفِيِّ الْأَلْوَانِ وَلَطِيفِ الْأَجْسَامِ»^(٢).

إنَّ كثيراً من الحيوانات لا ترى الألوان، بل ترى الصور سوداء أو بيضاء فقط، أما الإنسان فإنه يرى الألوان السبعة التي هي ألوان الطيف المرئي، والتي تنحصر أطول موجاتها بين (٠,٤) ميكرون (البنفسجي) و(٠,٨) ميكرون (الأحمر)، أما الأشعاع التي تقع أطوال موجاتها خارج هذا المجال، فإنَّ الإنسان لا يراها، ومنها الأشعاع فوق البنفسجية، والأشعة تحت الحمراء، إذن فقدرته الإنسان البصرية محدودة.

أما الله تعالى فهو يرى كل جسم، وكل لون مهما كان نوعه أو لطافته، وقد وجد بقدرة الله تعالى أنَّ النحلة تستطيع أن تميّز بين أنواع الزهور وهي تطير في أعلى السماء^(٣).

(١) نهج البلاغة - محمد عبده ٢: ٥٣.

(٢) نهج البلاغة - محمد عبده ١: ١٠٨.

(٣) تصنيف نهج البلاغة: ٣١٢.

وقال عليه السلام: «في التجاربِ علمٌ مُستأنفٌ»، فهو حقاً واضح الطريقة التجريبية في العلوم الطبيعية، وهو بذلك يسبق «بيكون» قروناً، الذي نسب إليه الغربيون وضع الطريقة التجريبية^(١).

٨- الكهرباء

أشار الإمام عليه السلام إلى الكهرباء الذي هو مفتاح التقدم والتطور في حياة الإنسان، فقد كان عليه السلام جالساً على نهر الفرات ويده قضيب، فضرب به على صفحة الماء وقال: «لَوْ شِئْتُ لَجَعَلْتُ لَكُمْ مِنَ الْمَاءِ نُورًا وَنَارًا».

وفي قوله عليه السلام دلالة إلى ما في الماء من طاقة يمكن أن تولد النور وهو الكهرباء والنار وهو الطاقة الحرارية... وأنا نجد في الماء عنصرين: هما الهيدروجين والأكسجين.

الأول قابل للاحتراق وإعطاء النور، والثاني يساعد على الاحتراق ويعطي الحرارة.

وأبعد من ذلك فإن وجود الماء الثقيل في الماء الطبيعي بنسبة ٢ إلى ١٠٠٠٠ يجعله أفضل مصدر طبيعي للهيدروجين الثقيل الذي نسميه (الدوتيريوم) وهذا النظير المشع هو حجر الأساس في تركيب القنبلة الهيدروجينية القائمة على اندماج ذرتين من الدوتيريوم لتشكيل الهليوم، علماً بأن الطاقة الناتجة عن هذا الاندماج والتي هي منشأ طاقة الشمس تفوق آلاف المرات الطاقة الناتجة عن القنبلة الذرية التي تقوم على انشطار اليورانيوم...

إن هذه المعاني الدقيقة والأسرار العميقة تضمنتها قول الإمام عليه السلام الذي هو

باب مدينة علم النبي ﷺ ، وهو القائل :

« بَلِ انْذَمَجَتْ عَلَى مَكُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحِثَ بِهِ لَاضْطَرَّيْتُمْ اضْطِرَابَ الْأَرْضِيَّةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ » (١).

٩ - علم الطب

وأثرت عن الإمام ﷺ الكثير من الآراء الذهبية في علم الطب تدل على استيعابه لهذا العلم ، ومعرفته الكاملة بأسراره وهو القائل فيما يحتويه جسم الإنسان من الأجهزة والأنظمة العجيبة :

أَتَحْسَبُ أَنَّكَ جُزْمٌ صَغِيرٌ وَفِيكَ انْطَوَى الْعَالَمُ الْأَكْبَرُ
ذَوَاؤُكَ فِيكَ وَمَا تُبْصِرُ وَذَوَاؤُكَ مِنْكَ وَمَا تَشْعُرُ

عرض المرحوم الحاج محسن شلاش هذين البيتين على الدكتور جاك عبود طالباً منه تحليلهما على ضوء علم الطب فأجاب بعد المقدمة ما يلي :

« لقد ثبت في الاكتشافات الأخيرة بأن المناعة الموجودة في الإنسان طبيعية أو مكتسبة هي الخطأ الأممي والاستحكام الدفاعي الذي يصد هجمات العوارض الخارجية عن الإنسان ، مكروبية كانت أو فيزيائية ، حيث آخر ما وصلت إليه النظريات في الطب الوقائي الحديث استثمار هذه المناعة وتقويتها بالطرق الطبيعية أو الفيزيائية ، فإذا دخلت أو نفذت العوارض الخارجية إلى جسم الإنسان وأصبحت داء يتطلب العلاج ، فالدواء موجود في جسم الإنسان الذي فيه إمكان تعبئة عانة من جيوش جرارة مكنونة في الإنسان لمحاربة هذه الآفة العرضية ، ومثال ذلك إذا أصيب الجسم بمرض (أنثاني) يحدث ارتفاعاً فورياً في حرارة الجسم (الحمى)

التي ليست هي بمرض ، وإنما هي ظاهرة من ظواهر القوى المحاربة للدفاع ، وإذا أصيب شخص بذات الرئة مثلاً ولم ترتفع حرارة جسمه من الحمى بالنسبة المطلوبة يتشائم الأطباء من عواقب المرض لقلة الدفاع أو عدمه ، وفي علم المناعة الطبيعية الموجودة في الإنسان تؤكد هذا القول تأييداً قنياً لا مناقشة فيه ، وتقتصر مهمة الطبيب في اتباع طرق المعالجة التي ترشده عليه الطبيعة ، وعليه أن يتبع ذلك الإرشاد ، ويعزو النقص الحاصل بما توصل إليه العلم الحديث عن بصيرة كاستعمال مواد (السلفا والبنسلين) التي تشل حركة المكروبات وتضعفها عن النمو والتكاثر فيصبح حينئذ في استطاعة الجسم اكتساحها : « وَدَاوُكُ مِنْكَ وَمَا تَشْعُرُ » .

لقد فرضت المشيئة وقوانينها الطبيعية لصيانة الجسم من الخلل من قواه إلى حدّه المحدود ، وهيأت له أسباباً للبقاء من طرق المعيشة والانتعاش من مواهب الطبيعة في جميع أنحاء المعمورة ، وحسبما يلائم كل محيط منها بحكم الطبيعة التي يجب على الإنسان أن يشعر فيها ويتبعها كما أرشد فيها هذا الكلام ، وأرشد إلى وجود المدارك والحواس التي ترشد الإنسان إلى ما يتطلبه هذا الجسم من تلك المواهب فعليه أن يتطلع الشعور بها ويتبعها لصيانة الجسم من العلل ؛ لأنّ الطبيعة تجعله يدرك في احتياجه إلى الهواء الطلق وأشعة الشمس والمواد الغذائية الرئيسية بكمياتها وأنواعها التي تؤمن نمو ذلك الجسم ، والمحافظة على كيانه المطلوب ، ويشعر بحدود ما يتحمّله الجسم من الأتعاب وما يتطلبه من الراحة والنوم ، وما هو المفروض من ضرورة التجنّب عن الأغذية المصطنعة من تصرفات الإنسان على خلاف مقتضيات الطبيعة أو الغريبة عن طبيعة ذلك المحيط الذي يعيش فيه ، فإذا قصر عن تطبيق هذه الواجبات أو أسرف فيها جهلاً أو قهراً أو اختياراً فيكون دائه منه بطبيعة الحال كما جاء في هذا الكلام :

أَتَحْسَبُ أَنَّكَ جُزْمٌ صَغِيرٌ وَفِيكَ انْطَوَى الْعَالَمُ الْأَكْبَرُ

لست مغالياً إذا قلت : إِنَّ هذا الكلام ينجز إلى بحوث فلسفية عالية قد يكون معظمها ليس من اختصاص الأطباء ، ولكنني أشرح منها ما أستطيع .

حقاً إذا تأمل الإنسان في عظمة الكون ، وتبصّر في انطواء هذا العالم بحسب نفسه جرماً صغيراً إلا أنه لو تبخّر في تركيب جسمه ، ودرس علم التشريح بدقائقه وعلم الفلسفة الحديثة من جميع نواحيه لأخذه الهول من عظمة تكوين هذا الجسم الذي كلّ عضو من أعضائه كوّن في بابه يحتوي على ملايين من الحجيرات تقوم بأعمال ذات اختصاص مرتبطة ببعضها بغاية الدقّة والإحكام ، وحفظ التوازن والانتظام ومع هذه العظمة في تكوينه فإنّه حقاً جرم صغير غير أنّه المكون الصانع أضاف في طبيعة هذه المنظومة لهذا الجسم كونا آخر أعظم شأناً هو (الدماغ) الذي رفع ذلك الجرم الصغير إلى الجرم الكبير ، وجعل فيه انطواء هذا العالم الأكبر ، ذلك الدماغ الذي لم يكتشف العلم جميع مكوناته الدقيقة ولم يتوصّل إلى الوقوف على كيفية قيامه بمهمّاته التي من نتيجتها العقل والتعلّل ذلك العقل الذي جعل الإنسان متمكّناً من التغلب على عظمة هذا الكون ، وممارسة انطواء مقتضيات السيطرة على هذا العالم ^(١) .

وانتهى حديث الدكتور جاك عبود في تحليل كلام الإمام عليه السلام ، وكان ذلك قبل ثلاثين عاماً ، والآن قد تطوّر الطبّ إلى مرحلة هائلة في العمليات ، وغرس الأعضاء وغيرها .

وقد اكتشف حديثاً أنّ بعض الأعضاء إذا كان مصاباً بدُمّل ونحوه فإنّه يعالج بأخذ زرقه من العضو الصحيح ، وتزرق فيه ، وما يدرينا لعلّ الطبّ قد يكتشف أنّ في بصاق الإنسان وغيره من فضلاته دواء لبعض الأمراض ، وبذلك تكون صيدلية كامنة

رضاع الطفل من ثدي أمه :

وأكد الإمام عليه السلام على ضرورة رضاع الطفل من لبن أمه ، قال عليه السلام :

« مَا مِنْ لَبَنٍ يَرْضَعُ بِهِ الصَّبِيُّ أَغْظَمَ بَرَكَتَهُ عَلَيْهِ مِنْ لَبَنِ أُمِّهِ »^(١).

وقد أثبت الطب أن رضاع الطفل من لبن أمه يعود عليه بالنفع العميم ، فإن اللبن من ثدي معقم ، وفيه من التراكيب ما يتناسب مع سنّ الطفل ، وأما إطعام الطفل بغيره فإنه يسبّب له الكثير من الأمراض .

وقد بحثنا عن ذلك بصورة مفصلة ونافعة في كتابنا (نظام الأسرة في الإسلام) ، وبهذا العرض الموجز ننهي الحديث عما أثر عن الإمام عليه السلام في علم الطب .

١٠ - علم الجيولوجيا

من العلوم التي عرض عليها علم الجيولوجيا وذلك في بعض خطبه وأحاديثه والتي منها :

١ - قال عليه السلام :

« وَأَنْشَأَ الْأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اسْتِغَالٍ ، وَأَرْسَاهَا عَلَى غَيْرِ قَرَارٍ ، وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمٍ ، وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمٍ » .

الأرض كبقية الكواكب قائمة بقدرة الله تعالى وعظيم أمره في الفضاء ، لا تستند إلى قائمة تعتمد عليها ، ومن المضحك الرواية المفتعلة أنها قائمة على قرن ثور ، فإنها قد وضعتها اللجان التي أقامها معاوية لافتعال الحديث .

(١) مستدرک نهج البلاغة : ١٧١ .

٢- قال ﷺ :

« قَطَرُ الْخَلَائِقِ بِقُدْرَتِهِ ، وَنَشْرُ الرِّيحِ بِرَخْفَتِهِ ، وَوَقْدُ الصُّخُورِ مَبِيدَانِ أَرْضِهِ »^(١).

إنَّ الجبال التي خلقها الله تعالى والتي هي من عجائب مخلوقاته قد جعلها أوتاداً في الأرض من أن تميد بأهلها.

٣- قال ﷺ :

« وَعَدَلُ حَرَكَاتِهَا - أي الأرض - بِالرَّاسِيَّاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا ، وَقَوَاتِ الشَّخَاخِيصِ^(٢) الشُّمِّ مِنْ صَيَاخِيدِهَا^(٣) ، فَسَكَنَتْ مِنَ الْقَيْدَانِ^(٤) ... »^(٥).

تحدَّثَ ﷺ عن الجبال وأنها هي التي تمسك الأرض أن تميد بأهلها ، وبالإضافة لذلك فإنَّ لها أهميَّة بالغة فإنَّها تحافظ على التربة ، وعلى سطح الأرض من الزوال والانتقال ، فإنَّ سطح الأرض لو كان خالياً من الجبال لكان عرضة للتغيير المستمر.

١١- علم الفلسفة

ومن العلوم التي وضع أصولها وقواعدها ، الفلسفة الإلهيَّة ، وهو أوَّل من تبحَّر فيها وتكلَّم وفقاً لطريقة الاستدلال الحرِّ والبرهان المنطقي ، وتعرَّض لمائل فلسفية لم يتعرَّض لها فلاسفة العالم في وقته ، فاهتم بهذا الشأن اهتماماً بالغاً ، وحتى في

(١) نهج البلاغة - محمَّد عبده : ٧ .

(٢) الشخاخيصة : القمم .

(٣) الصياخيد : وهي الصخور الشديدة .

(٤) القيدان : الاضطراب .

(٥) المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة : ٣٥ .

أحلك ساعات الحرب ؛ إذ أن اعرابياً قام إليه يوم الجمل فسأله :

يا أمير المؤمنين ، أنقول إن الله واحد .

فحمل الناس عليه وقالوا : يا اعرابي ، أما ترى ما في أمير المؤمنين من تقسم القلب .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام :

« دَعُوهُ فَإِنَّ الَّذِي يُرِيدُهُ الْأَعْرَابِيُّ هُوَ الَّذِي نُرِيدُهُ مِنَ الْقَوْمِ » .

ثم قال :

« إِنَّ الْقَوْلَ فِي أَنْ اللَّهَ وَاحِدٌ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ :

فَوَجْهَانِ لَا يَجُوزَانِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَوَجْهَانِ يَتَبَيَّنَانِ فِيهِ .

فَأَمَّا اللَّذَانِ لَا يَجُوزَانِ عَلَيْهِ :

فَقَوْلُ الْقَائِلِ : وَاحِدٌ يَقْصُدُ بِهِ بَابَ الْأَعْدَادِ ، فَهَذَا لَا يَجُوزُ لِأَنَّ مَا لَا ثَانِي

لَهُ لَا يَدْخُلُ فِي بَابِ الْأَعْدَادِ ، أَمَا تَرَى أَنَّهُ كَفَرَ مَنْ قَالَ : إِنَّهُ ثَالِثٌ ثَلَاثَةً .

وَقَوْلُ الْقَائِلِ : هُوَ وَاحِدٌ مِنَ النَّاسِ ، يُرِيدُ بِهِ النَّوْعَ مِنَ الْجِنْسِ ، فَهَذَا مَا

لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ تَشْبِيهُ وَجَلَّ رُبُّنَا عَنْ ذَلِكَ وَتَعَالَى .

وَأَمَّا الْوَجْهَانِ اللَّذَانِ يَتَبَيَّنَانِ فِيهِ :

فَقَوْلُ الْقَائِلِ : هُوَ وَاحِدٌ لَيْسَ لَهُ فِي الْأَشْيَاءِ شِبْهُهُ ، كَذَلِكَ رَبُّنَا .

وَقَوْلُ الْقَائِلِ : إِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَحَدِي الْقَعْنَى ، يُعْنَى بِهِ أَنَّهُ لَا يَنْقَسِمُ فِي

وُجُودٍ وَلَا عَقْلِ وَلَا وَهْمٍ ، كَذَلِكَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ » ^(١) .

حرمة تعلم السحر:

حَرَّمَ الإمام علم السحر لأنه يُوَدِّي إلى شيع الضلال بين الناس ، ويدعو إلى التأخر والانحطاط ، فقد أثر عنه أن :

« السَّاحِرُ كَالْكَافِرِ ! وَالْكَافِرُ فِي النَّارِ » .

إنَّ الإسلام يدعو إلى التطوُّر والتقدُّم في ميادين العلوم ، والسحر يقف حائلاً دون تطوُّر الحياة فلذا حَرَّمه الإمام .

حرمة تعلم التنجيم :

أما علم النجوم فإن كان المراد من تعلُّمه معرفة الأنواء الجوية فلا إشكال في جوازه ، وإن كان المراد منه ربط الأحداث بالنجوم ، وأنها علَّة مؤثرة في تكوين الأمور فهذا من الكفر ، وقد نهى الإمام ﷺ عنه . فقد انبرى إليه منجِّم لما أراد السير إلى حرب الخوارج فقال له : إن سرت يا أمير المؤمنين في هذا الوقت خشيت أن لا نظفر بمرادك ، فقال ﷺ له :

« أَتَزْعَمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ الشُّؤْءُ ؟ وَتُخَوِّفُ مِنَ السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ الضُّرُّ ؟ فَمَنْ صَدَّقَكَ بِهَذَا فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ ، وَاسْتَفْتَى عَنِ الْإِسْتِغَاةِ بِاللهِ فِي نَيْلِ الْمَحْذُوبِ وَدَفْعِ الْمَكْرُوهِ » .

ثم أقبل على الناس وقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا كُنْمْ وَتَعَلَّمُ النَّجُومِ ، إِلَّا مَا يَهْتَدِي بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ ، فَإِنَّهَا قَدْ دُعُوا إِلَى الْكُهَانَةِ ، وَالْمُنْجِمِ كَالْكَاهِنِ ، وَالْكَاهِنُ كَالسَّاحِرِ ، وَالسَّاحِرُ كَالْكَافِرِ ! وَالْكَافِرُ فِي النَّارِ ! » ^(١) .

المَلَايِمُ وَالْمَغِيبَاتُ
الَّتِي أَخْبَرَ عَنْهَا الْأَمَامُ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

أما الإخبار بالمغيبات والملاحم التي تحققت بعد ذلك على مسرح الحياة فإنها من مختصات الأنبياء وأوصيائهم ؛ لأنها تكون شاهد صدق على نبوتهم ، وآية واضحة على رسالتهم ، وقد أخبر الرسول الأعظم ﷺ عن كثير من الأمور التي ستتحقق من بعده ، وفعلًا قد تحققت ، وكان من بين ما أخبر به ما يلي :

١ - أنه أخبر يوم الخندق بفتح الشام وفارس واليمن ، وتحقق جميع ذلك في حياته وبعد وفاته ، فقد رف لواء الإسلام على هذه المناطق ، وارتفعت فيها كلمة التوحيد ، وأفبرت الأفكار الجاهلية وعاداتها .

٢ - أحاط وصيته وباب مدينة علمه الإمام ﷺ علماً بشهادته ، أنه يقتله شبيه عاقر ناقة صالح ، ولم تمض السنون حتى عممه المجرم الأثيم ابن ملجم بالسيف ، وهو مائل بين يدي الله تعالى ، وذكره سبحانه بين شفتيه .

٣ - أخبر سيّدة نساء العالمين بضعته فاطمة الزهراء ﷺ أنها أول أهل بيته لحرقاً به ، ولم تمض إلا أيام حتى التحقت به .

٤ - أخبر المسلمين بشهادة ولده وريحانته الإمام الحسين على صعيد كربلاء ، وفعلًا فقد استشهد أبو الأحرار في كربلاء بأيدي الطغمة الحاكمة من بني أمية .

٥ - أخبر نساءه بأن إحداهن تكون صاحبة الجمل الأدب ، وتنبئها كلاب الحوآب ، يقتل عن يمينها ويسارها قتلى كثيرة ، وفعلًا فقد خرجت عائشة على وصي رسول الله ﷺ وأخيه ونفسه ، مطالبة بدم عثمان الذي أفتت بكفره ومروقه من

الدين ، وقد نبحتها كلاب الحوَّاب في طريقها لاحتلال البصرة ، كما قتل من معسكرها ومعسكر الإمام خلق كثير .

٦- أعلم النبي ﷺ الصحابي العظيم الطَّيِّب ابن الطَّيِّب عَمَّار بن ياسر عن شهادته على أيدي الفئة الباغية ، وأنَّ آخر شرابه من الدنيا ضياح من لبن ، وفعلًا فقد استشهد هذا العملاق بأيدي الفئة الباغية من جند معاوية ، وكان آخر شرابه من الدنيا ضياح من لبن سقته إحدى السِّدَّات في جيش الإمام ﷺ .

٧- أنه أسر إلى أهل بيته أنهم المستضعفون من بعده ، وقد جرى عليهم الظلم والاعتداء من بني أُمَيَّة وبني العباس ، وتجرَّعوا من الغصص والنكبات ما لا نظير لها في فضاعتها ومرارتها ، فكانوا حقًا من المستضعفين ومن المعدَّبين في الأرض .

وكثير من أمثال هذه الأحداث أخبر عنها الصادق الأمين ، وقد جرت كلُّها كما أخبر ﷺ ، وقد أدلى بكثير من الأحداث الجسام التي قالها إلى وصيه وباب مدينة علمه الإمام أمير المؤمنين ﷺ .

وقبل التحدُّث عن الملاحم والأحداث التي أخبر عنها قبل وقوعها نتعرَّض إلى ما أثر عنه من سعة علومه ، وإحاطته الكاملة بما سيجري في الدنيا ، ولنستمع إلى ذلك :

١- أنه لما بايعه الناس بالخلافة خرج إلى الجامع النبوي معتمًا بعمامة رسول الله ﷺ ، لا بسأ برده ، متعللاً ببعله ، متقلداً سيفه ، فارتقى المنبر وشبك بين أصابعه فوضعها في أسفل بطنه ثم قال :

« يَا مَعْشَرَ النَّاسِ ، سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، هَذَا سَقَطُ الْعِلْمِ ، هَذَا لَعَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، هَذَا مَا رَزَقَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَقًا رَقًا .
سَلُونِي فَإِنْ عِنْدِي عِلْمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ .

أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ ثَبِّتَ لِي الْوَسَادَةُ فَجَلَسْتُ عَلَيْهَا لِأَفْتَيْتُ أَهْلَ التَّوْرَةِ بِتَوَارِيثِهِمْ حَتَّى تَنْطِقَ التَّوْرَةُ فَيَقُولَ: صَدَقَ عَلَيَّ مَا كَذَبَ، لَقَدْ أَفْتَاكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي.

وَأَفْتَيْتُ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِإِنْجِيلِهِمْ حَتَّى يَنْطِقَ الْإِنْجِيلُ فَيَقُولَ: صَدَقَ عَلَيَّ مَا كَذَبَ، لَقَدْ أَفْتَاكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي.

وَأَفْتَيْتُ أَهْلَ الْقُرْآنِ بِقُرْآنِهِمْ حَتَّى يَنْطِقَ الْقُرْآنُ فَيَقُولَ: صَدَقَ عَلَيَّ مَا كَذَبَ، لَقَدْ أَفْتَاكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي، وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْقُرْآنَ لَيْلًا وَنَهَارًا، فَهَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ يَعْلَمُ بِمَا أَنْزَلَ فِيهِ؟

وَلَوْلَا آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِأَخْبَرْتُكُمْ بِمَا كَانَ، وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾.

ثُمَّ قَالَ: سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، قَوْلَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْ سَأَلْتُمُونِي عَنْ آيَةٍ آيَةٍ فِي لَيْلٍ أَنْزَلْتُ أَوْ فِي نَهَارٍ، مَكِّيَّهَا وَمَدْيَنِيَّهَا، سَفَرِيَّهَا وَحَضَرِيَّهَا، نَاسِخِهَا وَمَنْسُوخِهَا، وَمُحْكَمِهَا وَمُتَشَابِهِيَّهَا، وَتَأْوِيلِهَا وَتَنْزِيلِهَا لِأَخْبَرْتُكُمْ...»^(١).

أَرَأَيْتُمْ سَعَةَ مَعَارِفِهِ وَعِلْمِهِ وَمَا يَحْمِلُهُ مِنْ كُنُوزٍ قَدْ حَوَتْ أَسْرَارَ الْكُونَ، وَمَنْ الْمَوْسُفُ أَنَّ هَذَا الْعَمَلِاقَ الْعَظِيمَ يَقْرَنُ بِأَعْضَاءِ الشُّرَى الَّذِينَ لَا يَفْقَهُونَ بَعْضَ مَا يَفْقَهُهُ الْإِمَامُ.

٢- رَوَى الْأَصْبَغُ بْنُ نَهَاتَةَ قَالَ: خَطَبَنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَلَى مَنْبَرِ الْكُوفَةِ، فَحَمَدَ

(١) بحار الأنوار ١٠: ١١٧-١١٨، وقريب منه في فرائد السمطين. مناقب الخوارزمي: ٩١.

الله وأنتى عليه ثم قال :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَإِنَّ بَيْنَ جَوَانِحِي عِلْمًا جَمًّا »^(١).

٣ - قال رحمه الله :

« قَاسَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ ، وَلَا عَنْ فِتْنَةٍ تَهْدِي مِنْتَهُ وَتُضِلُّ مِنْتَهُ إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاقِعِهَا وَقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا »^(٢).

٤ - قال رحمه الله وهو على منبر الكوفة :

« سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَإِنَّا لَا أَسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ دُونَ الْعَرْشِ إِلَّا أَجَبْتُ عَنْتَهُ ، لَا يَقُولُهَا بَغْدِي إِلَّا مُدْعٍ أَوْ كَذَّابٌ »^(٣).

٥ - قال رحمه الله :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَلَأَنَّا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنْنِي بِطُرُقِ الْأَرْضِ »^(٤).

ومن المؤكّد أنّه لم يتفوّه أحد من الصحابة وغيرهم بمثل هذا الكلام كما يقول ابن عبد البر^(٥).

(١) المصدر السابق ١٠ : ١٢١.

(٢) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ٢ : ٢٨٦ . بحار الأنوار ١٠ : ١٢٦.

(٣) بحار الأنوار ١٠ : ١٢٨.

(٤) الاستيعاب ٣ : ٣٩.

(٥) الرياض النضرة : ١٩٨ . الصواعق المحرقة : ٧٦ . المناقب - الموفق بن أحمد الخوارزمي :

٩١ . فضائل الصحابة - ابن حنبل ٢ : ٦٤٦.

على أي حال فقد وهب الله هذا الإمام العظيم من العلوم والمعارف والحكمة ما لا يحصى ، كما أحاطه علماً بما سيجري في الكون من أحداث ، وقد أخبر عن بعضها ، وتحققت على مسرح الحياة ، وقد اصطلح العلماء على تسمية ما أخبر به من الأحداث بالملاحم ، كان منها ما يلي :



إخباره بقتل الحسن عليه السلام

عندما اغتال ابن ملجم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فغشى عليه ولده الحسن عليه السلام فأخذ يبكي على أبيه مهما ساعدته الجفون ، فسقطت قطرات من دموعه على وجه الإمام فأفاق ، فلما رآه قال له مهدأ روعه :

« يَا بُنَيَّ، مَا هَذَا الْبُكَاءُ؟ لَا خَوْفٌ وَلَا جَزَعٌ عَلَيَّ أَبِيكَ بَعْدَ الْيَوْمِ.
يَا بُنَيَّ، لَا تَبْكِ، فَإِنَّتِ تُقْتَلُ بِالشَّمِّ... »^(١).

إخباره بقتل الحسين عليه السلام

استشف الإمام عليه السلام من وراء الغيب بما يجري على ولده ربحانة رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام الحسين عليه السلام من القتل والتنكيل ، فأشاع ذلك بين الناس ، كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله من قبل ، وقد أدلى الإمام عليه السلام بذلك في كثير من المناسبات وهذه بعضها :

١ - روى عبدالله بن نجبي عن أبيه أنه سافر مع الإمام عليه السلام إلى صفين ، وكان صاحب مطهرته ، فلما حاذى نينوى ، تألم الإمام وفرع كاشد ما يكون الفرع ، ورفع صوته بأسى وحزن قائلاً :

« صَبْرًا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، صَبْرًا بِسَطِّ الْفُرَاتِ » ، ويهر عبدالله وانبرى قائلاً :

من ذا أبو عبدالله ؟

فأجابه الإمام بنبرات تقطر حزناً قائلاً :

« دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَعَيْنَاهُ تَفِيضَانِ ، فَقُلْتُ :

يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، هَلْ أَلْغَضَبَكَ أَحَدٌ ؟ مَا شَأْنُ عَيْنَيْكَ تَفِيضَانِ ؟

قَالَ : قَامَ مِنْ عِنْدِي جَبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ أُمَّتِي تَقْتُلُ الْحُسَيْنَ ابْنِي .

ثُمَّ قَالَ : هَلْ لَكَ أَنْ أُرِيكَ مِنْ قُرْبَتِهِ ؟

قُلْتُ : نَعَمْ .

فَمَدَّ يَدَهُ، فَقَبِضَ. فَلَمَّا رَأَيْتُهَا لَمْ أَطْلِكْ عَيْنِي أَنْ قَاضَا»^(١).

٢- روى هرثمة بن سليم قال: غزونا مع علي بن أبي طالب غزوة صفين، فلما نزلنا بكربلاء صلى بنا صلاة، فلما سلم رفع إليه من تربتها شيئاً فشمها، ثم قال: «وَاهَا لَكِ أَيُّهَا الثَّرِيمَةُ، لَيْتُ حَشَرَنُ مِنْكَ قَوْمٌ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ».

وعجب هرثمة من حديث الإمام، ولم يكن من الداهيين إلى إمامته، فلما رجع من صفين حدث زوجته جرداء بنت سمير بما سمعه من الإمام، وكانت شيعة له فقالت له: دعنا منك أيها الرجل فإن أمير المؤمنين لم يقل إلا حقاً...

ولم تمض الأيام حتى بعث المجرم ابن زياد بجيوشه إلى كربلاء لحرب ريحانة رسول الله ﷺ، وكان هرثمة من جملة الخارجين لحربه، فلما انتهى إلى كربلاء ورأى الحسين وأصحابه تذكر قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فكره حربه، وأقبل إلى الإمام الحسين عليه السلام فأخبره بما سمعه من أبيه فقال له الإمام: «مَعَنَا أَنْتَ أَمْ عَلَيْنَا؟».

- لا معك ولا عليك، تركت أهلي وولدي، وأخاف عليهم من ابن زياد..
فنصحه الإمام قائلاً:

«وَلْ هَارِباً حَتَّى لَا تَرَى لَنَا مَقْتَلًا، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بَيْنَ يَدَيْهِ لَا يَرَى مَقْتَلَنَا الْيَوْمَ أَحَدٌ وَلَا يَفِيضُنَا إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ...».

وانهزم هرثمة وولّى هارباً، ولم يشترك في حرب الإمام الحسين^(٢).

(١) تاريخ ابن عساكر ١٣: ٥٧ - ٥٨. المعجم الكبير - الطبراني، رواه في ترجمته الإمام الحسين عليه السلام ١٠٦: ٣.

(٢) وقعة صفين: ١٥٧. نهج البلاغة ٣: ١٧٠.

٣- روى أبو جعفر قال : جاء عروة البارقي إلى سعيد بن وهب ، وأنا أسمع ، فقال : حديث حدثني عن علي بن أبي طالب ، قال : نعم ، بعثني مخنف بن سليم إلى علي فأتيته بكرلاء فوجدته يشير بيده ، ويقول : « هاهنا ، هاهنا » .

فبادر إليه رجل فقال له : ما ذاك يا أمير المؤمنين ؟
فقال عليه السلام : « ثَقُلُ آلُ مُحَمَّدٍ يَنْزِلُ هَاهُنَا ، قَوْلُ لَهُمْ مِنْكُمْ ، وَوَيْلُ لَكُمْ مِنْهُمْ » .
وانبرى الرجل قائلاً : ما معنى هذا الكلام يا أمير المؤمنين ؟
فأجابه الإمام :

« وَيْلُ لَهُمْ مِنْكُمْ تَقْتُلُونَهُمْ ، وَقَوْلُ لَكُمْ مِنْهُمْ يَدْخِلُكُمْ اللَّهُ بِقَتْلِهِمُ النَّارَ » ^(١) .
٤- روى الحسن بن كثير عن أبيه أَنَّ عَلِيًّا أَتَى كِرْبَلَاءَ فَوَقَفَ بِهَا ، فَقِيلَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَذِهِ كِرْبَلَاءُ ...

فأجابه الإمام بأذى وأسى قائلاً :
« ذَاتُ كَرْبٍ وَبَلَاءٍ ... » ، ثُمَّ أَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى مَوْضِعٍ مِنْهَا ، فَقَالَ :
« هَاهُنَا مَوْضِعُ رِحَالِهِمْ - أَيِ خِيَمِهِمْ - » ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ مِنْهَا فَقَالَ :
« هَاهُنَا مُهْرَاقُ دِمَائِهِمْ » ^(٢) .

٥- روى أبو حنيفة قال : صحبت علياً حتى أتى الكوفة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
« كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ بِثَرِيَّةٍ نَبِيَّكُمْ الْبَلَاءَ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ ؟ »
فأجابوه : إِذَا نَبَلَى اللَّهُ فِيهِمْ بَلَاءٌ حَسَنًا ...

(١) وقعة صفين : ١٥٨ .

(٢) نهج البلاغة ٣ : ١٦٩ . وقعة صفين : ١٥٨ .

وَرَدَّ عَلَيْهِمُ الْإِمَامُ مُفْتَدًا لِمَزَاعِمِهِمْ قَائِلًا:

«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَنْزِلَنَّ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ وَلَتَخْرُجَنَّ إِلَيْهِمْ فَلَتَقْتُلُنَّهُمْ».

ثُمَّ قَالَ:

«هُمْ أَوْزَدُوهُ بِالْفُرُورِ وَعَرَّدُوا أَحَبُّوًا نَجَاةً لَا نَجَاةَ وَلَا عُذْرَ»^(١)

لقد رفع الكوفيون آلاف الرسائل إلى سيّد الأباة وزعيم الأحرار الإمام الحسين عليه السلام لينفذهم من عنف الأمويين وظلمهم فاستجاب لهم ، فلما حلّ في ديارهم اجتمعوا عليه فقتلوه مع السادة العلويين من أبنائه وإخوانه وأبناء عمومته ، ومعهم النخبة الصالحة من أشراف الدنيا من أصحابه ، ومثلوا سرّاً تمثيل بأجسامهم الطاهرة ، ورفعوا رؤوسهم على الرماح هدية لابن مرجانة وسيّده يزيد... فكانت مأساة مروعة لم يشهد لها مثيل في تاريخ البشرية .

٦- روى أبو هرثمة قال: كنت مع عليّ بنهر كربلاء ، فمرّ بشجرة تحتها بعمر غزلان فأخذ من التراب قبضة فشمّها ، ثم قال :

«يُحْشَرُ مِنْ هَذَا الظُّهْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ»^(٢).

٧- روى الطبراني بسنده أنّ الإمام عليّ عليه السلام قال :

«لَيَقْتُلَنَّ الْحُسَيْنُ ، وَإِنِّي لَأَعْرِفُ الثُّرْبَةَ الَّتِي يُقْتَلُ فِيهَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ»^(٣).

٨- روى ثابت عن سويد بن غفلة أنّ الإمام عليه السلام خطب ذات يوم فقام رجل من تحت منبره فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنني مررت بوادي القرى فوجدت خالد بن عرفة قد مات ، فاستغفر له... ؟

(١) مجمع الزوائد ٩ : ١٩٠ . المعجم الكبير - الطبراني ٣ : ١١٠ ، الرقم ٢٨٢٣ .

(٢) مجمع الزوائد ٩ : ١٩١ . المعجم الكبير - الطبراني ٣ : ١١٨ ، الرقم ٢٨٢٥ .

(٣) مجمع الزوائد ٩ : ١٩٠ . المعجم الكبير - الطبراني ٣ : ١١٧ ، الرقم ٢٨٢٤ .

فرد عليه الإمام :

« مَهْ إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ ، وَلَا يَمُوتُ حَتَّى يَقُودَ جَيْشَ ضَلَالَةٍ ، صَاحِبُ لُؤَائِهِ حَبِيبُ بْنُ حِمَازٍ ... » .

فقام إليه رجل وقال : يا أمير المؤمنين ، أنا حبيبُ بنِ حِمَازٍ ، وإني لك شبيعة ! وكثر الإمام قوله : « أَنْتَ حَبِيبٌ » فيجيب : نعم ، فقال ﷺ :

« إِي وَاللَّهِ إِنَّكَ لَحَامِلُهَا ، وَلَتَحْمِلُنَّهَا ، وَلَتَدْخُلَنَّ مِنْ هَذَا الْبَابِ » ، وأشار إلى باب الفيل ، وهو أحد أبواب مسجد الكوفة .

قال ثابت : والله ما مات حتى رأيت ابن زياد قد بعث عمر بن سعد إلى قتال الحسين ، وجعل خالد بن عرفطة على مقدمة الجيش ، وحبيب بن حِمَاز صاحب رايته ، فدخل بها من باب الفيل ^(١) .

٩ - روى عبد السمين : أَنَّ أمير المؤمنين ﷺ كان يخطب :

« سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، قَوَالَهُ مَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ مَضَى ، وَلَا شَيْءٍ يَكُونُ إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِهِ » .

قال : فقام إليه سعد بن أبي وقاص وقال : يا أمير المؤمنين ، اخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة ؟

فقال : « وَاللَّهِ لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ مَسْأَلَةٍ حَدَّثَنِي خَلِيلِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّكَ سَتَسْأَلُنِي عَنْهَا وَمَا فِي رَأْسِكَ وَلِحْيَتِكَ مِنْ شَعْرَةٍ إِلَّا وَفِي أَضْطِلَافِ شَيْطَانٍ جَالِسٍ ، وَإِنْ فِي بَيْتِكَ لَسَخْلًا يَقْتُلُ الْحُسَيْنَ ابْنِي ... » ، وعمر يومئذ يدرج بين يدي أبيه ^(٢) .

(١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ٢ : ٢٨٦ .

(٢) كامل الزيارات : ٧٤ .

١٠ - خطب الإمام عليه السلام فكان من بنود خطابه :

« سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَوَاللَّهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ فِتْنَةٍ تُضِلُّ مَائَةَ ، أَوْ تَهْدِي مَائَةَ إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَائِعِهَا وَسَائِقِهَا ، وَلَوْ شِئْتُ لَأَخْبَرْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَذْخَلِهِ وَجَمِيعِ شَأْنِهِ » .

فانبرى له الوغد الخبيث تميم بن أسامة ، فقال له ساخراً : كم في رأسي طاقة شعر ؟

فرمقه الإمام بطرفه وقال له :

« أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ أَيْنَ بُرْهَانُهُ لَوْ أَخْبَرْتُكَ بِهِ ، وَلَقَدْ أَخْبَرْتُكَ بِقِيَامِكَ ، وَمَقَالِكَ ، وَقِيلَ لِي : إِنَّ عَلَى كُلِّ شَعْرَةٍ مِنْ شَعْرِ رَأْسِكَ مَلَكًا يَلْعَنُكَ ، وَشَيْطَانًا يَسْتَفِزُّكَ ، وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ فِي بَيْتِكَ لَسَخْلًا يَقْتُلُ ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ، وَيَحْضُضُ عَلَى قَتْلِهِ » .

قال ابن أبي الحديد : « كان الأمر بموجب ما أخبر به عليه السلام كان ابنه حصين - وهو ابن تميم - يومئذ طفلاً صغيراً يرضع اللبن ، ثم عاش إلى أن صار على شُرْطَةِ عبيد الله بن زياد ، وأخرجه عبيد الله إلى عمر بن سعد يأمره بمناجزة الحسين عليه السلام ويتوعده على لسانه إن أرجأ ذلك ، فبلغ ابن سعد بذلك ، فقتل عليه السلام صبيحة اليوم الذي ورد فيه الحصين بالرسالة في ليلته » (١) .

١١ - قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للبراء بن عازب :

« يَا بَرَاءُ ، يُقْتَلُ ابْنِي الْحُسَيْنُ وَأَنْتَ حَيٌّ لَا تَنْصُرُهُ ؟ » .

فقال البراء : لا كان ذلك يا أمير المؤمنين .

(١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ١٠ : ١٤ .

ولم تمض الأيام حتى استشهد سيّد شباب أهل الجنّة بتلك القتلة المروعة التي أذابت القلوب ، وكان البراء حيّاً ، فتذكّر مقالة الإمام ، وندم كأشدّ ما يكون من الندم ، وقال : أعظم بها حسرة إذ لم أشهده وأُقتل دونه ^(١) .

١٢ - قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

« كَأَنِّي بِالْقُصُورِ قَدْ شَيْدَتْ حَوْلَ قَبْرِ الْحُسَيْنِ ، وَكَأَنِّي بِالْأَسْوَاقِ قَدْ حَفَّتْ حَوْلَ قَبْرِهِ ، وَلَا تَلْهَبُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى يُسَارَ إِلَيْهِ مِنَ الْآفَاقِ ، وَذَلِكَ بَعْدَ انْقِطَاعِ بَنِي مُرْوَانَ ... » ^(٢) .

وتحقّق ما أخبر به الإمام عليه السلام ، فقد استشهد الإمام أبو الأحرار بأيدي العصابة الأموية المجرمة ، وقد جهدوا على طمس قبر الإمام عليه السلام وإخماد ذكره ، ولما انقضت دولتهم وتمزّقت أشلاؤهم ظهر مرقّد سيّد الشهداء عليه السلام كأعزّ مرقّد في دنيا الإسلام ، تهفو إليه القلوب ، ونشدّ إليه الرحال من كلّ فجّ عميق ، فالسعيد الذي يحظى بزيارته ، ويلثم أعتاب مرقّده وضريحه .

لقد أصبح مرقّد أبي الأحرار رمزاً للكرامة الإنسانية ومناراً مشرقاً لكلّ تضحية تقوم على الشرف والكرامة ، سلام الله عليك يا أبا عبد الله وعلى أبنائك وأصحابك .

(١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ١٠ : ١٤ .

(٢) مستند الإمام زيد : ٤٧ .

إخباره بعدد الجيش الذي جاء لنجده

ولمّا أرسل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى الكوفة ليستنفر أهلها ، واستعين بهم في حرب الجمل ، قال عليه السلام لابن عباس :
 « سَوْفَ يَأْتِي وَلِيِّي الْحَسَنُ هَذَا الْيَوْمَ وَمَعَهُ عَشْرَةُ آلَافٍ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ ،
 وَلَا يَنْقُصُ وَاحِدٌ وَلَا يَزِيدُ وَاحِدٌ » .

قال ابن عباس : فلمّا وصل الحسن بالجند لم تكن لي همّة إلا مسألة الكاتب عن عدد الجند فسألته عن ذلك فقال : عشرة آلاف فارس وراجل لا ينقص واحد ولا يزيد واحد ، فعلمت أنّ ذلك العلم من الأبواب التي علّمه بها رسول الله ﷺ (١) .

إخباره بشهادة كوكبة من أصحابه

واستشفَّ وصي رسول الله ﷺ ومستودع أسرارهِ من وراء الغيب ما يجري على خُلص أصحابهِ الذين غَدَّاهم بمواهِبه وحكمته من القتل والتنكيل والاعدام من بعده على يد الطغمة الحاكمة الأموية .

وهؤلاء بعض الشهداء من أصحابهِ الذين استبيحت دماؤهم لا لذنوب اقترفوها وإنما لولائهم للإمام رمز العدالة الإنسانية ، وهم :

١ - عمرو بن الحمق ؓ :

وهو من أعلام الإسلام ، ومن ألمع شهداء الفضيلة ، استباح الطاغية الفاجر ابن هند دمه ؛ لأنه من خُلص أصحاب الإمام ، وأمر أن يطاف برأسه من العراق إلى الشام ... وقد أحاط الإمام عليه السلام عمراً بذلك في حديثه التالي فقد قال له :
« أَيْنَ نَزَلْتَ يَا عَمْرُو ؟ » .

في قومي .

« لَا نَنْزِلُ فِيهِمْ » .

وقد نهى عن النزول والاستيطان في قومه لأنهم لا يحمونه إن نزلت به كارثة ، وقد أمره الإمام بالنزول في بني عمرو بن عامر من الأزد لأنهم لا يسلموه عند الشدة .
ثم التفت إليه بألم وحزن قائلاً :

«إِنَّكَ لَمَقْتُولٌ بَعْدِي، وَإِنْ رَأْسَكَ لَمَنْقُولٌ، وَهُوَ أَوَّلُ رَأْسٍ يُنْقَلُ فِي
الْإِسْلَامِ، وَالْوَيْلُ لِقَاتِلِكَ...»

أَمَّا إِنَّكَ لَا تَنْزِلُ بِقَوْمٍ إِلَّا اسْلَمُوا بِرُءُوسِكَ إِلَّا هَذَا الْفَخْرِيُّ مِنْ بَنِي عَفْرِو بْنِ
عَامِرٍ فَإِنَّهُمْ لَنْ يُسْلِمُوا وَلَنْ يَخْذُلُوكَ».

ولمّا أفلت دولة العدل والحقّ وآل الحكم إلى ابن هند أوعز إلى شرطته
وعملائه بإلقاء القبض عليه، ولمّا علم عمرو بذلك استولى عليه الذعر والخوف،
فنزل في قومه من بني خزاعة، فسلموه إلى الشرطة، ونقّذ فيه الإعدام، وحملوا
رأسه هدية إلى معاوية بالشام، وطيف به في البلدان^(١).

فكان أوّل رأس طيف به في الإسلام، وهو يحمل مشعل النور والكرامة ويهدي
الناس للنبي الذي هو أقوم.

وأمر الطاغية بحمل الرأس الشريف إلى زوجته آمنه بنت الشريد، وكانت في
سجنونه، وألقت الشرطة رأس زوجها في حجرها فذعرت وانهارت قواها وأخذت
دموعها تتبلور على سحنات وجهها قائلة: واحزنانه لصغره في دار هوان، وضيق من
ضيمة سلطان، نفيتموه عنّي طويلاً، وأهديتموه إليّ قتيلاً، فأهلاً وسهلاً بمن كنت له
غير قالية، وأنا له اليوم غير ناسية... والتفتت إلى الحرس بشجاعة قائلة:

ارجع به أيّها الرسول إلى معاوية فقل له ولا تطوه دونه، أيتّم الله ولدك،
وأوحش منك أهلك ولا غفر لك ذنبك...، وبادر الشرطي إلى معاوية فأخبره
بمقاتلتها فغضب وورم أنفه، وأمر بإحضارها في بلاطه، فأحضرتها جلاوزته فبادرها
قائلاً:

أَنْتِ يَا عَدُوَّةَ اللَّهِ صَاحِبَةُ الْكَلَامِ الَّذِي بَلَغَنِي ؟

فأجابته بشجاعة وصلابة غير حافلة بسلطانه قائلة : نعم غبر نازعة عنه ، ولا معتذرة منه ، ولا منكورة له ، فلعمري لقد اجتهدت في الدعاء ، إن نفع الاجتهاد وإن الحق لمن وراء العباد ، وما بلغت شيئاً من جزائك ، وإن الله بالنقمة لمن ورائك

والنفت أحد خدمة السلطة إلى معاوية قائلاً :

أقتل هذه يا أمير المؤمنين ، فوالله ما كان زوجها أحق بالقتل منها .

فسخرت منه وقالت ببطولة نادرة :

تبأ لك ، ويلك بين لحبيك كجثمان الضفدع ، ثم أنت تدعوه إلى قتلي كما قتل زوجي بالأمس ... إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض ، وما تريد أن تكون من المصلحين ...

ويهر معاوية وقال لها :

لله دَرَكٌ اخرجني ، ثم لا أسمع بك في شيء من الشام .

لقد خاف من بقائها في الشام لثلاث تَبَثِّ الوعي السياسي بين الشاميين فقد جهد معاوية على إبقائهم على غفلتهم وجهلهم .

وخرجت المرأة من الشام بعد أن أفحمت معاوية بمنطقها الفَيَّاض^(١) .

٢ - ميثم التمار عليه السلام :

أما ميثم التمار فهو من خيار أصحاب الإمام ، وقد ملئ إيماناً وصدقاً وإخلاصاً للإمام عليه السلام ، وقد عهد إليه الإمام بالكثير من علومه ، وأطلعه على بعض الأمور الغيبية ، وكان ميثم يتحدث عنها ، فأنكرها قوم من الكوفيين ، ونسبوه إلى المخرفة^(٢) .

(١) حياة الإمام الحسن عليه السلام ٢ : ٣٧٨ - ٣٨٢ .

(٢) المخرفة : وهم الذين يفعلون الكذب .

كان ميشم عبداً لامرأة من بني أسد اشتراه الإمام منها وأعتقه ، وقال له :
« مَا اسْمُكَ ؟ » .

سالم .

وراح الإمام يخبره بما سمعه من رسول الله ﷺ في شأنه قائلاً :
« إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخْبَرَنِي أَنَّ اسْمَكَ الَّذِي سَمَاكَ بِهِ أَبُوكَ فِي الْعَجَمِ
مَيْثَمٌ » .

ويهر ميشم وقال : صدق الله ورسوله ، وصدقت يا أمير المؤمنين فهو والله
اسمي !!

« فَارْجِعْ إِلَى اسْمِكَ ، وَدَعْ سَالِمًا فَتَحْنُ نَكْنِيكَ بِهِ » .

وأتصل ميشم بالإمام اتصالاً وثيقاً ، فكان من أقرب الناس إليه ، وألصقهم به ،
وأخبره الإمام بما يجري عليه من النكبات والخطوب من بعده قائلاً :

« يَا مَيْثَمُ ، إِنَّكَ تَوْحَدُ بَعْدِي وَتُصَلَّبُ ، فَإِذَا كَانَ الْيَوْمَ الثَّانِي ابْتَئِزْ مِنْخَرَكُ
وَقَمَلِكَ دَمًا ، حَتَّى تَغْضَبَ لِيَحْيَتِكَ ، فَإِذَا كَانَ الْيَوْمَ الثَّالِثُ طُعِنْتَ بِحَزْرِيَّةٍ
يَقْضَى عَلَيْكَ ، فَانْتَظِرْ ذَلِكَ .

وَالْمَوْضِعُ الَّذِي تُصَلَّبُ فِيهِ عَلَى بَابِ دَارِ عَمْرُو بْنِ حَرْيِثٍ إِنَّكَ لَعَاشِرُ
عَشْرَةٍ ، أَنْتَ أَقْصَرُهُمْ خَشَبَةً ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنَ الْمَطْهَرَةِ - وَهِيَ الْأَرْضُ -
وَلَأَوَّلُكَ النَّخْلَةَ الَّتِي تُصَلَّبُ عَلَى جَذْعِهَا ... » .

وسار ميشم مع الإمام فأراه النخلة التي يصلب عليها ، فكان ميشم يأتيها ويصلي
عندها ، ويقول : بوركت من نخلة ، لك خلقت ولي نبئ .. ولم يزل يتعاهدها بعدما
أخبره الإمام ، وقطعت النخلة وبقي جذعها ، فلم يزل ميشم يتعاهدها ، وكان يلقي
عمرو بن حريث فيقول له : إني مجاورك فأحسن جوارِي ، ولم يعلم ابن حريث ماذا
يريد ميشم ، فكان يقول : أتريد أن تشتري دار ابن مسعود أم دار ابن حكيم .

وحجّ ميثم في السنة التي استشهد فيها ، فدخل على أم المؤمنين أم سلمة فقالت له :

- من أنت ؟

- عراقي ، وأنا مولى للإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

وانبرت أم المؤمنين قائلة :

- أنت هيثم ؟

- بل أنا ميثم .

وعجبت أم المؤمنين وراحت تقول له :

- سبحان الله !! والله لربما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوصي بك علياً في جوف

الليل .. !!

وسألها ميثم عن الإمام الحسين عليه السلام فأخبرته أنه في بستان له فقال لها : أخبريه أنني أحببت السلام عليه ، ونحن ملتقون عند رب العالمين .

وكان كلامه هذا كلام مودّع آيس من الحياة ، ودعت أم سلمة بطبيب فطُيِّبَ به لحيته ، وقال لها ميثم : أما أنها - أي لحيته - ستخضّب بالدم ..

- من أنباك بهذا ؟ !

- أنبأني سيدي ...

وغرقت أم سلمة بالبكاء وراحت تقول :

ليس - أي الإمام - سيّدك وحدك هو سيّد المسلمين ...

ثم ودّعته ، وانصرف ميثم بجذّ في السبر لا يلوي على شيء حتى انتهى إلى الكوفة ، فألقت الشرطة القبض عليه وأدخلته على الطاغية ابن مرجانة ، فانبرى شخص فقال لابن زياد معرّفاً بميثم :

هذا كان من أثر الناس عند أبي تراب ، وطفق ابن زياد قائلاً :

ويحكم هذا الأعجمي ؟ !

- نعم .

والنفث الطاغية بغضب وسخرية إلى ميشم قائلاً :

- أين ربك ؟

- بالمرصاد .

- بلغني اختصاص أبي تراب بك ؟

- قد كان ذلك فما تريد ؟

- يقال إنه أخبرك بما ستلقاه ؟

- نعم .

- ما أخبرك أنني صانع بك ؟

- أخبرني أنك تصلبني عاشر عشرة أقربهم من المطهرة .

لأخالفته .

ويحك كيف تخالفه ؟ إنما أخبرني عن رسول الله ﷺ عن جبرائيل ،

وجبرائيل أخبر عن الله ، كيف تخالف هؤلاء ؟ أما والله لقد عرفت الموضع الذي

أصلب عليه أين هو من الكوفة ، وأني لأوّل خلق الله ألجم في الإسلام بلجام كما

يلجم القرس ...

فأمر ابن مرجانة باعتقاله في السجن فأدخل فيه ، وكان معه في السجن

المجاهد الكبير المختار بن عبيدة الثقفي ، فأخبره ميشم بما سمعه من الإمام أمير

المؤمنين قائلاً له :

إنك تفلت من السجن ، وتخرج ثائراً بدم الحسين ، فتقتل هذا الجبار ، وتطأ

بقدمك هذا على جبهته وخذيده ..

وبقي ميثم مع المختار في السجن ، ولم يمض مزيد من الوقت حتى تشفع في المختار عبدالله بن عمر إلى يزيد في إطلاق سراحه لأنه كان زوجاً لأخت المختار ، فشقعه فيه يزيد وكتب إلى ابن زياد بإطلاق سراحه ، وكان قد عزم على قتله فأخرجه من السجن ، وأمره بالخروج من الكوفة ، ثم أخرج ميثم وقال له بعنف :

لأمضين حكم أبي تراب فيك ..

فأخذته الجلاوزة وجاؤوا به إلى الخشبة التي عيّنها الإمام ليصلب عليها ، فلما رآها ميثم تبسم وخاطبها قائلاً :

لي خلقت ولي غذيت ..

ورفعته الجلاوزة على الخشبة ، فاجتمع الناس حوله ، فجعل يحدثهم بفضائل الإمام وأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس ، ويذكر مخازي ومساوي بني أمية ، فقبل لابن زياد قد فضحك هذا العبد ، فأمر بلجمه .

فكان أول شخص ألجم في الإسلام ، فلما كان اليوم الثاني فاضت منخره دماً ، وفي اليوم الثالث طعن بحربة فاستشهد صابراً محتسباً .

لقد تحقق جميع ما أخبر به الإمام ﷺ في شأنه ، رحم الله ميثم يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً .

٣- رُشيد الهجري ﷺ :

أما رُشيد الهجري فهو من أفاضل أصحاب الإمام ﷺ ومن أكثرهم إيماناً ومعرفة به ، وكان الإمام يسميه « رشيد البلايا » ، وقد أحاطه علماً بما يجري عليه من بعده من صنوف التنكيل ، وقد روت ابنته قنوة قالت : سمعت أبي يقول :

قال لي أمير المؤمنين :

« يَا رَشِيدُ، كَيْفَ صَبْرُكَ إِذَا أُرْسِلَ إِلَيْكَ دَعِي بَنِي أُمَيَّةَ ، فَقَطَعَ يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ وَلَسَانَكَ » .

فقال له أبي : يا أمير المؤمنين ، آخر ذلك إلى الجنة ؟

« يَا رَشِيدُ ، أَنْتَ مَعِيَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » .

وأخبره الإمام مَرَّةً أُخْرَى بشهادته حينما خرج معه إلى بستان فاستظلّا تحت نخلة ، فقام صاحب البستان إلى النخلة فالتقط منها رطباً وقَدَّمه لهما ، فقال رشيد : « ما أطيب هذا الرطب ؟

- أَمَا إِنَّكَ سَتُصَلِّبُ عَلَيَّ جِدْعَهَا » .

فكان رشيد يتعاهدهما ويتعبّد تحتها ، واجتاز عليها مَرَّةً فرأى سَعَفَهَا قد قطع فشعر بدنو أجله ، ومَرَّ عليها مَرَّةً أُخْرَى فرأى نصفها قد جعل زنوناً يستسقى عليه فأيقن بدنو أجله^(١) . ولم يمض قليل من الوقت حتى أرسل خلفه زياد بن أبيه ، فلَمَّا مثل عنده قال له :

- ما قال لك خليلك - يعني الإمام - إِنَّا فاعلون بك ؟

- تقطعون يدي ورجلي وتصلبوني .

- أما والله لأكذِّبَن حديته ...

وأمر الطاغية بإطلاق سراحه ، فلَمَّا خرج ندم على ذلك وأمر بإرجاعه إليه ، فلَمَّا حضر عنده قال له :

لا نجد لك شيئاً أصليح ممّا قال صاحبك ، إِنَّكَ لا تزال تبغي لنا سوء إن بقيت ... اقطعوا يديه ورجليه ...

وبادرت الجلاوزة إلى قطع يديه ورجليه وهو يتكلم ، فغاظ ذلك زياداً فأمر الجلاوزة بصلبه خنقاً ، فقال لهم رشيد :

بقي لي عندكم شيء ما أراكم فعلتموه -أراد بذلك قطع لسانه - ، فأمر زياد بقطع لسانه .

فقال لهم رشيد : نَفَسُوا عَنِّي حَتَّى أَتَكَلَّمَ كَلِمَةً وَاحِدَةً فَأَمْلَهُوهُ .

فقال : وهذا تصديق خبر أمير المؤمنين عليه السلام أخبرني بقطع لساني ^(١) .

ففي ذمة الله ما عاناه هذا العبد الصالح الذي هو من خيار المؤمنين من الظلم والاعتداء من قبل هؤلاء الفسقة المجرمين .

٤ - جويرية بن مسهر العبدي عليه السلام :

أما جويرية بن مسهر فهو من أفذاذ المؤمنين ، وعلم من أعلام الإسلام ، أخلص للإمام وتولاه ، وتغذى ببعض علومه ومعارفه ، دخل على الإمام فكان مضطجماً فقال له جويرية :

أيها النائم ، استيقظ فلتضربن على رأسك تخضب منها لحيتك ، فتبسم الإمام وأخبره بما يقاسيه من بعده من ولاة الجور قائلاً :

« أَحَدْتُكَ يَا جُوَيْرِيَةَ بِحَدِيثِكَ ، أَمَا وَاللَّيْلِ نَفْسِي بِيَدِهِ تَتَعَتَّلُنَ ^(٢) إِلَى الْقَتْلِ الزَّئِيمِ ، وَلَيَقَطَّعَنَّ يَدَكَ وَرِجْلَكَ ، وَلَيَضْلِبَنَّكَ تَحْتَ جَذَعِ كَافِرٍ ^(٣) » ^(٤) .

(١) سفينة البحار ٢ : ٣٢٧ . بحار الأنوار ٤١ : ١٢٢ .

(٢) تعتلن : أي تجذبن .

(٣) الجذع الكافر : القصير .

(٤) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ٢ : ٢١٩ .

ولم تمض الأيام حتى استدعاه زياد الأخ الكاشعري لمعاوية فأمر بقطع يده ورجله ، وصلبه على جذع قصير^(١).

وقد ألف هشام بن محمد السائب كتاباً في فاجعته وفاجعة اخوانه الشهداء رشيد الهجري وميثم التمار^(٢).

٥ - مزرع عليه السلام :

أما مزرع فهو من خيار أصحاب الإمام عليه السلام ، وقد أخبره الإمام عن شهادته ، وأنه يقتل ويصلب بين شرفتين من شرف المسجد .

وفي أيام الحكم الأسود من حكومة معاوية ألقى القبض عليه زياد بن أبيه فقتله وصلبه بين شرفتين من شرف المسجد^(٣).

٦ - حجر بن عدي عليه السلام :

أما حجر بن عدي فهو علم من أعلام الإسلام ، ومن كبار صحابة النبي صلى الله عليه وآله ، وكان صديقاً حميماً للإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد أخبره الإمام عن شهادته من بعده وذلك حينما عممه ابن ملجم بالسيف ، فقد قال له بعطف ورفق :

« كَيْفَ بِكَ إِذَا دُعِيتَ إِلَى الْبَرَاءَةِ مِنِّي فَمَا عَسَاكَ أَنْ تَقُولَ ؟ » ، فأجابه حجر بإيمان وصدق :

والله يا أمير المؤمنين لو قطعت بالسيف إرماً إرماً ، وأضرمت النار لي وألقيت فيها لأثرت ذلك على البراءة منك .

فأجابه الإمام :

«وَقَفْتُ لِكُلِّ خَيْرٍ يَا حَبِيبُ، جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكَ»^(١).

ولمّا أفلت دولة الحقّ، وقامت دولة الباطل والجور دولة معاوية الذي أقام حكمه على سب الإمام وانتقاصه وجعل ذلك فرضاً واجباً على ولاته وعمّاله يشيعونه في بلاد المسلمين، ولمّا ولي المغيرة بن شعبة على الكوفة خطب الناس وتعرّض في خطابه إلى سب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فانبرى إليه حجر كالأسد منكرّاً عليه قائلاً:

كونوا قوامين بالقسط شهداء لله، وأنا أشهد أنّ من تذرّون وتعيرون لأحق بالفضل، ومن تزكّون أوّلَى بالذمّ.

ووثب قوم من أصحاب حجر فقالوا بمثل مقالته، قالتف المغيرة إلى حجر قائلاً: يا حجر، قد رمى بهمك إذ كنت أنا الوالي عليك. يا حجر، اتّق غضب السلطان، اتّق غضبه وسطوته، فإنّ غضبة السلطان ممّا تهلك أمثالك كثيراً...^(٢).

ولم يزل حجر متحمّساً في ولاته للإمام أمير المؤمنين غير حافل بالآزمات والخطوب التي يعانيها من ولاة معاوية، وقد قبل للمغيرة: اعدمه، فامتنع من ذلك، ولم نزل بطانته تلحّ عليه في قتله فقال لهم:

-إني قد قتلته..

-كيف ذاك؟

سيأتي أمير بعدي فيحسبه مثلي فيصنع به شبيهاً بما ترونه يصنع بي، فيأخذه عند أوّل وهلة فيقتله شرّ قتلة..

وولي من بعد المغيرة زياد بن أبيه الكوفة فجعل حجر يواصل نشاطه ضدّ

(١) بحار الأنوار ٢٤: ٢٩٠.

(٢) تاريخ الطبري ٦: ١٤٢.

السلطة ، وقد خطب زياد يوم الجمعة فأطال في خطابه حتى ضاق وقت الصلاة ، فانبرى إليه حجر منكراً عليه تأخير الفريضة قائلاً :
- الصلاة .

- فلم يعن الطاغية به ، ومضى في خطابه ، فقام حجر رافعاً صوته :
- الصلاة .

ولم يحفل الطاغية بكلام حجر فاسترسل في خطابه فخشى حجر فوت الصلاة فضرب يده كفً من الحصى ورمى به صوب الطاغية ، وثار الناس معه ، فلما رأى ذلك زياد ورم أنفه وانتفخت أوداجه ، وقال :
ما أنا بشيء إن لم أمنع ساحة الكوفة من حجر وأدعه نكالاً من بعده ، ويل أمك يا حجر ، سقط العشاء على سرحان ثم تمثل :

أبلغ نصيحة إن راعى أبلها سقط العشاء به على سرحان

وأرسل زياد جماعة من وجوه الكوفة فأمرهم أن يردوا حجر عن خطئه ، فامتنع حجر وأبى إلا الإنكار على السياسة الأموية ، وأخيراً أمر زياد شرطته أن يأتوه به ، فانطلقت الشرطة لإلقاء القبض عليه ، إلا أنها لم تستطع ذلك ، فقد التفت حوله جمهور من المؤمنين فمنعوا الشرطة من القبض عليه ، وكان فيس بن فهدان الكندي يلهب نار الثورة في النفوس ، ويدعو إلى حماية حجر وأصحابه فكان يقول :

يا قوم حجر دافعوا وصاؤلوا وعن أخيك ساعة فقاتلوا

لا يلقين منكم لحجر خاذل أليس فيكم رامح ونابل

وفارس مستلثم وراجل وضارب السيف لا يزايل

وتحصن حجر وأصحابه فلم يتمكن منهم زياد ، فجمع الزعماء وأبناء البيوت ،

فقال لهم :

يا أهل الكوفة ، أشجون بيد ونأسون بأخرى ، أبدانكم معي وأهواءكم مع حجر لهجاجة ، الأحق المذبوب أنتم معي ، واخوانكم وأبناؤكم وعشائركم مع حجر ، هذا والله من دحسكم ^(١) وغشكم ، والله لتظهروني لي براءتكم أو لآتيَنَّكم يقوم أقيم بهم أودكم وصعركم ^(٢) .

فانبروا بخنوع وعبودية يظهرون الطاعة لهذا الطاغية قائلين :

معاذ الله سبحانه أن يكون لنا فيما هاهنا رأي إلا طاعتك ، وطاعة أمير المؤمنين - يعني معاوية - وكل ما ظننا أن فيه رضاك ، وما يستبين به طاعتنا وخلافنا لحجر فمرنا به .

وأنس بكلام هؤلاء العبيد فأمرهم بما يلي :

لبيكم كل امرئ منكم إلى هذه الجماعة حول حجر فليدع كل رجل منكم أخاه وابنه وذا قرابته ومن يطبعه من عشيرته حتى تقيموا عنه كل من استطعتم أن تقيموه ..

وقام هؤلاء العبيد بإفساد أمر حجر ، وخذلان أتباعه ، ثم أمر زياد مدير شرطته شداد بن الهيثم بإلقاء القبض على حجر وأصحابه ، وضم إليه الأتيم محمد بن الأشعث الكندي ، وقال له :

يا أبا الشعثاء ، أما والله لتأتينني بحجر أو لا أدع لك نخلة إلا قطعنها ، ولا داراً إلا هدمتها ، ثم لا تسلم حتى أقطعك إرباً إرباً ..

فقال له : أمهلني ثلاثاً حتى أطلبه ، فقال له : أمهلتك ، فإن جئت به وإلا عدّ نفسك من الهلكى .

(١) الدحس : الإفساد .

(٢) الصعر : الميل إلى أحد الشقيين .

وقام ابن الأشعث مع مدير الشرطة فقتلوا حجراً وأصحابه ، وبعد مصادمات عنيفة جرت بين الفريقين استطاعة جلاوزة زياد القبض عليه وعلى أصحابه ، فجيئ بهم إلى زياد فأمر بإيداعهم في السجن .

وطلب زياد من عملاء السلطة أن يشهدوا على حجر وأصحابه ، فشهد جمع منهم أنهم تولوا علياً ، وعابوا عثمان ، ونالوا من معاوية ، فلم يرض زياد بهذه الشهادة ، وقال : إنها غير قاطعة ، وانبرى أبو بردة بن أبي موسى الأشعري فكتب شهادة ترضى السلطة هذه نصّها :

هذا ما شهد عليه أبو بردة بن أبي موسى الأشعري لله رب العالمين شهد أن حجر بن عدي خلع الطاعة وفارق الجماعة ، ولعن الخليفة ، ودعا إلى الحرب ، وجمع إليه الجموع يدعوهم إلى نكث البيعة ، وكفر بالله كفره صلعاء ...

رضي زياد بن أبيه بهذه الشهادة التي كتبها ابن أبي الأشعري الذي لم يفقه هو وأبوه شيئاً من الإسلام .

وشهد بهذه الشهادة سبعون رجلاً كلهم من المنحرفين عن الإسلام ، وعملاء السلطة ، ورفع زياد هذه الوثيقة إلى أخيه الأشعري معاوية ، فأمر بحملهم إلى الشام موثقين بالحديد ، فحملوا ليلاً ووقعت النباحة في دار حجر ، وصعدت ابنته - ولا عقب له غيرها - فوق سطح الدار وألقت نظرة على القافلة التي تسير إلى الموت ، وهي تبكي أمر البكاء وتناجي القمر وتبته لوعتها وأحزانها وقد صاغت من محنتها وبلواها أبياتاً من الشعر قائلة :

ترفع أيها القمر المنير	لعلك أن ترى حجراً يسير
يسير إلى معاوية بن حرب	ليقتله كذا زعم الأمير
ويصلبه على بابي دمشق	وتأكل من محاسنه الطيور
تجبرت الجبابر بعد حجر	وطاب لها الخورنق والسدير

ألا يا حجر حجر بن عدي تلفتك السلامة والسرو
أخاف عليك ما أردى عدياً وشيخاً في دمشق له زئير
ألا يا ليت حجراً مات موتاً ولم ينحصر كما نحر البعير
فإن تهلك فكل عميد قوم إلى هلك من الدنيا يصير^(١)

وانتهت القافلة التي تقل خيرة الصحابة إلى مرج عذراء ، فلما عرف حجر أنه بهذه القرية رفع صوته قائلاً : « والله إني لأول مسلم نبخته كلابها ، وأول مسلم كبر بواديه »^(٢).

وتقدم البريد بأخبارهم إلى الطاغية ابن هند ففرح لأنه أخذ ثأره من أنصار رسول الله ﷺ فأرسل إليهم رجلاً أعور فأمره بإعدامهم إن لم يتبرءوا من وصي رسول الله ﷺ وباب مدينة علمه ، فلما رآه بعضهم قال متشائماً : إن صدق الزجر^(٣) فإنه سيقتل نصفنا ، وينجو الباقيون ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ فقال : أما ترون الرجل مصاب بإحدى عينيه .

وقدّم الجلال الحقير فقال لحجر : إن أمير المؤمنين أمرني بقتلك با رأس الضلال ، ومعدن الكفر والطفيان ، والمتوكلي لأبي تراب ، وقتل أصحابك إلا أن ترجعوا عن كفركم ، وتلعنوا أصحابكم وتبرؤوا منه . فانبرى إليه حجر كالأسد فقال مستهيناً بالموت وساخرأ من الحياة :

إن الصبر على حدّ السيف لأيسر علينا مما تدعوننا إليه ، ثم القدوم على الله وعلى نبيه وعلى وصيه أحب إلينا من دخول النار^(٤).

(١) مروج الذهب ٢ : ٣٠٧ .

(٢) الكامل في التاريخ ٣ : ٦٩٢ .

(٣) الزجر : الحدس .

(٤) مروج الذهب ٣ : ١٣ .

وحفرت لهم القبور، وطلب حجر أن يسمحوا له بالوضوء والصلاة فسمحوا له بذلك، فتوضأ وصلى صلاة وأطال في سجودها فلما أتمَّ صلاته قال للقوم: والله ما صليت صلاة أخفَّ منها، ولولا أن تظنُّوا فيَّ جزءاً من الموت لاستكثرت منها...

ثم أخذ يناجي ربه ويدعو على عدوّه الماكر الخبيث ابن هند قائلاً:
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِذُّكَ عَلَى أُمَّتِنَا فَإِنَّ أَهْلَ الْكَوْفَةِ شَهِدُوا عَلَيْنَا، وَأَنَّ أَهْلَ الشَّامِ يَقْتُلُونَا، أَمَا وَاللَّهِ لئن قَتَلْتُمُونِي بِهَا فَأَنِّي لَأَوَّلُ فَارِسٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ هَلَكَ فِي وَادِيهَا، وَأَوَّلُ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ نَبَحَتْهُ كَلَابُهَا.

وانطلق الخبيث الأعور هذبة بن فياض الفضايعي شاهراً سيفه، فلما رآه حجر ارتعدت أوصاله، وقبل له: زعمت أنك لا تجزع من الموت فابراً من صاحبك وندعك.

فأجاب حجر:

ما لي لا أجزع وأرى قبراً محفوراً وكفنّاً منشوراً وسيفاً مشهوراً، وإني والله إن جزعتم من القتل لا أقول ما يسخط لربّ^(١).

وكان آخر ما نطق به:

لا تطلقوا عني حديداً، ولا تغسلوا عني دماً، فأني ملاق معاوية على الجادة^(٢).

ثم نفَّذ فيه حكم الإعدام، وسقط على الأرض جثة هامدة ففي ذمّة الله ما لاقاه هذا العملاق العظيم من التكنيل والقتل لا ذنب اقترفه، وإنما لولائه أخيه رسول

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٦٩٢.

(٢) الاستيعاب ١: ٣٣١.

الله ووصيه وباب مدينة علمه ، وقد صدق حجر في ولائه ومحبه وإخلاصه لإمامه
فقد أثر الموت ، واستهان بالحياة في سبيله فجزاه الله تعالى عن الإسلام خيراً ،
فسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً .

٧ - قنبر عليه السلام :

كان قنبر غلاماً للإمام عليه السلام ، وكان يحب الإمام حباً كثيراً ، فإذا خرج الإمام خرج
على أثره بالسيف خوفاً عليه ، وخرج الإمام ذات ليلة فخرج في أثره ، فلما رآه قال
له : « يَا قَنْبَرُ ، مَا لَكَ ؟ » .

جئت أمشي خلفك فَإِنَّ النَّاسَ كَمَا تَرَاهُمْ ، فخفت عليك ، فقال له الإمام
بلطف : « أَمِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ تَخَرُّسُنِي أَمْ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ؟ » .

- بل من أهل الأرض .

« إِنَّ أَهْلَ الْأَرْضِ لَا يَسْتَطِيعُونَ بِي شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ السَّمَاءِ ،
فَارْجِعْ » ^(١) .

وبعد ما آل المال إلى الحجاج فالتقى عليه القبض ، فلما مثل أمامه قال له :

- ما الذي كنت تلي من علي بن أبي طالب ؟

- كنت أوصيه ...

- ما كان يقول إذا فرغ من وضوئه ؟

كان يتلو هذه الآية : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى
إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ * فَقَطَّعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٢) .

(١) التوحيد للصدوق : ٣٥٠ . بحار الأنوار ٤٢ : ١٢٢ .

(٢) الأنعام : ٤٤ - ٤٥ .

نصاح به الحجاج : أظنّه كان متأولّها علينا ؟

- نعم ؟

- ما أنت صانع إذا ضربت علاوتك ؟ ^(١)

- إذن أسعد وثقفي ^(٢) ، وفي رواية أخرى أمر بإلقاء القبض عليه ، فلمّا مثل

عنده قال له :

- أنت قنبر ؟

- نعم .

- مولى عليّ بن أبي طالب ؟

- الله مولاي وأمير المؤمنين ولي نعمتي ...

- ابرأ من دينه ..

- إذا فعلت تدكيني على دين أفضل من دينه .

- إني قاتلك فاختر أي قتلة أحبّ إليك .

- صبرت ذاك إليك .

- لم ؟

- لأنك لا تقتلني فتلة إلّا قتلك الله مثلها ، ولقد أخبرني أمير المؤمنين أنّ منيّي

تكون ذبحاً ظلماً بدون حقّ .

وأمر الطاغية الرجس بذبحه فذبح كما تذبح الشاة ، وقد لاقى ربّه شهيداً

محسباً قد تلقّع بالشرف والكرامة من أجل ولائه للإمام عليه السلام .

(١) العلّامة : أعلى الرأس .

(٢) بحار الأنوار ٤٢ : ١٣٣ .

٨- كميل بن زياد عليه السلام :

ومن أجمع أصحاب الإمام عليه السلام كميل بن زياد النخعي الذي احتل مكانة مرموقة عند الإمام ، فكان خليله وحامل أسراره - كما يقول علماء الرجال - وكان لا يبارحه ، ومن ألزمهم له ، وكثيراً ما أخبره بمغيباته عليه السلام .

قال كميل : خرجنا مرة من جامع الكوفة بعدما ذهب من الليل ثلثه فسمعنا في طريقنا رجل يتلو القرآن : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ ﴾ بصورة شجيّة ويبكي فاستحسننا ذلك في داخلي وإذا بالإمام قد أشاح بوجهه نحوي وقال : « لَا يَغُرُّكَ الرَّجُلُ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَسَأْتَبُوكَ » فعجبت من معرفة الإمام ما في ، ومن حال الرجل مع تلك الصورة ... !! وبعد مدة عند انتهاء معركة النهروان كنت بجانب الإمام وسيفه يقطر دماً ورؤوس القتلى متناثرة إذ بالإمام يضع سيفه على أحد الرؤوس وقال لي : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ ﴾ !!

كما أحاطه الإمام عليه السلام علماً بشهادته ، ولما ولي المجرم السفاك الحجاج حرم على قوم كميل العطاء حتى يأتوه به ، فقال لهم كميل : أنا شيخ كبير ولا ينبغي أن أحرّمكم العطاء ، وبادر فسلم نفسه للطاغية ، فقال له يعنف : قد كنت أحب أن أجد عليكم سبيلاً ، فقال له كميل : لا تصرف عني أنيابك فما بقي من عمري إلا اليسير فافض ما أنت قاض ، ولقد أخبرني أمير المؤمنين عليه السلام أنك قاتلي ، فأمر به الخبيث الدنس بضرب عنقه ، ونفذ فيه الإعدام^(١) .

هؤلاء بعض عيون أصحابه الذين أخبرهم الإمام بشهادتهم على أيدي شرار الخلق وأرجاسهم .

(١) كميل بن زياد النخعي - الهاشمي الخطيب : ٩٠ . بحار الأنوار ٤٢ : ١٤٨ .

إخباره عن شهادته

من المغيبيات التي أخبر الإمام عنها أنه أخبر في كثير من المناسبات أنه لا يموت حتف أنفه وإنما ينال الشهادة على يد أئمة خلق الله تعالى ، وكان من بين ما أخبر به :

١ - روى روح بن أمية الدؤلي قال : مرض علي بن أبي طالب مرضاً شديداً حتى خفنا عليه ، ولما أبل من مرضه أسرعنا إليه فقلنا له :

هنيئاً لك يا أبا الحسن ، الحمد لله الذي عافاك ، لقد خفنا عليك ؟

فأجابهم الإمام غير حافل بما ألم به من المرض ، وأنه لا يخشاه قائلاً :

« لَمْ أَخَفْ عَلَى نَفْسِي ، أَخْبَرَنِي الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ - يعني رسول الله - أَنِّي لَا أَمُوتُ حَتَّى أَضْرِبَ عَلَى هَذَا - وأشار إلى مقدم رأسه الأيسر - فَتُخَضَّبُ بِهِ مِنْهُ - وأوماً إلى لحيته وهامته وقال : - يَقْتُلُكَ أَشَقَى هَذِهِ الْأُمَّةِ ، كَمَا عَقَرَ نَاقَةَ اللَّهِ ، أَشَقَى بَنِي فَلَانٍ مِنْ ثَمُودَ »^(١).

٢ - روى عبد الله بن سبيع قال : خطبنا علي بن أبي طالب فقال :

« وَاللَّيْلِ فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَتُخَضَّبَ بِهِ مِنْ هَذِهِ » - يعني لحيته من دم

رأسه ..

(١) المحسن : ٩٦ . أسد الغابة : ٤ : ٣٤ .

فقال رجل : والله لا يقول ذلك أحد إلا ابتزنا عترته ، فقال ﷺ :

« اذْكُرِ اللَّهَ ، وَأَنْشُدْ أَنْ يُقْتَلَ مِنِّي إِلَّا قَاتِلِي »^(١).

٣- روى أبو الطفيل قال : لما دعا عليّ الناس إلى البيعة أتاه عبدالرحمن بن ملجم المرادي مرتين أو ثلاثاً ، ثم قال : « أَيْنَ أَشَقَّاهَا ؟ أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُخَضَّنَّ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ » ، أي لحينه من دم رأسه^(٢).

٤- عن ابن الطفيل قال : شهدت جنازة أبي بكر يوم مات ، وشهدت عمر حين بويح ، وعليّ ﷺ جالس ناحية إذ أقبل غلام يهودي عليه ثياب حسان وهو من ولد هارون حتى قام على رأس عمر.

فقال : يا أمير المؤمنين ، أنت أعلم هذه الأمة بكتابهم وأمر نبيهم .

قال : فطأطأ عمر رأسه .

فقال له الغلام : إياك أعني ، وأعاد عليه القول .

فقال له عمر : ما ذاك ؟

قال : إني جئتك مرتاداً لنفسي ، شاكاً في ديني .

فقال : دونك هذا الشاب .

قال : ومن هذا الشاب ؟

قال : عليّ بن أبي طالب ابن عمّ رسول الله ﷺ وهو أبو الحسن والحسين وزوج

فاطمة بنت رسول الله ، فأقبل اليهودي على عليّ بن أبي طالب فقال :

أكذلك أنت ؟

قال : « نَعَمْ ».

(١) أسد الغابة ٤ : ٣٤ .

(٢) المحن : ٩٦ .

قال: فأبني أريد أن أسألك عن ثلاثة وثلاثة وواحدة - إلى أن قال -: فأخبرني عن الواحدة، فأخبرني عن وصي محمدكم يعيش من بعده؟ وهل يموت أو يقتل؟ قال: «يا هاروني، يعيش بعنه ثلاثين سنة لا يزيد يوماً ولا ينقص يوماً، ثم يضرب ضربة هاهنا - يعني قرنه - فتخصب هذه من هذه».

قال: فصاح الهاروني... وهو يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له^(١).

٥ - أعلن الإمام عن شهادته وشهادة سبطي رسول الله ﷺ الحسن والحسين،

قال:

«أما والله لأقتلن أنا وإثنائي ههنا - وأشار إلى الحسن والحسين -
وتبينن الله رجلاً من ولدي آخر الزمان يطالب بديارنا، وليبينن عنهم،
تميزاً لأهل الضلالة حتى يقول الجاهل: ما لله في آل محمد حاجة»^(٢).

٦ - يقول محمد بن سيرين: «إن كان أحد يعلم متى أجله، فإن علي بن أبي طالب كان يعلم متى أجله، قال العباس بن ميمون: فحدثت به ابن عائشة فقال: أنت تعلم يا ابن أخي أنه قاتل يوم الجمل فلم يتكلم، ويوم صفين فلم يتكلم، ولقد لقي ليلة الهرير ما لقي فلم يتخوف، ولم ينطق بشيء، فلما رجع إلى الكوفة بعد قتله الخوارج قال:

أَلَا يَنْبَغُ أَشْقَاهَا، لِيُخْبِنَ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ»^(٣).

وتحقق ما أخبر به الإمام، فقد استشهد في بيت الله الحرام في شهر رمضان، وذكر الله بين شفثيه، فقد اغتاله عبدالرحمن بن ملجم المرادي أشقى الأولين

(١) فرائد السمطين ١: ٣٥٤.

(٢) بحار الأنوار ٥١: ١١٢.

(٣) ذيل الأمالي والنوادر ٣: ١٧٠.

والآخرين ، واستشهد ولده الزكي ربحانة رسول الله ﷺ ، فقد اختاله بالسّم ابن هند ، واستشهد ولده الإمام الحسين ع بصورة مروعة وجرت عليه من المآسي والأهوال ما لا يوصف .

هذه بعض الأحاديث التي أعلن الإمام فيها بشهادته ، وأثرت عنه بهذا المضمون كوكبة أخرى من الأحاديث ، منها :



ما يجري على الحجر الأسود

في خطبة له ﷺ قال - وهو يشير إلى السارية التي يستند إليها في مسجد الكوفة -:

«كَأَنِّي بِالْحَجَرِ الْأَسْوَدِ مَنْصُوباً هَامِئاً، وَنَحْمُهُمْ! إِنْ قَضَيْتَهُ لَيْسَتْ فِي نَفْسِهِ، بَلْ فِي مَوْضِعِهِ وَأُسْبِيهِ، يَمَكُثُ هَامِئاً بُرْهَةً ثُمَّ هَامِئاً بُرْهَةً - وأشار إلى البحرين - ثُمَّ يَعُودُ إِلَى مَأْوَاهُ وَأَمَّ مَثْوَاهُ».

قال ابن أبي الحديد: ووقع الأمر بموجب ما أخبر به ﷺ^(١).

(١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ١٠ : ١٤.

إخباره عن شهداء فخّ

أخبر الإمام عليه السلام عن السادة العلويين الذين استشهدوا في واقعة فخّ دفاعاً عن حقّ المظلومين والمضطهدين ، وكانت شهادتهم مروعة كشهادة سيّدهم أبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام ، فقد اقترف الطاغية الدنس الهادي العباسي معهم من الجرائم ما تصدّع من هولها الجبال ، وقد قال الإمام عليه السلام في عظيم شأنهم :
 « هُمْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ »^(١).

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ٧ : ٨٣.

إخباره عن شهادة ذي النفس الزكية

من المغيبات التي أخبر عنها الإمام (ع) أنه أخبر عن شهادة العلوي الشائر العظيم ذي النفس الزكية ، وأنه يستشهد بالمدينة عند أحجار الزيت^(١) ، فقد استشهد هذا العلوي على يد السَّاقِ المنصور الدوانيقي^(٢) .

(١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ٧: ٢١٧ .

(٢) عرضنا بصورة موضوعية عن كيفية شهادته في كتابنا: حياة الإمام موسى بن جعفر (ع) .

إخباره عن شهادة إبراهيم

أخبر الإمام عليه السلام عن شهادة العلوي المجاهد العظيم إبراهيم بن عبد الله بن الحسن الذي أراد هو وأخوه أن يقيما حكم القرآن ، وينقذا المسلمين من الطغمة العباسية . . فقد ثارا على أبي جعفر المنصور الذي أغرق البلاد بالظلم والجور ونهب ثروات المسلمين .

قال عليه السلام في شأنه :

« يُقْتَلُ بَعْدَ أَنْ يَظْهَرَ ، وَيُقْفَرُ بَعْدَ أَنْ يُقْفَرُ ، يَأْتِيهِ سَهْمٌ غَرِبٌ - أَي لَا يَعْرِفُ رَامِيَهُ - تَكُونُ فِيهِ مَنِيَّتُهُ ، فَيَأْخُذُ بِرَامِيٍّ ، شَلَّتْ يَدَاهُ وَوَهَنَ عَظْمُهُ » (١) .

ونعرض - بإيجاز - إلى قصة هذا العلوي المجاهد الذي ثار على أقذر حاكم عرفه التاريخ وهو الدوانيقي ، لقد أعلن إبراهيم ثورته الخالدة على الدوانيقي بعد مقتل أخيه محمد ، وقد رثاه وهو على المنبر بقوله :

سأبكيك بالببيض الرقاق وبالقنا	فإنَّ بهما ما يدرك الطالب الوترا
وأنا أناس لا تفيض دموعنا	على هالك منا ولو قسم الظهرا
ولست كمن يبكي أخاه بعبرة	يعصرها من ماء مقلته عصرا

(١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ٧ : ٤٨ .

ولكن أشفي فؤادي بغارة ألهب في قطري كتابها جمرًا^(١)

وزحف إبراهيم بجيوشه صوب الكوفة لاحتلالها ، وكانت مفزاً للسفك المنصور ، فانهزم جيش الطاغية شر هزيمة وجعل يقول لوزيره الربيع متعريضاً بما أخبر به الإمام الصادق (عليه السلام) من استيلاء العباسيين على الحكم قائلاً :

أين قول صادقهم ؟ وكيف لم ينلها أبناؤنا ؟ فأين امارة الصبيان ؟

وتحقق ما تنبأ به الإمام الصادق (عليه السلام) ، وما أخبر به جدّه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) من قبل ، فقد كثرت جيوش المنصور بعد هزيمتها بسبب نهر لقيها فلم تقدر على اجتيازه ، فعادوا بأجمعهم ، وكان أصحاب إبراهيم قد مخروا الماء ليكون قتالهم من وجه واحد ، فلما انهزموا منعهم الماء من الفرار ، وثبت إبراهيم في نفر من أصحابه فقاتلهم حميد بن قحطبة ، وجاء سهم غادر فأصاب حلق إبراهيم فقتل عليه ، وقال لأصحابه : أنزلوني ، فأنزلوه عن مركبه وهو يقول :

« وكان أمر الله قدرًا مقدورًا ، أردنا أمراً وأراد الله غيره^(٢) ، ثم لفظ أنفاسه الأخيرة . وانطوت بذلك أروع صفحة من صفحات الجهاد الإسلامي المقدس ، فقد آلت الخلافة إلى غادر ماكر بخيل ، فإنا لله ولا حول ولا قوة إلا به .

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) ١ : ٤٠٦ .

(٢) حياة الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) ١ : ٤٠٨ .

تبشيره بالإمام المهدي عليه السلام

وتواترت الأخبار عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بظهور المصلح الأعظم قائم آل محمد صلوات الله عليه الذي يقيم اعوجاج الدين ، ويصلح ما افسد من أمور الدنيا ، ويملا الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً . وهذه الطائفة من الأخبار التي أثرت عنه في حفيده المنتظر :

١ - قال الإمام عليه السلام لولده سيّد شباب أهل الجنة الإمام الحسين عليه السلام :

« النَّاسُ مِنْ وَلَدِكَ يَا حُسَيْنُ هُوَ الْقَائِمُ بِالْحَقِّ ، الْمُنْقِذُ لِلدِّينِ ، الْبَاسِطُ لِلْعَدْلِ ... » .

وانبرى الإمام الحسين قائلاً :

« إِنَّ ذَلِكَ لَكَائِنُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ » .

« إِي وَالَّذِي بَقِيَ مُحَمَّدًا بِالنُّبُوَّةِ ، وَاصْطَفَاهُ عَلَى جَمِيعِ الْبَرِيَّةِ ، وَلَكِنْ تَعْدُ غَيْبَةً وَحَيْرَةً ، لَا يَثْبُتُ فِيهَا عَلَى دِينِهِ إِلَّا الْمُخْلِصُونَ ، الْمُبَاشِرُونَ لِرُوحِ الْيَقِينِ الَّذِينَ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَهُمْ بِوَلَايَتِنَا ، وَكُتِبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانُ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ... » ^(١) .

حكى هذا الحديث حتمية خروج المصلح الأعظم وأن خروجه يكون بعد

غيبه وحيرة في نفوس الناس ، ولا يثبت على الإيمان به إلا المخلصون في دينهم .

٢- روى أبو وائل قال : نظر علي عليه السلام إلى الحسين عليه السلام فقال :

« إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدُكُمَا سَمَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَسَيَخْرُجُ مِنْ صُلْبِهِ رَجُلٌ بِاسْمِ نَبِيِّكُمْ يَخْرُجُ عَلَى جِبِينَ غَفْلَةٍ مِنَ النَّاسِ ، وَإِمَامَةِ الْحَقِّ ، وَإِظْهَارِ الْجَوْرِ ، وَيَفْرَحُ لِخُرُوجِهِ أَهْلُ السَّمَاءِ وَسُكَّانُهَا ، وَهُوَ رَجُلٌ أَجَلَى الْجَبِينِ ، أَقْنَى الْأَنْفِ ، صَخْمُ الْبَطْنِ ، أَذِيلُ الْفَخْذَيْنِ ، يَخْذُهُ الْأَيْمَنُ شَامَةً ، أُبْلِجُ الثَّنَائَا ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ غَدًا كَمَا مِلْتُ ظُلُمًا وَجَوْرًا »^(١).

حكى هذا الحديث ملامح الإمام المنتظر عليه السلام ، وامارات ظهوره وأنه إذا ظهر يقيم الحق بجميع رحابه ومفاهيمه .

٣- خطب الإمام عليه السلام خطبة جليلة كان من بنودها التعرّض إلى قائم آل محمد عليه السلام كان منها :

« وَلَيَكُونَنَّ مَنْ يَخْلُقُنِي فِي أَهْلِ بَيْتِي رَجُلٌ يَأْمُرُ بِأَمْرِ اللَّهِ ، قَوِيٌّ يَحْكُمُ بِحُكْمِ اللَّهِ ، وَذَلِكَ بَعْدَ زَمَانٍ مُكَلِّجٍ مُفْصِحٍ ، يَشْتَدُّ فِيهِ الْبَلَاءُ ، وَتَنْقَطِعُ فِيهِ الرَّجَاءُ ، وَيَقْبَلُ فِيهِ الرِّشَاءُ »^(٢).

أشار الإمام عليه السلام إلى وقت خروج المصلح الأعظم وأنه في وقت يفرق الناس بالبلاء والفتن ، وإذا خرج سلام الله عليه فإنه يبني حكمه على الحق المحض والعدل الخالص .

٤- روى الأصبغ بن نباتة أَنَّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال :

« الْقَهْدِيُّ يَمِنَا فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، لَمْ يَكُنْ فِي أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ مَهْدِيٌّ

(١) بحار الأنوار ٥١ : ١١٠ .

(٢) عقد الدرر : ١٨٢ ، الباب الثالث - الإمام المهدي .

يُنْتَظَرُ غَيْرُهُ»^(١).

إِنَّ قائم آل محمد من دوحة النبوة والإمامة ، وليس له شبيه يماثله في جميع شعوب العالم وأمم الأرض ، وهو المنتظر لإقامة الحق ، والقضاء على المناهج الفاسدة التي لا بصيص فيها من نور العدل .

٥ - قال عليه السلام :

« سَيَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ اللَّهُ وَيُحِبُّونَهُ ، وَيَمْلِكُ مِنْ بَيْنِهِمْ غَرِيبٌ وَهُوَ الْمَهْدِيُّ ، فَيَمْلِكُ بِأَرْضِ الْمُسْلِمِينَ بِأَمَانٍ ، وَيَضْفُو لَهُ الزَّمَانَ ، وَيُسْمِعُ كَلَامَهُ وَيُطِيعُهُ الشُّبُوحُ وَالْقَتِيانُ ، وَيَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ جَوْرًا »^(٢).

حكى هذا الحديث عن سعة ملك الإمام عليه السلام ، وإذعان الناس لحكمه ، وأنه يشيع فيهم الأمن والرخاء والعدل .

٦ - روى الأصمعي بن نباتة ، قال : أتيت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فوجدته مفكراً ينكت الأرض ، فقلت له :

يا أمير المؤمنين ، ما لي أراك مفكراً تنك في الأرض أرغبة فيها ؟
فأجابته الإمام :

« لَا وَاللَّهِ مَا رَغِبْتُ فِيهَا - أَي فِي الْخِلَافَةِ - وَلَا فِي الدُّنْيَا يَوْمًا قَطُّ ، وَلَكِنِّي فَكَّرْتُ فِي مَوْلُودٍ يَكُونُ مِنْ ظَهْرِي الْحَادِي عَشَرَ مِنْ وَلَدِي هُوَ الْمَهْدِيُّ يَمْلَأُهَا عَدْلًا ، كَمَا مَلَأَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا تَكُونُ لَهُ حَيْرَةٌ وَغَيْبَةٌ يَضِلُّ فِيهَا أَقْوَامٌ ، وَيَهْتَبِي فِيهَا آخَرُونَ » .

وانبرى الأصمعي يطلب المزيد من الايضاح قائلاً :

(١) حياة الإمام محمد المهدي : ١٨٣ .

(٢) ينابيع المودة : ٤١٦ .

يا أمير المؤمنين ، إن هذا لكائن ؟

« نَعَمْ ، إِنَّهُ مَخْلُوقٌ ، وَأَنْتَ لَكَ بِالْعِلْمِ بِهَذَا الْأَمْرِ ... يَا أَصْبَحُ ، أَوْلَسْنَاكَ خِيَارَ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَعَ أَهْلِ هَذِهِ الْفِتْرَةِ » .

سارع الأصبح قائلاً : ما يكون بعد ذلك ؟

« يَقْعُلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ، فَإِنَّ لَهُ إِرَادَاتٍ وَغَايَاتٍ وَنَهَايَاتٍ » ^(١) .

إنَّ ظهور المصلح الأعظم من الأمور الحتمية التي لا يخالفها شك ولا ريب ، فإنَّ ظهوره من الألفاظ التي يخصَّ الله تعالى بها عباده لإنقاذهم من الحياة البائسة الآتمة ، ويعيد لهم حكم الإسلام ، ودوره المشرق في إصلاح المجتمع وتطويره .

وعلى أي حال فقد أثرت عن إمام المتقين ووصيِّ رسول ربِّ العالمين أحاديث كثيرة تبشِّرُ بظهور الإمام المهدي عليه السلام ، وأنه يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .

مع أعشى باهلة

كان الإمام عليه السلام على المنبر يخطب ، ويذكر الملاحم التي ستجري على مسرح الحياة ، فقام إليه أعشى باهلة ، وكان غلاماً فأنكر عليه مقالته ، وقال له : ما أشبه هذا الحديث بحديث خرافة ، فرمقه الإمام بطرفه وقال له :

« إِنْ كُنْتَ آتِئاً فِيمَا قُلْتَ رَمَاكَ اللَّهُ بِغُلَامٍ ثَقِيفٍ » .

وانبرى إليه رجال فسألوه عن غلام ثقيف من هو ؟ فقال عليه السلام :

« غُلَامٌ يَمْلِكُ بِلَدَتِكُمْ هَذِهِ لَا يَتْرُكُ لِلَّهِ حُرْمَةً إِلَّا ائْتَهَكُمَا ، وَيَضْرِبُ عُنُقَ هَذَا الْغُلَامِ بِالسَّيْفِ ... » .

كم يملك يا أمير المؤمنين ؟

« عَشْرِينَ عَاماً ... » .

وسألوه أنه يقتل أو يموت حتف أنفه ، فأجابهم أنه يموت حتف أنفه ، قال إسماعيل بن رجاء : فوالله لقد رأيت بعيني أعشى باهلة قد أحضر من جملة الأسرى من جيش عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بين يدي الحجاج ففرّعه وورّخه ، واستنشد شعره الذي كان يحرض فيه على حرب الحجاج فأمر بضرب عنقه^(١) .

(١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ٢ : ٢٨٩ .

مع جندب الأزدی

شهد جندب بن عبدالله الأزدی مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حرب الجمل وصفتين، وكان على يقين لا يخامره شك بضلالة من حاربهم الإمام، فلما كانت واقعة النهروان داخله شك وقال في دخائل نفسه: قراؤنا وخيارنا نفتلهم إن هذا لأمر عظيم! وخرج غدوة يمشي، ومعه أداة، وقد نصب له ترساً ليستظل به من حرارة الشمس، فاجتاز عليه وقال له:

«يا أخا الأزد، أَمَعَكَ ظَهْورٌ؟»

نعم.

فناولته الأداة، ومضى الإمام بعيداً بحيث لا يراه أحد ثم أقبل وقد تطهر فجلس في ظل الترس، وجاء فارس يريد الإمام عليه السلام، فأمره بإحضاره، فلما مثل عنده قال له: يا أمير المؤمنين، قد أقبل القوم وقطعوا النهر...

فرد الإمام عليه السلام بلا تردد قائلاً:

«كَلَّا مَا عَبَرُوا...»

بلى والله عبروا.

«كَلَّا...»

وأقبل شخص آخر صوب الإمام، فقال له:

يا أمير المؤمنين ، قد عبر القوم ...

« كَلَّا مَا عَبَرُوا ... ».

وراح الرجل يقسم بالله على ذلك قاتلاً:

والله ما جئتك حتى رأيت الرايات في ذلك الجانب والأنفال .

فردّ عليه الإمام بعنف :

« وَاللَّهِ مَا قَعَلُوا ، وَإِنَّهُ - أَي قَبْلَ النَّهْرِ - لَمَضَرَعُهُمْ ، وَمُهْرَاقٌ دِمَائِهِمْ ... ».

وقد كان الرجال عيين للخوراج ، أرسلوا للإمام لبعض الأراض العسكرية

حتى يزحف لهم جند الإمام .

ونفض الإمام ﷺ ومعه الأزدي ، فقال في قرارة نفسه الحمد لله الذي بصرني

هذا الرجل ، وعرفني أمره ، فهو أحد رجلين : أما رجل كذاب جريء ، أو على بينة من

ربه ، وعهد نبيه ، اللهم إني أعطيك عهداً تسألني عنه يوم القيامة ، إن أنا وجدت

القوم قد عبروا أن أكون أول من يقاتله ، وأول من يطعن في عينه بالرمح ، وإن كان

القوم لم يعبروا ، أن أقيم معه على المناجزة والقتال ، فدفعنا إلى الصفوف ، فوجدنا

رايات القوم وأفعالهم كما هي :

وأقبل الإمام فأخذ بقفاي وقال بحكي ما أضمره في نفسه :

« يَا أَخَا الْأَزْدِ ، أَتَبَيَّنَ لَكَ الْأَمْرُ ؟ ».

أجل يا أمير المؤمنين !!

« شَأْنُكَ بِعَدْوِكَ ... ».

وانضم في سلك الجيش ، وأخذ يقاتل الخوارج على بصيرة من أمره ^(١).

مع المبايعين للضبّ

روى الثقة الأمين الأصمعي بن نباتة ، قال : أمرنا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالمسير إلى المدائن ، فسرنا يوم الأحد ، وتخلّف عمرو بن حرith - وهو من رؤوس المنافقين - ومعه سبعة من أصحابه ، فخرجوا للتنزّه في (الخورنق) وبينما هم يتغدّون إذ خرج عليهم ضبّ ، فصادوه ، فأخذ عمرو بن حرith فنصب كفّه ، وقال : بايعوا هذا أمير المؤمنين ، فبايعه السبعة وعمرو ثامنهم ، ثم ارتحلوا فقدموا المدائن ، وكان الإمام يخطب ، فلما نظر إليهم قال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَسْرَ إِلَيَّ أَلْفَ حَدِيثٍ ... وَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ يَقُولُ : ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾ ، وَإِنِّي أَقْسِمُ لَكُمْ بِاللَّهِ تَعَالَى ، لَيُبْعَثَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَمَانِيَةُ نَقَرٍ يُدْعَوْنَ بِإِمَامِهِمْ ، وَهُوَ ضَبٌّ ، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أُسَمِّيَهُمْ لَفَعَلْتُ » .

وذاب ابن حرith وارتعدت أوصاله من هذا النبأ ^(١) .

مع ذي الثدية

ذو الثدية هو الخويعصر التميمي ، حرقوص بن زهير المعروف بذو الثدية ، من رؤوس المنافقين والمارقين من الإسلام ، وهو الذي قال للنبي ﷺ حينما كان يقسم المال أعدل ، فغضب النبي ﷺ وقال :

«وَيْلَكَ مَنْ يَغْدِلُ إِذَا لَمْ أُغْدِلْ !» .

وروى أنس قال : كان في عهد رسول الله ﷺ رجل يحبنا تعبده واجتهاده ، فذكرناه لرسول الله ﷺ باسمه فلم يعرفه ، فبينما نحن نذكره إذ طلع الرجل علينا فقلنا هو هذا ، فقال :

«إِنَّكُمْ لَتَخْبِرُونِي عَنْ رَجُلٍ أَنْ فِي وَجْهِهِ لَسَفْعَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ» .

فأقبل حتى وقف عليهم ولم يسلم ، فقال له رسول الله ﷺ :

«أَنْشُدْكَ اللَّهَ ، هَلْ قُلْتَ : حَتَّى وَقَفْتَ عَلَى الْمَجْلِسِ ، مَا فِي الْقَوْمِ أَحَدٌ أَفْضَلُ مِنِّي أَوْ خَيْرُ شَيْءٍ ؟ ...» .

اللهم نعم .

ثم مضى يصلي ، فقال رسول الله ﷺ :

«مَنْ يَقْتُلِ الرَّجُلَ ؟» .

قال أبو بكر : أنا فدخل عليه فوجده يصلي فقال : سبحان الله !! أأقتل رجلاً

بصلي، وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتل المصلين، وقفل راجعاً إلى النبي ﷺ فقال له:

« مَا فَعَلْتَ ؟ » .

قال: كرهت أن أقتله وهو بصلي، وقد نهيت عن قتل المصلين، فندب رسول الله ﷺ أصحابه ثانياً، فأنبرى عمر وقال: أنا فمضى إليه فوجده واضعاً جبهته لله فكره أن يقتله، فرجع إلى رسول الله ﷺ .

فقال له: « مَهَيْمٌ ؟ » ^(١) قال عمر: وجدته واضعاً جبهته لله فكرهت أن أقتله، فندب رسول الله ﷺ إلى قتله، فأنبرى إليه الإمام ﷺ فوجده قد خرج، فأقبل إلى النبي ﷺ، فأخبره بخروجه، فقال:

« لَوْ قُتِلَ مَا اخْتَلَفَ مِنْ أُمَّتِي رَجُلَانِ » ^(٢) .

لقد انطوت نفس ذي الثدية على الكفر، وكان إسلامه ظاهرياً، وقد تمرد على الإمام ﷺ الذي هو نفس رسول الله ﷺ حسبما دلت عليه آية المباهلة، فقد أعلن المصيان المسلح على حكومة الإمام ﷺ في حرب النهروان، وهو من أعلام الخوارج، ولما انتهت الحرب، وستطوا قتلى في أرض المعركة طلب الإمام من أصحابه أن يلتمسوا له ذا الثدية، فبحثوا عنه فلم يجدوه فأخبروا الإمام بذلك، فأمرهم ثانياً بالبحث عنه قائلاً:

« مَا كَذِبْتُ وَلَا كَذَبْتُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَإِنَّهُ لَنَاقِصُ الْيَدِ لَيْسَ فِيهَا عَظْمٌ، فِي طَرَفِهَا حَلْمَةٌ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرَأَةِ، عَلَيْهَا خَمْسُ شَعْرَاتٍ أَوْ سِتُّ، رُؤُوسُهَا مَقْصَعَةٌ » .

(١) كلمة استفهام معناها ما حالئك أو ما حدث لك أو ما الخبر؟

(٢) النص والاجتهاد: ١١٨، الطبعة السابعة، نقلاً عن أمتهات المصادر الإسلامية.

وأمر الإمام بإحضار جثته ، فلمّا مثلت أمامه كشفوا عن يده ، فإذا ليس له يد ، وإنما على منكبه ثدي كثندي المرأة ، وعليه شعرات سود تمتدّ حتى تحاذي بطن يده الأخرى ، فإذا تركت عادت ، ولمّا رأى الإمام ذلك خرّ لله تعالى ساجداً^(١).

لقد تحقّق ما أخبر به الإمام في شأن ذي النديّة وكان ذلك ممّا عهد به رسول الله ﷺ إليه .

إخباره بحكومة مروان وأولاده

واستشفَّ الإمام عليه السلام من وراء الغيب أنَّ مروان بن الحكم الوزغ ابن الوزغ سوف يلي الحكم مع أبنائه الأربعة وهم بنو عبد الملك : الوليد ، سليمان ، يزيد ، وهشام ، ولم يل الحكم من بني أمية ولا من غيرهم اخوة إلا هؤلاء^(١) ، وكان إعلان الإمام عليه السلام عن ذلك حينما ألقى القبض على مروان بعد انتهاء حرب الجمل ، وجيء به أسيراً ، وقد تشفع به الإمامان الحسن والحسين عليه السلام فقالا لأبيهما :

« يَا يُعْلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ » .

وزهد الإمام في بيعته قائلاً :

« أَوْ لَمْ يَبَايَعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ ؟ لَا حَاجَةَ لِي فِي يَبَاعَتِهِ ! إِنَّهَا كَفَّ يَهُودِيَّةٌ لَوْ بَايَعْنِي بِكَفِّهِ لَقَدَرْتُ بِسُيَّتِهِ . أَمَا إِنَّ لَهُ أَمْرَةً كَلَفَقَةَ الْكَلْبِ أَنْفَهُ ، وَهُوَ أَبُو الْأَكْبَشِ الْأَرْبَعَةِ ، وَسَتَلْقَى الْأَمَّةَ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْمًا أَخْمَرًا »^(٢) .

وحكت هذه الكلمات ما يلي :

١ - إنها ألَمَّتْ بنفسية مروان ، وحكت طباعه وميوله ، وكان من أبرزها الغدر والمكر ، وخبث السريرة ، فقد بايع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد قتل عثمان بن

(١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ٦ : ١٤٧ .

(٢) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ٦ : ١٤٦ .

عَفَان ، وَلَكِنَّهُ سَرَعَانَ مَا نَكثَ بَيْعَتَهُ ، فَقَدْ انْضَمَّ إِلَى حِزْبِ عَائِشَةَ الَّتِي أَعْلَنَتِ التَّمَرُّدَ عَلَى حُكُومَةِ الْإِمَامِ .

إِنَّ مَرْوَانَ لَمْ يَتَمَتَّعْ بِأَيَّةِ نَزْعَةٍ كَرِيمَةٍ ، فَقَدْ انْغَمَسَ فِي الْبَاطِلِ وَالْمُوبِقَاتِ ، وَقَدْ لَعَنَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ فِي صُلْبِ أَبِيهِ ، فَقَدْ رَوَتْ عَائِشَةُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَعَنَ أَبَا مَرْوَانَ وَمَرْوَانَ فِي صُلْبِهِ ^(١) وَجِيءَ بِهِ بَعْدَ وِلَادَتِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ :

« هُوَ الْوَزْغُ ابْنُ الْوَزْغِ الْمَلْعُونُ ابْنُ الْمَلْعُونِ » ^(٢) .

وَاجْتَازَ الْحَكَمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ :

« وَيْلٌ لِمُتَيِّمًا فِي صُلْبٍ هَذَا » ^(٣) .

لَقَدْ اسْتَشَفَّ النَّبِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْغَيْبِ مَا تَعَانِيهِ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ مِنَ الْأَحْدَاثِ الْجَسَامِ مِنْ مَرْوَانَ وَأَبْنَائِهِ فَلَعَنَهُمْ وَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ .

٢- أَنَّ الْإِمَامَ ﷺ أَخْبَرَ عَنْ فَصْرِ الْحَدَّةِ الَّتِي يَحْكُمُ فِيهَا مَرْوَانَ ، وَشَبَّهَهَا بِلُعْقَةِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ ، وَهُوَ كِتَابَةٌ عَنْ قَذَارَةِ حُكْمِهِ ، وَسُوءِ سُلْطَانِهِ ... وَكَانَ سَبَبَ هَلَاكِهِ أَنَّهُ عَيْرَ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ بِأُمِّهِ الَّتِي هِيَ زَوْجَتُهُ ، فَفَزَعَ إِلَى أُمِّهِ بِيكِي ، فَتَأَلَّمَتْ ، وَسَارَعَتْ مَعَ جَوَارِيهَا إِلَى اغْتِيَالِهِ ، وَبِذَلِكَ انْتَهَتْ صَفْحَةٌ مِنْ صَفْحَاتِ الْخَزْيِ وَالْعَارِ ، وَانْطَوَى مَلْفٌ مِنْ مَلَفَاتِ الْخِيَانَةِ وَالْإِثْمِ .

٣- أَنَّ الْإِمَامَ ﷺ أَخْبَرَ عَمَّا تَعَانِيهِ الْأُمَّةُ فِي عَهْدِهِ وَعَهْدِ أَبْنَائِهِ مِنَ الْكُوَارِثِ وَالْخُطُوبِ ، وَقَدْ جَرَى ذَلِكَ ، فَقَدْ تَجَرَّعَ الْعَالَمُ الْإِسْلَامِيُّ أَلْوَانًا قَاسِيَةً وَمُرِيرَةً مِنَ الْمُحَنِّ الشَّاقَّةِ ، وَالَّتِي كَانَتْ مِنْهَا أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ وَلَّى عَلَى الْأُمَّةِ أَشْرَّ خَلْقِ اللَّهِ ، وَهُوَ الْحَبَّاجُ الثَّقَفِيُّ الَّذِي جَهَدَ عَلَى ظَلْمِ النَّاسِ ، وَارْغَامِهِمْ عَلَى مَا يَكْرَهُونَ .

(١) تفسير القرطبي ١٦ : ١٩٧ . تفسير الرازي ٧ : ٤٩٧ . أسد الغابة ٢ : ١٣٤ .

(٢) مستدرک الحاكم ٤ : ٤٩٧ .

(٣) أسد الغابة ٢ : ٣٤ .

إخباره عن مُلك معاوية

أخبر الإمام عليه السلام من حضر في مجلسه عن استيلاء معاوية على الحكم، وما تعانيه الأمة في عهده من الظلم والجور قائلاً:

«أَمَّا إِنَّهُ سَيُظْهِرُ عَلَيْكُمْ بَغْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ، مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ^(١)، يَأْكُلُ مَا يَجِدُ، وَيَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ، قَاتِلُوهُ، قَاتِلُوهُ، وَلَنْ تَقْتُلُوهُ! أَلَا وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَالْبَرَاءَةِ مِنِّي؛ فَأَمَّا السَّبُّ فُسْبُونِي، فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ، وَلَكُمْ نَجَاةٌ؛ وَأَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلَا تَتَّبِعُوا مِنِّي؛ فَإِنِّي وَلِذْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَسَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ»^(٢).

وحكت هذه الكلمات الصفات القذرة الماثلة في معاوية من نهمه وجشعه على الطعام، وصفاته الجسدية التي منها اندحاق البطن وغيرها... وأنه سيفرض على المسلمين سب الإمام والبراءة منه؛ لأنه رائد العدالة الاجتماعية، وقد فضحه وفضح غيره من ملوك الظلم والجور وذلك بما سار عليه أيام حكومته من العدل الخالص والحق المحض.

(١) مندحق البطن: أي عظيم البطن.

(٢) نهج البلاغة ١: ١٠٥.

إخباره عن استيلاء الأمويين على الحكم

أخبر الإمام عليه السلام عن استيلاء الأمويين على الحكم ، وما تعانیه الأمة في ظلّ حكمهم من الظلم والجور ، قال عليه السلام :

« أَلَا وَإِنَّ أَحْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ غَمِيَاءُ مُظْلِمَةٌ ، غَمَّتْ خُطُوتُهَا ، وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا ، وَأَصَابَ الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا ، وَأَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا .

وَإِنَّمَا اللَّهُ لَتَجِدُنْ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي ، كَالنَّابِ الضَّرُوسِ ^(١) ، تَعْذِمُ بِفِيهَا ^(٢) ، وَتَخْطُبُ بَيْتَهَا ، وَتَزِينُ بِرِجْلِهَا ^(٣) ، وَتَمْنَعُ ذَرْعَهَا ، لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لَا يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إِلَّا نَاقِعًا لَهُمْ ، أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ .

وَلَا يَزَالُ بَلَاؤُهُمْ عَنْكُمْ حَتَّى لَا يَكُونَ انْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا كَانَتْصَارِ الْقَبْرِ مِنْ رَبِّهِ ، وَالصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَضْجِيهِ ، تَرُدُّ عَلَيْكُمْ فِتْنَتَهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَّةَ ، وَقَطْعًا جَاهِلِيَّةَ ، لَيْسَ فِيهَا مَنَارٌ هُدًى ، وَلَا عِلْمٌ يُرَى ^(٤) .

(١) الناب الضروس : هي الناقة السيئة .

(٢) تعذم فيها : أي تمسّ فيها ، أو تأكل بجفاء .

(٣) تزيّن برجلها : أي تدفع برجلها .

(٤) منهاج البراهة ٧ : ٨٦ . نهج البلاغة ١ : ١٨٣ .

أعرب الإمام في حديثه عن استيلاء الأمويين على الحكم ، وعمّا تعانيه الأمة في عهدهم من الظلم والجور ، ولا يسلم من شرهم إلا من كان عميلاً لهم ، وخادماً لرغباتهم ، أمّا من حاد عنهم فمصييره السجن والإعدام .



ظلم الأمويين وجورهم

وأحاط الإمام عليه السلام أصحابه علماً بما تعانيه الأمة من ظلم الأمويين وجورهم بعد تسلمهم لقيادة الحكم قائلاً:

« وَاللَّهِ لَا يَزَالُونَ حَتَّى لَا يَدْعُوا لِلَّهِ مُحَرَّمًا إِلَّا اسْتَحْلَوْهُ، وَلَا عَقْدًا إِلَّا حَلُّوهُ، وَحَتَّى لَا يَبْقَى بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ وَنَبَأَ بِهِ سُوءُ رَغِبِهِمْ، وَحَتَّى يَقُومَ الْبَاكِتَانِ يَبْكِيَانِ: بَاكِ يَبْكِي لِدِينِهِ، وَبَاكِ يَبْكِي لِذُنُوبِهِ، وَحَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ، إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ، وَإِذَا غَابَ اغْتَابَهُ » ^(١).

وعاش الأمويون في الأرض فساداً، وملؤوا الدنيا ظلماً وجوراً حتى قال القائل في عهد زياد الأخ الأشعرى لمعاوية: أنج سعد فقد هلك سعيد، ولم يبق ظلم إلا صَبَّوه على المسلمين خصوصاً على شيعة أهل البيت عليهم السلام.

مع جيشه المتخاذلين

وأخبر الإمام عليه السلام جيشه المتخاذل ما يجري عليهم من الذل والهوان من بعده قائلاً:

«أَمَّا إِنْكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلًّا شَامِلًا، وَسَيْفًا قَاطِعًا، وَأَثَرَةً يَتَخَذُهَا الظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً، فَيَفْرُقُ جَنَاحَتَكُمْ، وَيُنْكِي عُيُونَكُمْ، وَيَدْخُلُ الْفَقْرَ بِيُوتَكُمْ، وَتَتَمَنُّونَ عَنْ قَلِيلٍ أَنَّكُمْ رَأَيْتُمُونِي فَتَنْصَرُّتُمُونِي فَتَسْتَغْلَمُونَ حَقًّا مَا أَقُولُ لَكُمْ، وَلَا يُنْعِدُ اللَّهُ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَاتَّقَمَ»^(١).

وتحقق ما أنبأ به الإمام عليه السلام جيشه الذي أعلن عليه العصيان ، فقد ألبسهم الله ذلًا شاملاً وسلط عليهم أرجاس البشرية من الأمويين فجهدوا في ظلمهم وإذلالهم ، وأخذوا البريء منهم بالسقيم ، والمقبل بالمدير ، وقتلوا منهم على الظنة والتهمة ، وقد ندم أهل الكوفة بعد أن آل الحكم إلى معاوية كاشدًا ما يكون الندم على خذلانهم للإمام ، وتمنوا وجوده لينصروه ويحموه .

ظلم الحجاج وجوره

وأدلى الإمام عليه السلام في بعض خطبه ما سيحل بأهل الكوفة الذين جرّعوه نغب التهام ، وملؤوا قلبه الشريف آلاماً بعصيانهم وخذلانهم ، وإن الله تعالى سيسلط عليهم الحجاج بن يوسف الثقفي فيسقيهم كأس مصبرة ، قال عليه السلام :

«أَمَّا وَاللَّهِ ، لَيَسْلُطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلَامٌ ثَقِيفٍ الذِّيَالُ^(١) ، يَأْكُلُ خَضِرَ تَكْمٍ ، وَيَذِيبُ شَحْمَتَكُمْ ، إِيَّاهُ أَبَا وَذَحَةَ !»^(٢).

ولم تمض الأيام حتى سلط الله على أهل الكوفة الحجاج بن يوسف الثقفي ، وهو أقذر اراهابي لا يعرف الرحمة ، ولا عهد له بالرفقة ، وقد اقترف من الفضائع والآثام في أهل الكوفة ما لا يوصف لمرارته وقسوته .

وقد أجمع المؤرخون على ظلمه وجوره ، وأنه كان لا يلتذ إلا بسفك الدماء ، وإشاعة الرعب والفرع بين الناس ، وقد مرّ على الكوفة في عهده دور قاس ورهيب لم تشاهد في مثله إلا في عهد الطاغية زياد بن أبيه ، وابنه عبيد الله لقد سجن آلاف الأبرياء من النساء والرجال من غير ذنب اقترفوه ، وإنما كان يقتل ويسجن على الظنّة والتهمة من غير تحقيق .

(١) الذيال : الطويل القد المتبحر في مشيته .

(٢) نهج البلاغة ١ : ٢٣٠ .

أما سبب هلاكه فتعزوه المصادر إلى أنه رأى خنفساء تدب إلى مصلاه فطردها فعادت ، فطردها فعادت ، فأخذها بيده فلسعته ، فورمت يده ، وأخذته الحمى من اللسعة ، حتى هلك بأضعف مخلوقات الله ، وهذا هو المراد من قوله ﷺ :
«إِيَّاهُ أَبَا وَذَحَّةً» .

لقد عانى أهل الكوفة هذا البلاء العاصف من جرّاء تحاذلهم عن الإمام وعصيانهم له .

المقتولون من أصحابه والناجون من الخوارج

ولمّا صمّم الإمام عليه السلام على حرب الخوارج أخبر عن عدد المقتولين من أصحابه ، والناجين من الخوارج قال عليه السلام :

« مَصَارِعُهُمْ دُونَ النُّطْقَةِ ^(١) ، وَاللَّهِ لَا يَقْلِتُ مِنْهُمْ عَشْرَةٌ ، وَلَا يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشْرَةٌ » ^(٢) .

وتحقّق ما أخبر به الإمام ، فقد استشهد من أصحابه عشرة أشخاص ، وبقي من الخوارج عشرة أشخاص ، وهم الذين أشاعوا فكرة الخوارج بين المسلمين .

(١) قال الرضوي : يعني بالنطق ماء النهر ، وهي أفصح كتابة .

(٢) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ٥ : ١ .

مقتل زُرْعَة

ذكر ابن أبي الحديد: أَنَّ عَلِيًّا (ع) لَمَّا دَخَلَ الْكَوْفَةَ دَخَلَهَا مَعَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْخَوَارِجِ، وَتَخَلَّفَ مِنْهُمْ بِالْخَيْلَةِ وَغَيْرِهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ لَمْ يَدْخُلُوهَا، فَدَخَلَ حُرْقُوصُ بْنُ زَهْرٍ السَّعْدِيُّ، وَزُرْعَةُ بْنُ الْبُرْجِ الطَّائِيُّ - وَهُمَا مِنْ رُؤُوسِ الْخَوَارِجِ - عَلِيَّ (ع) فَقَالَ لَهُ حُرْقُوصُ: تَبَ مِنْ خَطْبِئَتِكَ، وَاخْرَجْ بِنَا إِلَى مَعَاوِيَةَ نَجَاهِدُهُ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ (ع):

«إِنْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنِ الْحُكُومَةِ فَأَبَيْتُمْ، ثُمَّ الْآنَ تَجْعَلُونَهَا ذَنْبًا! أَمَّا إِنِّي لَيْسْتُ بِمَعْصِيَةٍ، وَلَكِنَّهَا عَجْزٌ مِنَ الرَّأْيِ، وَضَعْفٌ فِي التَّدْبِيرِ، وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ».

فَقَالَ زُرْعَةُ: أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ تَتَبَ مِنْ تَحْكِيمِكَ الرِّجَالَ لَا قَتْلَنَّاكَ ...

فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ (ع):

«بُؤْسًا لَكَ مَا أَشَقَّاكَ! كَأَنِّي بِكَ قَتِيلًا تَسْفِي عَلَيْنَاكَ الرِّيحُ!»^(١).

(١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ٢: ٢٦٨.

عدم نهاية الخوارج

ولما أباد الإمام عليه السلام معظم الخوارج ، قيل له : يا أمير المؤمنين ، هلك القوم بأجمعهم ، فقال عليه السلام :

« كَلَّا وَاللَّهِ ؛ إِنَّهُمْ نُطِفَ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ ، وَقَرَارَاتِ النِّسَاءِ ، كُلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلَابِينَ » .

وتحقق ما أخبر به الإمام عليه السلام فلم يهلكوا جميعاً ، وإنما بقيت منهم عصابة اتسعت وقاومت الولاة والحكام .

خلافة عبد الملك

وأدلى الإمام عليه السلام ، وهو على المنبر بإمرة عبد الملك بن مروان ، وما يرافقها من سفك الدماء قائلاً :

« كَأَنِّي بِهِ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ ، وَفَحَصَ بِرَأْيَانِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانِ ، فَتَغَطَّفَ عَلَيْهَا عَطَفَ الصُّرُوسِ ، وَفَرَشَ الْأَرْضَ بِالزُّوْسِ . قَدْ فَعَرَتْ فَأَعْرَتْهُ ، وَثَقَلَتْ فِي الْأَرْضِ وَطَأَتْهُ ، بَعِيدَ الْجَوْلَةِ ، عَظِيمَ الصَّوْلَةِ » ^(١) .

وحكى كلام الإمام عليه السلام ظهور عبد الملك بن مروان بالشام ، وملكه للعراق ، وما يقتل من المسلمين من جراء ذلك ، فقد ملئت الأرض بجثث القتلى في حربه لابن الزبير ، فقد انتشر الحزن ، وعمّ الحداد جميع أرجاء الوطن الإسلامي من كثرة القتلى .

ثورة ابن الزبير

من المغيبيات التي أخبر عنها إمام المتقين ، وسيد الموحدين عليه السلام ثورة ابن الزبير ، وسعيه لطلب الملك بجميع طاقاته إلا أنه لم يظفر به ، وقد وصفه عليه السلام وحكى نفسيته بما يلي :

« حَبٌّ ، ضَبٌّ يَرُومُ أَمْراً لَا يَنْدِرُكُهُ ، يَنْصَبُ حِبَالَةَ الدِّينِ لِضَطْيَاقِ الدُّنْيَا ، وَهُوَ بَعْدُ مَضْلُوبٌ قُرَيْشٍ » .

وَأَلَمْ حَدِيثُ الْإِمَامِ عليه السلام بأوصاف ابن الزبير ، وبنهايته وهي كما يلي :

١ - إِنَّ الْإِمَامَ عليه السلام وصف ابن الزبير بالخب ، وهو المخادع الخبيث ^(١) . كما وصفه بالضب ، وهو البخيل ، والعرب تشبه كَفَّ البخيل إذا قصر عن العطاء بكَفَّ الضب ^(٢) .

لقد كان ابن الزبير خداعاً ، بخيلاً ، سيئ الخلق ، حسوداً ، لا يتمتع بأية صفة كريمة ، وقد عانت الموالى في عهده الضيق والحرمان يقول الشاعر :

إِنَّ الْمَوَالِي أُمْتُ وَهْيَ عَاتِبَةٍ عَلَى الْخَلِيفَةِ تَشْكُوا الْجُوعَ وَالضَّمَا

مَاذَا حَلَيْنَا وَمَاذَا كَانَ يَرْزُونَا أَيُّ الْمُلُوكِ عَلَى مَنْ حَوْلَنَا غَلْبَا

٢ - إِنَّ ابْنَ الزَّبِيرِ رَامَ الْخِلَافَةَ وَسَعَى إِلَيْهَا جَاهِداً بَاطِلاً جَمِيعَ طَاقَاتِهِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ

يظفر بها - كما قال الإمام - وذلك لبعده ، وفيه يقول الشاعر :

رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ وَرَتَكَ غَالِبَ عَلَى أَمْرِهِ يَبْغِي الْخِلَافَةَ بِالنَّمْرِ ^(١)

وقد عانى المسلمون في حكمه القصير الأمد الجوع والحرمان ؛ لأنه لم تكن عنده أئمة نفعه من نفحات الكرم والجود .

٣ - من أوصاف ابن الزبير أنه كان مرأباً لا يعرف الواقع ، فقد أظهر النسك والعبادة والتجرد عن الدنيا ، مع أنه كان ذنباً ، فقد اعتمد على الرياء لإغراء السذج والبسطاء ، ولم يخف أمره على العارفين به ، فقد قال عبدالله بن عمر لزوجته حينما ألحّت عليه بمبايعته لأنه تقي متعبّد ، فردّ عليها قائلاً :

أما رأيت بغلات معاوية التي كان يحجّ عليها الشهباء فإنّ ابن الزبير ما يريد غيرها ^(٢) .

ومن المؤكّد أنّه عار من جميع أرصدة التقوى والخوف من الله تعالى ، ولو كان يرجو الله واليوم الآخر لما حارب وصي رسول الله ويا ب مدينة علمه ، وكان من أعظم الحاقدين على الأسرة النبوية ، فقد كان يخطب ، ولا يصلي على النبي ﷺ في خطابه ، وقيل له في ذلك فقال : إنّ له أهل بيت إن ذكرته أشربت أعناقهم

وبلغ من عداوته للأسرة النبوية أنّه حبسهم وهذّدهم بالحرق إن لم يبايعوه ، فأنقذهم بطل الإسلام المختار بن عبيدة من شرّه وبلائه ، وقد طلب الجيش من العلويين أن ينزل العقاب الصارم من ابن الزبير عدوّهم الماكر فأبوا وتمسّكوا بأخلاقهم العلوية ، وهي مكافأة المسيء بالإحسان .

(١) المعارف - ابن قتيبة ٣ : ٢٥ .

(٢) المختار : ٩٥ .

المختار

لَمَّا ظَهَرَ الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدَةَ بِالْكُوفَةِ فَبَايَعَهُ النَّاسُ وَطَالِبُ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام فجاء عبيد الله بن زياد من الشام بجيش جرّار فبعث إليهم ابن الأشر فجال جيش ابن الأشر مناديين يا ثارات الحسين فناداهم الصبر الصبر، فتراجعوا، فقال لهم عبد الله بن يسار بن أبي عقيب الدؤلي: حدّثني خليلي - يعني أمير المؤمنين عليه السلام - إنا نلقى أهل الشام على نهر يقال له الخازر، فيكشفوننا حتى نقول هي هي ثم نكرّ عليهم فنقتل أميرهم.

وفعلًا فقد تحقّق ما أخبر به أمير المؤمنين عليه السلام فقد قتل في ليل ذلك اليوم الوغد الخبيث ابن مرجانة وتبدّد جيشه كما يتبدّد الظلام في النور.

وسئل الإمام زين العابدين: يا بن رسول الله، إن أمير المؤمنين عليه السلام ذكر من أمر المختار ولم يقل متى يكون؟ ولمن يقتل؟ فقال عليه السلام: «صَدَقَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام». «أَوَّلًا أَخْبَرَكَ مَتَى يَكُونُ؟»، قالوا: بلى.

قال عليه السلام: «يَوْمَ كُنَّا إِلَى ثَلَاثِ سِنِينَ مِنْ قَوْلِي هَذَا لَكُمْ، وَسَيُوتِي بِرَأْسِي عُبَيْدُ اللَّهِ ابْنُ زِيَادٍ وَيُسَمِّرُ بَنِي ذِي الْجَوْشَنِ عَلَيْهِمَا اللَّفَنَةُ فِي يَوْمٍ كُنَّا وَكُنَّا، وَسَنَأْكُلُ وَهُمَا بَيْنَ أَيْدِينَا - أَيِ رَأْسَيْهِمَا - تَنْظُرُ إِلَيْهِمَا» ^(١).

انقراض دولة بني أمية

أدلى الإمام عليه السلام بحديث له عن حتمية انقراض دولة الأمويين ، قال عليه السلام : « فَأَقْسِمُ بِاللَّهِ ، يَا بَنِي أُمَيَّةَ ، عَمَّا قَلِيلٍ لَتُغْرِقُنَّهَا - أَيِ الْخِلَافَةِ - فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ وَفِي دَارٍ عَدُوِّكُمْ ! »^(١)

لقد انقضت الدولة الأموية على يد أعدائهم وخصومهم العباسيين ، فأشاعوا فيهم القتل والتنكيل ، وأبادوهم تحت كل حجر ومدر ، ولم يشفع فيهم أحد سوى سليل النبوة الإمام الصادق عليه السلام ، فقد كتب إلى السفاح يطلب منه أن لا يتمرّض بسوء لمن بقي منهم ، فيهر السفاح ، وقال : قتلوا آباءهم وسبوا نساءهم ، ويستشفع فيهم ، ولم يعلم السفاح أنّ الإمام الصادق عليه السلام من أهل بيت النبوة ، ومعدن الرحمة ، وأنهم يفيضون بالإحسان لمن أساء إليهم .

حكومة بني العباس

أخبر الإمام عليه السلام مستشاره عبدالله بن العباس بانتقال الحكم إلى أبنائه :

١- وذلك حينما ولد له ولد أسماه علياً ، فحمله إلى الإمام للتبرك به فأخذه الإمام وتفل في فيه ، وحنكه بتمرّة ودفعه إليه ، وقال له :
« خُذْهُ إِلَيْكَ أَبَا الْأَمَلَاكِ ... »^(١).

٢- وكذلك أخبره في حديث آخر بقوله عليه السلام :

« يَا بَنَى عَبَّاسٍ ، إِنْ مُلِكَ بَنِي أُمَيَّةَ إِذَا زَالَ فَأَوَّلُ مَا يَمْلِكُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ
وَلَدَكَ فَيَقْعَلُونَ الْأَفَاعِيلَ »^(٢).

وتحقّق ما تنبأ به الإمام ، فقد آل الحكم إلى بني العباس الذين هم من ذرية عبدالله ، بعد أن انقرضت الدولة الأموية التي عالت فساداً في الأرض .

(١) الكامل - المبرد ٢: ٢١٧.

(٢) الفضائل - ابن شاذان: ١٤١.

شخص يريد الاحتيال على الإمام

قال عليه السلام: «لَوْ وَجَدْتُ ثِقَّةً لَبَعَثْتُ مَعَهُ بِمَالِ إِلَى شِيعَتِي فِي الْعَدَائِي»، فقال رجلٌ في نفسه لأنَّه ولأقولنَّ أنا ذاهب بالمال فيثق بي، فإذا أخذه أخذت طريقي إلى الشام إلى معاوية، فقصدت الإمام، وقلت له: أعطني المال حتى أبعثه إلى شيعتك، فنهره الإمام وقال له:

«إِلَيْكَ عَنِّي، تَأْخُذُ طَرِيقاً إِلَى مُعَاوِيَةَ...»^(١).

إخباره بمجيء ألف لمبايعته

كان الإمام عليه السلام بذي قار يأخذ البيعة ، فقال عليه السلام لأصحابه :
« يَا أَيُّكُمْ مِنْ قَتَلَ الْكُوفَةَ أَلْفَ رَجُلٍ لَا يَزِيدُونَ رَجُلًا وَلَا يَنْقُصُونَ رَجُلًا ،
يُبَايِعُونِي عَلَى الْمَوْتِ » .

قال ابن عباس : فجزعت لذلك ، وخفت أن ينقص القوم من العدد أو يزيدون
عليه ، فأخذت أحصي القوم فاستوفيت عددهم تسعمائة رجل ، وتسعة وتسعين
رجلاً ثم انقطع مجيء القوم ، فداخلني الشك والريب فبينما أنا أفكر إذ رأيت شخصاً
قد أقبل ، وهو راجل عليه قباء صوف ومعه سيف وترس وأداة ، فقال للإمام عليه السلام :
امدد يدك أبايملك ..

« عَلَّامٌ ثَبَائِعِي ؟ » .

على السمع والطاعة والقتال بين يديك أو يفتح الله على يدك ..
« مَا اسْمُكَ ؟ » .

أويس القرني .

« اللَّهُ أَكْبَرُ ، أَخْبَرَنِي حَبِيبِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنِّي أَذْرِكُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يُقَالُ لَهُ
أُوَيْسُ الْقُرْنِيِّ يَكُونُ مِنْ حِزْبِ اللَّهِ يَمُوتُ عَلَى الشَّهَادَةِ ، يَدْخُلُ فِي شَفَاعَتِهِ مِثْلَ رِبِيعَةٍ
وَمُضَرٍّ .. » ^(١) .

الصليب في عنق معاوية

قال ﷺ: « لَا يَمُوتُ ابْنُ هِنْدَ حَتَّى يُعَلَّقَ الصَّلِيبُ فِي عُنُقِهِ »^(١).

وقد تحقق ذلك ، فقد ذكر الرواة أَنَّ معاوية لما أَلَمَّتْ به الأمراض كان له طبيب نصراني ، فقال له :

إِنَّ أَلَاماً قَدْ أَخَذَتْنِي فَهَلْ لِي مِنْ سَبِيلٍ لِلتَّخْلُصِ مِنْهَا ؟

فقال له : نعم ، عندنا صليب ما علِّقه مريض في عنقه إِلَّا بَرَأَ ، فجاء بالصليب إليه فعَلِّقه في عنقه ، وتوفِّي معاوية والصليب في عنقه^(٢).

(١) بحار الأنوار ٤١ : ٣٠٥ .

(٢) المناقب والمثالب - أبي حنيفة (مخطوط) .

البشارة بمولد الإمام زين العابدين عليه السلام

عند اقتران الإمام الحسين عليه السلام بالسيدة الجليلة شاه زنان برك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لولده قائلاً:

« يا أبا عبد الله، تَلِدَنَّ لَكَ مِنْهَا غَلامٌ حَيَّزُ أَعْلَى الْأَرْضِ »^(١).

وفعلاً فقد تحقّق ما أخبر عنه الإمام عليه السلام، فقد ولدت لولده الحسين عليه السلام سيّد الساجدين وتاج البكّائين زين العابدين صاحب رسالة الحقوق، والتي هي من أذخر الرسائل الحقوقية، والصحيفة السّجّادية وهي إنجيل آل محمّد...^(٢).

(١) الأحاديث الغيبية ٢: ١٧٦.

(٢) قد ذكرنا مفصلاً من حياة الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام في كتابنا: حياة الإمام زين العابدين عليه السلام في مجلدين.

مقتل الإمام الرضا عليه السلام

عن النعمان بن سعد قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام :

« سَيَقْتُلُ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِي بِأَرْضِ خُرَاسَانَ بِالسُّمِّ ظُلْمًا ، اسْمُهُ اسْمِي ،
وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ ابْنِ عِمْرَانَ مُوسَى عليه السلام ، أَلَا فَمَنْ زَارَهُ فِي غُرْبَتِهِ غَفَرَ اللَّهُ عَنْهُ
وَجَلَّ لَهُ ذُنُوبُهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْهَا وَمَا تَأَخَّرَ ... » ^(١).

لقد تحقّق ما أخبر به عليه السلام فقد رزق الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بالإمام الرضا ،
والذي هو أقرى شخصية عرفها التاريخ بعلومه ومعارفه في زمانه ؛ إذ فتك به المأمون
العباسي بالسّم بعدما غرّبه عن الأوطان فمضى عليه السلام شهيداً محتسباً ^(٢).

(١) عيون أخبار الرضا ٢ : ٢٥٨ .

(٢) قد ذكرنا من حياته مفصلاً في كتابنا : حياة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ، في
مجلدين .

مدينة بغداد

اجتاز الإمام عليه السلام على أرض بغداد ، فقال عليه السلام :

« مَا تُدْعَى هَذِهِ الْأَرْضُ ؟ » .

فقالوا له : بغداد .

قال : « نَعَمْ ، تُبْنَى هَاهُنَا مَدِينَةٌ » ، وذكر أوصافها ^(١) .

وتحقق ذلك ، فقد بنيت بغداد وازدهرت في العصر العباسي ، فكانت عاصمة الدنيا ، وذكر الرواة أنَّ الحسن بن ذكوان الفارسي التقى بالإمام ، وطلب منه أن يدعوا الله له .

فقال له الإمام : « إِنَّكَ سَتَعْمُرُ ، وَتُحْمَلُ إِلَى مَدِينَةٍ يَنْبِيهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمِّي الْعَبَّاسِ تُسَمَّى بِغَدَادَ ، وَلَا تَحِلُّ إِلَيْهَا ، وَتَمُوتُ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ الْقَدَائِنُ » .

فكان كما قال عليه السلام ^(٢) .

(١) مناقب آل أبي طالب ١ : ٤٢٢ .

(٢) بحار الأنوار ٤١ : ٣٠٧ .

عدد ملوك بني العباس

وكان مما أخبر به الإمام عليه السلام أنه عدد ملوك بني العباس الذين يحكمون العالم الإسلامي، قال عليه السلام:

«وَبَلَ هَذِهِ الْأُمَّةُ مِنْ رِجَالِهِمُ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ الَّتِي ذَكَرَهَا رَبُّكُمْ تَعَالَى،
أَوَّلُهُمْ خَضْرَاءُ وَآخِرُهُمْ هَزْمَاءُ، ثُمَّ يَلِي بَعَثَهُمْ أَمْرُ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ رِجَالٌ:
أَوَّلُهُمْ أَرْأَفُهُمْ، وَثَانِيَهُمْ أَفْطَكُهُمْ، وَخَامِسُهُمْ كَبْشُهُمْ، وَسَابِعُهُمْ أَعْلَمُهُمْ،
وَعَاشِرُهُمْ أَكْفَرُهُمْ، يَقْتُلُهُ أَحْصُهُمْ بِهِ، وَخَامِسُ عَشْرِهِمْ كَثِيرُ الْغَنَاءِ،
قَلِيلُ الْفَقَاءِ، وَسَادِسُ عَشْرِهِمْ أَقْصَاهُمْ لِلدِّمَمِ، وَأَوْصَلُهُمْ لِلرَّحِمِ، كَأَنِّي
أَرَى ثَامِنَ عَشْرِهِمْ تَفْحَصُ رِجَالُهُ فِي دَمِهِ بَعْدَ أَنْ يَأْخُذَ جُنْدُهُ بِكَظْمِهِ، مِنْ
وَلَدِهِ ثَلَاثَ رِجَالٍ: سِيرَتُهُمْ سِيرَةُ الضَّلَالِ، الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ مِنْهُمْ الشُّيْخُ
الْهَرِمُ، تَطُولُ أَغْوَامُهُ، وَتُؤَافِقُ الرَّعِيَّةُ أَيَّامَهُ، السَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ مِنْهُمْ
يَشْرُدُ الْمَلِكُ مِنْهُ شُرُودَ الثَّقَفِيقِ^(١)، وَيَغْضُدُهُ الْهَزَرَةُ الْمُتَفَقِّيقُ، لَكَأَنِّي أَرَاهُ
عَلَى جِسْرِ الزُّورَاءِ قَتِيلًا، ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيَنْسُ بِظُلَامٍ
لِلْعَبِيدِ»^(٢).

(١) الثَّقَفِيقُ: جمعه نَقَاق، ذكر النُّعَامَةِ.

(٢) بحار الأنوار ٤١: ٣٢٢.

وأوضح المجلسي بنود هذه الخطبة قال :

«إِنَّ أَوَّلَهُمْ - أي أول بني العباس - هو السفاح كان أَرَأَهُمْ^(١) .

وَأَنَّ تَابِعَهُمْ هو المتصور كان أفتكهم ، أي أجراهم ، وأشجعهم ، وأكثرهم قتلاً للناس خدعة وغدراً .

وَأَنَّ خَامِسَهُمْ هو الرشيد كان كبشهم ؛ إذ لم يستقر ملك أحد منهم كاستقرار ملكه ، وَأَنَّ سَابِعَهُمْ هو المأمون كان أعلمهم ، واشتهار وفور علمه من بينهم يفني عن البيان .

وَأَنَّ عَاشِرَهُمْ هو المتوكل أكثرهم بل أكفر الناس كلهم أجمعين لشدة نصبه وإيذائه لأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم وسائر الخلق ، وَأَنَّ من قتله كان من غلمانة الخاصة .

وَأَنَّ خَامِسَ عَشْرَهُم المعتقد على الله أحمد بن المتوكل ، وهو وإن كان زمان خلافته ثلاث وعشرين سنة لكن كان في أكثر زمانه مشتغلاً بحرب صاحب الزنج وغيره ، فلذا وصفه عليه السلام بكثرة العناء .

وسادس عشرهم المعتضد بالله رأى في النوم رجلاً أتى دجلة فمدّ يده إليها ، فاجتمع مائها فيها ، ثم فتح كفّه ففاض الماء ، فسأل المعتضد أتعرفني ؟ قال : لا ، قال : أنا علي بن أبي طالب إذا جلست على سرير الخلافة فأحسن إلى أولادي ، فلمّا وصلت إليه الخلافة أحبّ العلويين وأحسن إليهم ، فلذا وصفه عليه السلام بقضاء العهد وصلة الرحم .

وتامن عشرهم هو جعفر الملقّب بـالمقتدر بالله ، وخرج مونس الخادم من جملة عسكره ، وأتى الموصل واستولى عليه ، وجمع عسكراً ورجع وحارب

(١) أي أَرَأَهُمْ من بين ملوك بني العباس على العلويين .

المقتدر في بغداد، وانهزم عسكر المقتدر، وقتل هو في المعركة، واستولى على الخلافة من بعده ثلاثة من أولاده، الراضي بالله محمد بن المقتدر، والمتقي بالله إبراهيم بن المقتدر، والمطيع لله فضل بن المقتدر.

وأما الثاني والعشرون منهم فهو المكتفي بالله عبدالله، وادّعى الخلافة بعد مضي إحدى وأربعين سنة من عمره - سنة ثلاثة وثلاثين وثلاثمائة -، واستولى أحمد ابن بويه في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة على بغداد، وأخذ المكتفي وسمل عينه وتوفي في سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة.

ويقال: إنه كانت أيام خلافته سنة وأربعة أشهر.

ويحتمل أن يكون من خطأ المؤرخين أو رواة الحديث بأن يكون في الأصل الخامس والعشرون أو السادس والعشرون، فالأول هو القادر بالله أحمد بن إسحاق، وقد عمّر ستاً وثمانين سنة، وكانت مدة خلافته إحدى وأربعين سنة، والثاني القائم بأمر الله كان عمره ستاً وسبعين سنة وخلافته أربعاً وأربعين سنة وثمانية أشهر.

ويحتمل أن يكون عليه السلام إنما عبّر عن القائم بأمر الله بالثاني والعشرين لعدم اعتداده بخلافة القاهرة بالله، والراضي بالله والمقتدر بالله والمكتفي بالله لعدم استقلالهم وقلة أيام خلافتهم.

فعلى هذا يكون السادس والعشرون الراشد بالله، فإنه هرب في حماية عماد الدين الزنجي، ثم قتل بعض الفدائيين، فقد قتل في أصفهان.

ويحتمل أن يكون المراد بالسادس والعشرين المستعصم، فإنه قتل كذلك وهو آخرهم، وإنما عبّر عنه كذلك مع كونه السابع والثلاثين منهم لكونه السادس والعشرين من عظمائهم، لعدم استقلال كثير منهم وكونهم مغلوبين للمماليك والأتراك.

ويحتمل أيضاً أن يكون المراد السادس والعشرون من العباس وأولاده، فإنهم

اختلفوا في أنه هل هو الرابع والعشرون من أولاد العباس أو الخامس والعشرون منهم ، وعلى الأخير يكون بانضمام العباس السادس والعشرون وعلى الأخيرين يكون مكان يعضده يقصده ،^(١).



فتنة الزنج

من الأحداث الجسام التي أخبر عن وقوعها الإمام عليه السلام هي فتنة صاحب الزنج ، فقد زعم أنه علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام ، وقد احتف به الزنج ، ووعدهم بالتحريرو والظفر بأموال الدولة وتسخيرها لمصالحهم ، فانصاعوا له ، والتفوا حوله ، وقد تحدت المؤرخون عن تفصيل الحادثة والفتوحات التي تمت له ، وإلى ما جرى عليه .

وعلى أي حال فلنستمع إلى ما قاله الإمام عليه السلام في وصف جيشه وإلى الدمار الذي حل في البلاد من جرائمهم ، قال عليه السلام :

« يَا أَهْلُ الْإِسْلَامِ ، كَأَنِّي بِهِ - أي بصاحب الزنج - وَقَدْ سَارَ بِالْجَيْشِ الَّذِي لَا يَكُونُ لَهُ غَبَارٌ وَلَا لَجَبٌ ، وَلَا قَعْقَعَةٌ لُجْمٍ ، وَلَا حَمَمَةٌ خَيْلٍ يُبِيرُونَ الْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ كَأَنَّهُمْ أَقْدَامُ النَّعَامِ » .

أشار الإمام عليه السلام إلى أوصاف جيش صاحب الزنج ، وأنهم في منتهى التدريب العسكري ، لا غبار لهم ، ولا قعقعة لجم ، ولا حممة خيل ، وهذه الأوصاف أروع ما توصف به الجيوش المنظمة التي بلغت الذروة في تدريبها .

ثم عرض الإمام عليه السلام إلى ما تعانيه البلاد من الدمار والخراب من ذلك الجيش قال عليه السلام :

« وَبِئْسَ لِسِكِّكِكُمْ الْغَايِمَةَ وَالْثُورِ الْمُرْخَرَفَةِ الَّتِي لَهَا أَجْنِحَةٌ كَأَجْنِحَةِ

النُّسُورِ ، وَخَرَّاطِيمُ كَخَرَّاطِيمِ الْفَيْلَةِ ، مِنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا يُنْذَبُ قَتِيلُهُمْ ،
وَلَا يُفْقَدُ غَانِيَهُمْ...»^(١)

وقد عانت البلاد الإسلامية أقسى ألوان المحن والخطوب من جيش صاحب
الزنج ، فقد تهدمت الدور وتخرّبت المزارع وتدهور الاقتصاد العام ، وكان ذلك في
سنة ١٢٥٥هـ ، وقد ذكرت مصادر التاريخ تفصيل تلك الأحداث المروعة المؤسفة .

(١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ٨ : ١٢٥ .

حكومة بني بويه

أخبر الإمام عليه السلام عن حكومة بني بويه فقال :
« وَيَخْرُجُ مِنْ دِيْلِمَانَ بَنُو الصَّيَادِ ^(١) ، ثُمَّ يَسْتَشْرِئُ أَمْرَهُمْ حَتَّى يَخْلِكُوا
الرُّؤُوزَاءَ ، وَيَخْلَعُوا الْخُلَفَاءَ ... » .

فقام شخص وقال : كم مدّتهم يا أمير المؤمنين ؟
فقال عليه السلام : « مائة - أي مائة عام - أو تزيد قليلاً » .
واستطرد الإمام عليه السلام في ذكرهم قائلاً :

« وَالْمُتَرْفِ ابْنُ الْأَجْدَمِ يَقْتُلُهُ ابْنُ عَمِّهِ عَلَى دَجَلَةٍ ... » .

أشار عليه السلام إلى حرّ الدولة بختيار بن معزّ الدولة أبي الحسين ، وكان معزّ الدولة
أقطع اليد ، قطعت يده لنكوصه في الحرب ، وكان ابنه مترفاً صاحب لهو وشرب ،
قتله عضد الدولة فناخسرو ابن عمّه بقصر الجصّ على دجلة ، وسلب ملكه ، فأما
خلعهم للخلفاء فإنّ معزّ الدولة خلع المستكفي ، وأقام عوضه المطيع ، وبهاء الدولة
أبانصر بن عضد الدولة ، وخلع الطائع ورّب مكانه القادر ، وكانت مدّة ملكهم كما
أخبر به الإمام عليه السلام ^(٢) .

(١) قال ابن أبي الحديد : كان أبوهم يصيد السمك ، ويتقوّت به هو وعياله ، فأخرج من ولده
ملوكاً ثلاثة ، ونشر رأيهم حتى ضربت الأمثال بملكهم .

(٢) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ٧ : ٤٩ .

دولة المغاربة

من المغيبات التي أخبر عنها الإمام عليه السلام ظهور دولة للعلويين بالمغرب العربي بقيادة أبي عبدالله المهدي ، وهو أول ملوكهم ، قال عليه السلام :

« ثُمَّ يَظْهَرُ صَاحِبُ الْقَيْرَوَانِ الْفَضُّ الْبَضُّ ، ذُو النَّسَبِ الْمَخْضِ ، الْمُتَنَجِّبُ مِنْ سَلَالَةِ ذِي الْبِدَاءِ ، الْمُسَجَّى بِالرِّدَاءِ »^(١).

قال ابن أبي الحديد : « كان عبيد الله المهدي أبيض ، مترفاً ، مشرباً بحمرة ، رخص البدن تار^(٢) الأطراف ، وذو البداء هو إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، وهو المسجى بالرداء ؛ لأن أباه سجّاه بردائه لمّا مات ، وأدخل عليه وجوه الشيعة بشاهدونه ليعلموا موته ، وتزول عنهم الشبهة في أمره »^(٣).

ومن المؤسف أنه لم تؤمن بموت إسماعيل كوكبة من الشيعة وهم الإسماعيلية ، فقد اعتقدوا بحياته ، وأنه ارتفع إلى السماء كما ارتفع السيد المسيح .

(١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ٧ : ٤٩ .

(٢) التار: الممتلئ جسمه رياً .

(٣) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ٧ : ٤٩ .

الثورة في طبرستان

من المغيبيات التي أخبر عنها الإمام عليه السلام ظهور ثورة طبرستان يقوم بها بعض السادة كالناصر والداعي وغيرهما ، قال عليه السلام :

« وَإِنْ لَأَلٍ مَعْمَدٍ بِالطَّالِقَانِ لَكُنْزُ سَيِّظِهِرُهُ اللَّهُ إِذَا شَاءَ دَعَاوُهُ حَتَّى يَغُومَ بِإِذْنِ اللَّهِ فَيَدْعُو إِلَى دِينِ اللَّهِ » ^(١).

وتحقق ذلك ، فقد ثار هؤلاء السادة الأعلام في طالقان رافعين شعار الإسلام ، ومتبئين الدعوة إلى حكم القرآن .

(١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد : ٧ : ٤٨ .

حكومة القرامطة

وأخبر الإمام عن القرامطة الفئة الضالة التي لا عهد لها بالإسلام . قال عليه السلام فيهم :

« يَنْتَجِلُونَ لَنَا الْحُبَّ وَالْقَوَى ، وَيُضَوِّرُونَ لَنَا الْبُغْضَ وَالْقَلَى ، وَآيَةُ ذَلِكَ قَتْلُهُمْ وَرَأَتْنَا ، وَهَجَرُهُمْ أَخَذَتْنَا » ^(١) .

ظهرت القرامطة على مسرح الحياة الإسلامية ، فأشاعت الفساد والقتل والنهب والدمار ، وقد أحلّت ما حرّم الله تعالى ، وحرّمت ما أحلّ الله ، وهي كالشيوعية في تعاليها ومروقها من الدين ، وقد استباحوا قتل السادة العلويين ، فقد قتلوا كوكبة من أعلامهم ذكر أسماءهم أبو الفرج الأصفهاني ^(٢) .

وقد عرفوا بالنصب والعداء لأهل البيت عليهم السلام ، فقد اجتاز أبو الطاهر سليمان بن الحسن الجنابي ، وهو من أعلامهم على مدينة النجف الأشرف وعلى مدينة كربلاء المقدسة ، ولم يعرج على زيارة المرقدين المكرمين ^(٣) .

(١) المصدر السابق ١٠ : ١٤ .

(٢) مقاتل الطالبين : ٤٥٠ .

(٣) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ١٠ : ١٤ .

التنتر

من المغيّبات التي أخبر عنها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، والتي تحققت بعد مئات من السنين هي المحنة الكبرى التي أمتحن بها المسلمون امتحاناً عسيراً ، وهي أفول الخلافة الإسلامية ، وانطواء حكم بني العباس الذين أسرفوا في افتراء ما حرم الله ، فقد كانت ليالهم الحمراء حافلة بالخمور والمجون ، ولم يكن للإسلام حكم واقعي وإنما صورة حكم .

وعلى كل حال فقد زحف التنتر إلى احتلال عاصمة الإسلام بغداد ، وسقطت بذلك الدولة الإسلامية العظمى ، وقد أمعنوا في قتل الأبرياء وإشاعة الخوف والارهاب بين المسلمين ، وعمدوا إلى تدمير المعالم الإسلامية في المدينة ، وكان من أفجعها تدمير المكتبة المستنصرية التي كانت تضمّ مئات آلاف الكتب ، فألقيت في حوض دجلة ، وبذلك فقد خسر العالم الإسلامي أهمّ ثرواته الفكرية والعلمية . ولنستمع إلى ما قاله الإمام عليه السلام في وصف التنتر ، وما يلحقونه في بلاد المسلمين من الدمار الشامل قال عليه السلام :

« كَانَتِي أَرَاهُمْ قَوْمًا كَانُوا وَجُوهَهُمُ الْمَجَانُ الْمَطْرُقَةُ ^(١) ، يَلْبَسُونَ السَّرَقَ ^(٢) »

(١) المجان : جمع معجن - بكسر الميم - : الترس ، سمي مجناً لأنه مستتر به .

(٢) السرقة : شقق الحرير .

وَالدُّيَاتِجَ ، وَيَعْتَقِبُونَ^(١) الْخَيْلَ الْعِتَاقَ . وَيَكُونُ هُنَاكَ اسْتِخْرَارُ قَتْلِ حَتَمٍ
يَفْشِي الْمَجْرُوحَ عَلَى الْمَقْتُولِ ، وَيَكُونُ الْمَقْبَلُ أَقْلَ مِنَ الْمَأْشُورِ !^(٢) .

وانبرى بعض أصحاب الإمام قائلًا له : لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم
الغيب ...

فتبسّم الإمام ﷺ وقال له :

« يَا أَخَا كَلْبٍ ، لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ - يَعْنِي أَنَّهُ
مُسْتَقَى وَمُسْتَمَدٌّ مِنْ أَخِيهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .. وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ
السَّاعَةِ ، وَمَا عَدَدُهُ اللَّهُ شُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَيُنْزِلُ
الْقَيْثَ ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا ، وَمَا
تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ... ﴾ ، فَيَعْلَمُ اللَّهُ شُبْحَانَهُ مَا فِي الْأَرْحَامِ
مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ، وَلَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ ، وَسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ ،
وَمَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطْبًا ، أَوْ فِي الْجَنَّةِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقًا . فَهَذَا عِلْمُ الْغَيْبِ
الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَعِلْمُ عِلْمِهِ اللَّهُ نَبِيَّهُ فَعَلَمَنِيهِ ،
وَدَعَا لِي بِأَنْ يَبْعِيَهُ صَدْرِي ، وَتَضَظُّمُ^(٣) عَلَيْهِ جَوَانِحِي^(٤) .

وقد أوضح الإمام ﷺ العلم الذي عنده إنما هو مستمدٌّ من أخيه وابن عمّه
رسول الله ﷺ ، وأنه ليس بعلم الغيب الذي لم يطلع عليه أحد سوى الله تعالى خالق
الكون وواهب الحياة .

(١) يعتقبون الخيل : أي يجتنبونها ليستقلوا من غيرها إليها .

(٢) نهج البلاغة - محمّد عبده ٢ : ١٤ .

(٣) تضظم : أي تجتمع عليها جوانح صدري .

(٤) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ٨ : ٢١٥ .

وعلى أي حال فقد تحقّق ما أخبر به الإمام عليه السلام ، فقد احتلّ الجناة النتر مدينة بغداد ، وسقطت بذلك الدولة الإسلامية ، وقد أمعن الغزاة في قتل الأبرياء وعاثوا فساداً في الأرض .

ومن المؤكّد أنّ السبب في هذه المأساة الخالدة سوء السياسة العباسية ، الذين اقترفوا كلّ ما حرّم الله ، ولم يؤثر عن الكثيرين منهم إلّا الفسق والفجور ومناجزة المصلحين ، ومعاودة أهل البيت عليهم السلام والامعان في قتلهم ومطاردة شيعتهم وأنصارهم ، وبذلك فقد فتحوا الطريق لهولاكو في غزو بغداد والقضاء على الدولة الإسلامية .

الفتن بعد وفاته

وأحاط الإمام عليه السلام أصحابه بما يحدث بعد وفاته من الفتن والخطوب ، قال عليه السلام :

« وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ ، وَلَا أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَلَا أَكْثَرَ مِنَ الْكُذْبِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ؛ وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تَلَّى حَقَّ تِلَاوَتِهِ ، وَلَا أَنْفَقُ ^(١) مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ؛ وَلَا فِي الْبِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ ، وَلَا أَعَزَّ مِنَ الْمُنْكَرِ !

فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ ، وَتَنَاسَاهُ حَفِظَتُهُ ؛ فَالْكِتَابُ يَوْمُنِيذٍ وَأَهْلُهُ طَرِيقَانِ مَنْفِيَّانِ ، وَصَاحِبَانِ مُضْطَجِعَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لَا يُؤْوِيهِمَا مُوْوٍ . فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ - وَهُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ - فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ ، وَمَعَهُمْ وَلَيْسَا مَعَهُمْ ! لِأَنَّ الضَّلَالَةَ لَا تُوَافِقُ الْهُدَى ، وَإِنْ اجْتَمَعَا . فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ ، وَافْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ ، كَأَنَّهُمْ أَيْمَةُ الْكِتَابِ وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ ، فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا اسْمُهُ ، وَلَا يَعْرِفُونَ إِلَّا خَطُّهُ وَزِينَتَهُ ^(٢) . وَمِنْ قَبْلِ مَا مَثَلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلِّ مُثَلَّةٍ ، وَاسْمُوا

(١) أنفق: نفي أروج .

(٢) الزبير: الكتابة .

صِدْقُهُمْ عَلَى اللَّهِ فَرِيَّةٌ، وَجَعَلُوا فِي الْحَسَنَةِ عُقُوبَةَ السَّيِّئَةِ»^(١).

وتحققت هذه الخطوب بعد وفاة الإمام عليه السلام، فقد آل الحكم إلى معاوية، ومن بعده إلى بني مروان، ولم يألوا جهداً في محاربة الإسلام، والبغى والقتل لحمانه، وقد جمد الكتاب، وساد المنكر، وراج الباطل، وأقبل الناس على مآثم الحياة، واقتراف الرذائل، وأعرب عليه السلام عن ذلك في حديث آخر قال عليه السلام:

«وَأَحْلُوا - أَيِ النَّاسِ - يَمِيناً وَشِمَالاً ظَهَنَّا فِي مَسَالِكِ الْغَيِّ، وَتَزَكَّأَ لِقَنَاهِبِ الرُّشْدِ. فَلَا تَسْتَعْجِلُوا مَا هُوَ كَائِنُ مُرْصَدٌ، وَلَا تَسْتَبْطِنُوا مَا يَجِيءُ بِهِ الْقَدُّ. فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِمَا إِنْ أَذْرَكَهُ وَذُ أَنَّهُ لَمْ يُذْرِكْهُ. وَمَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ عَدَا»^(٢).

(١) نهج البلاغة: ٦٣، الخطبة ١٤٧.

(٢) نهج البلاغة: ٦٤، الخطبة ١٥٠.

أحداث آخر الزمان

وتحدّث باب مدينة علم النبي ﷺ عما يحدث في آخر الزمان من الفتن والبلاء ، وقد أدلى بذلك في كثير من المناسبات والتي منها :

١ - قال ﷺ :

« يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُقْرَبُ فِيهِ إِلَّا الْفَاجِرُ، وَلَا يُظَرَفُ فِيهِ إِلَّا الْفَاجِرُ، وَلَا يُضَعَّفُ فِيهِ إِلَّا الْمُنْهَضُ، يَعْتُونَ الصَّدَقَةَ فِيهِ غُرْمًا، وَصِلَةَ الرَّحِمِ مَنًّا، وَالْعِبَادَةَ اسْتِطَالَةً عَلَى النَّاسِ! فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُ السُّلْطَانُ بِمَشُورَةِ النِّسَاءِ، وَإِمَارَةِ الصَّبِيَّانِ! »^(١)

إن البشرية تكون في قوس النزول ، وفي منتهى الانحطاط إذا سارت فيها هذه الأمور التي تفضّل ببيانها الإمام .

٢ - قال ﷺ :

« يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَنْقَى فِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ، وَمِنْ الْإِسْلَامِ إِلَّا اسْمُهُ، وَمَسَاجِدُهُمْ يُؤَمِّدُ عَامِرَةٌ مِنَ الْبِنَاءِ، خَرَابٌ مِنَ الْهُدَى، سُكَّانُهَا وَغَمَارُهَا شَرُّ أَهْلِ الْأَرْضِ، مِنْهُمْ تَخْرُجُ الْفِتْنَةُ، وَإِلَيْهِمْ تَأْوِي

الْخَطِيئَةُ؛ يَرُدُّونَ مَنْ شَدَّ عَنْهَا فِيهَا، وَيَسْوَفُونَ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا إِلَيْهَا. يَقُولُ
اللَّهُ تَعَالَى: قَبِي حَلَفْتُ لِأَبْعَثَنَّ عَلَى أَوْلِيكَ فِتْنَةً تَتْرُكُ الْحَلِيمَ فِيهَا خَيْرَانَ،
وَقَدْ فَعَلَ، وَتَخَنُّ نَسْتَقِيلُ اللَّهَ عَشْرَةَ الْفَقْلَةِ»^(١).

إِنَّ الإسلام العظيم الذي ارتضاه الله ديناً لجميع البشرية أينما كانوا لا صلاح
ولا سعادة ولا استقرار من دونه، وقد يأتي زمان على المسلمين فينحرفون عنه،
ولا يبقى منه إلا اسمه، وذلك أسوء الأزمان وأكثرها قتاماً.

٣- قال ﷺ :

«يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ غَضُوضُ»^(٢)، يَغُضُّ الْمُوسِرُ فِيهِ عَلَى مَا فِي يَدَيْهِ
وَلَمْ يُؤْمَرْ بِذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾. تَنْهَدُ
فِيهِ الْأَشْرَارُ، وَتُسْتَذَلُّ الْأَخْيَارُ، وَيَتَابِعُ الْمُضْطَرُّونَ، وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ بَيْعِ الْمُضْطَرِّينَ»^(٣).

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض الملاحم والمغيبات التي أدلى بها
الإمام ﷺ، وقد تحققت على مسرح الحياة، وبها نظوي الحديث عن هذا الكتاب
الذي هو جزء من موسوعة حياته.

(١) نهج البلاغة - قصار الحكم ٤: ١٨٣.

(٢) العضوض: الشديد.

(٣) نهج البلاغة - قصار الحكم ٤: ٤٦١.

المحتويات

٥ فهرس

العلم والتعلیم

٤٤-٧

- ٩ الإشادة بالعلم
- ١١ أهمیة العالم
- ١١ تكريم العالم
- ١٢ أخذ المحاسن من كل علم
- ١٢ تشجيعه للحركة العلمية
- ١٢ العمل بالعلم
- ١٤ أنواع طلاب العلم
- ١٥ ذم أهل الرأي
- ١٦ بذل العلم
- ١٦ حثه على جودة الخط
- ١٧ أنواع العلوم
- ١٧ ١- علم النحو
- ٢٠ ٢- علم الفقه
- ٢١ ٣- علم تفسير القرآن
- ٢٢ ٤- علم الفلك والحساب

٢٤	مقدار قطر الشمس
٢٤	مسألة الجمال
٢٥	٥- علم الحيوان
٢٥	وصف الطيور
٢٦	وصف الطاووس
٣٠	الخفّاش
٣١	الجراد
٣٢	النملة
٣٣	٦- علم الكلام
٣٥	٧- علم الطبيعة - الفيزياء
٣٦	٨- الكهرباء
٣٧	٩- علم الطب
٤٠	الوقاية من الأمراض
٤١	رضاع الطفل من ثدي أمه
٤١	١٠- علم الجيولوجيا
٤٢	١١- علم الفلسفة
٤٤	حرمة تعلّم السحر
٤٤	حرمة تعلّم التنجيم

الْمَلَايِمُ وَالْمَفَئِذَاتُ الَّتِي اخْتَبَرَهَا الْأَيَّامُ

١٤٠ - ٤٥

٥٢	إخباره بقتل الحسن عليه السلام
٥٣	إخباره بقتل الحسين عليه السلام
٦٠	إخباره بعدد الجيش الذي جاء لنجدة

- ٦١ إخباره بشهادة كوكبة من أصحابه
- ٦١ ١- عمرو بن الحمق عليه السلام
- ٦٣ ٢- ميثم التمار عليه السلام
- ٦٧ ٣- رُشيد الهجري عليه السلام
- ٦٩ ٤- جويرية بن مسهر العيدي عليه السلام
- ٧٠ ٥- مزرع عليه السلام
- ٧٠ ٦- حجر بن عدي عليه السلام
- ٧٧ ٧- قنبر عليه السلام
- ٧٩ ٨- كميل بن زياد عليه السلام
- ٨٠ إخباره عن شهادته
- ٨٤ ما يجري على الحجر الأسود
- ٨٥ إخباره عن شهداء فتح
- ٨٦ إخباره عن شهادة ذي النفس الزكية
- ٨٧ إخباره عن شهادة إبراهيم
- ٨٩ تبشيره بالإمام المهدي عليه السلام
- ٩٣ مع أعشى باهلة
- ٩٤ مع جندب الأزدي
- ٩٦ مع المباعين للضب
- ٩٧ مع ذي الثدية
- ١٠٠ إخباره بحكومة مروان وأولاده
- ١٠٢ إخباره عن ملك معاوية
- ١٠٣ إخباره عن استيلاء الأمويين على الحكم
- ١٠٥ ظلم الأمويين وجورهم
- ١٠٦ مع جيشه المتخاذلين
- ١٠٧ ظلم الصحّاج وجورهم

- المقتولون من أصحابه ١٠٩
- والناجون من الخوارج ١٠٩
- مقتل زُرْعَة ١١٠
- عدم نهاية الخوارج ١١١
- خلافة عبد الملك ١١٢
- ثورة ابن الزبير ١١٣
- المختار ١١٥
- انقراض دولة بني أُمَيَّة ١١٦
- حكومة بني العباس ١١٧
- شخص يريد الاحتيال على الإمام ١١٨
- إخباره بمجيء ألف لمبايعته ١١٩
- الصليب في عنق معاوية ١٢٠
- البشارة بمولد الإمام زين العابدين عليه السلام ١٢١
- مقتل الإمام الرضا عليه السلام ١٢٢
- مدينة بغداد ١٢٣
- عدد ملوك بني العباس ١٢٤
- فتنة الزنج ١٢٨
- حكومة بني بويه ١٣٠
- دولة المغاربة ١٣١
- الثورة في طبرستان ١٣٢
- حكومة القرامطة ١٣٣
- التمر ١٣٤
- الفتن بعد وفاته ١٣٧
- أحداث آخر الزمان ١٣٩

مَوْسُوْعَةً
لِلْأَمَامَةِ الْمُؤْمِنِينَ

عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ طَالِيَ بْنِ

الْجَمْعِ الشَّامِ

لِحُجَّتِ الْجَاهِلِيَّةِ وَمِنْ أَهْلِ
الْأَمَّةِ

نَافِثُ
بِإِشْرَافِ الْهَيْئَةِ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ
أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾
النحل : ١٢٥

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ
مُّرِيدٍ﴾
الحج : ٣

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ
ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا
وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾
العنكبوت : ٤٦

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي
صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ﴾
غافر : ٥٦



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

فقر



الاحتجاجات والمناظرات بين الأديان والمذاهب قديمة جداً ، فقد تسلّح بها أرباب الأديان وزعماء المذاهب وأتباعهم ، واستخدموا في ذلك جميع الوسائل التي بأيديهم ، وذلك لإضفاء الأصالة والشرعية على ما يدبّنون ويعتقدون به ولجزّ الناس إلى اعتناق آرائهم ومعتقداتهم .

وهذه الظاهرة سائدة بين الناس منذ فجر التاريخ حتى يوم الناس هذا . . . لقد أسست أندية وأمكتة لهذا الغرض في دول الغرب ، وقد جرت في الولايات المتحدة ندوة حضرها حشد كبير من الأمريكان وغيرهم ، فتناظر عالم مسلم وعالم مسيحي ، واستمرّت المناظرة عدّة ساعات ، فانهار العالم المسيحي أمام الأدلة الحاسمة التي أدلى بها العالم المسلم ، واعترف بالعجز وزيف أدلّته أمام الحاضرين .



إنّ الاحتجاجات والمناظرات من أوثق الأسباب ، وأكثرها عمقاً ، وأجدرها في فصل الخصومات ، وحسم النزاعات أمام فتح باب الحرب وإراقة الدماء ، وإشاعة الشكّل والحزن ، والحداد لفرض الرأي والمعتقدات ، فإنّ ذلك سلاح العاجزين الذين

يعوزهم الدليل والبرهان ، وسرعان ما تفشل معتقداتهم ، وتتلاشى أراؤهم كما يتلاشى الدخان في الفضاء .



وكان الاحتجاج هو السمت البارز في دعوة الأنبياء إلى الله تعالى وإبطال مذاهب خصومهم الوثنيين ، فقد أفلجوا بالأدلة الحسية آراء الملحدين ، فهذا شيخ الأنبياء إبراهيم عليه السلام حينما حاججه أحد فراعنة عصره في الله تعالى أجابه إبراهيم بأروع الأدلة ، وقد حكى القرآن الكريم هذه المحاجة ولننظر إليها ، قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْعِينَ مِنَ الْمُشْرِقِ قَاتٍ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ قَبِهُتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(١) .
فوجم الذي كفر ولم يطق جواباً ، وانهار أمام هذه الحجة الدامغة .



أما سيّد الأنبياء وخاتم المرسلين فقد اعتمد في تبليغ رسالة ربه على الحوار والمحاجة مشفوعة بالخلق الكامل ، فقد أمره الله تعالى بذلك ، قال تعالى :

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالنَّوْعِلَّةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ ^(٢) .

(١) البقرة: ٢٥٨ .

(٢) النحل: ١٢٥ .

وبقي الرسول ﷺ مستمراً في تبليغ دعوته الخلافة يحتج وينظر ويدافع عن قيمها ومبادئها ، ووقف كالطود الشامخ أمام طغيان القرشيين وعتاتهم ، حتى فتح الله له الفتح المبين ، والدحرت العصابات القرشية التي لا تحمل أي طابع من الفكر والوعي .



ونؤكد أن الإسلام بصورة إيجابية ومتميزة قد تبنى المحاور والمناظرة في تبليغ رسالته ، ولم يلجأ إلى القوة العسكرية ولا لأي وسيلة من وسائل العنف والقهر ، فقد أعلن القرآن الكريم بصراحة ووضوح أن ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾^(١) ، وإنما فتح باب الحرب مع خصومه وأعدائه للدفاع عن قيمه ومبادئه وأهدافه التي جهدت العصابات القرشية على محوها وحجبها عن المجتمع الإنساني .

إن رسالة الإسلام الخالدة قد رفعت مشاعل النور ، وأسست معالم الحضارة في المشرق العربي ، وقد سعت لتأسيس أهدافها بالاحتجاج والمناظرة لا بالسيف والتطعن .



كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من أصدق الناس برسول الله ﷺ وأقربهم إليه ، فهو باب مدينة علمه ، وأبو سبطيه ، ومن كان منه بمنزلة هارون من موسى . فقد تطبّع بأخلاقه ، والتزم بحرفية منهجه ، وسار على أضواء رسالته لم يخالف أي سنة منها ، فاعتمد عليه

بصورة موضوعية على الاحتجاج والمناظرة مع خصومه ، ولم يفتح معهم باب الحرب إلا بعد أن انسدت معهم نوافذ السلم ، وأعلنوا العصيان المسلح عليه ، وكان ذلك مكشوفاً في حربه مع أهل الجمل وصقّين والنهروان ، فقد بغوا عليه ، وتمردوا على حكومته ، ولم تجد معهم أي وسيلة من وسائل الصلح وحقق الدماء .



أما الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فهو من أوسع الناس أفقاً وأكثرهم استيعاباً لجميع مباحث العلوم ، كما كان أخبرهم في المسائل الكلامية ، فقد ناظر الخلفاء وأفحمهم ، وناظر علماء الأديان السماوية وألحق بهم هزيمة ساحقة ، فقد علّم مناطق الضعف والزيغ في أناجيلهم وتوراتهم فوضعها بين أيديهم ، فلم يستطيعوا الدفاع عن أديانهم ووقفوا واجمين أمام منطق الفياض ، معترفين بعجزهم خاضعين لملكاته وقدراته العلمية .

ومن المؤكد أنه لم يملك أي أحد من الصحابة وغيرهم ما يملك الإمام من المواهب والمقربات التي فاق بها على غيره .



ويحتفل هذا الجزء من موسوعة حياة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام باحتجاجاته ومناظراته ، وهي تحمل طابعاً فكرياً وعلمياً وتعدّ في طليعة البحوث الكلامية خصوصاً في مناظراته مع علماء النصارى واليهود ، فقد تجلّى فيها الإبداع والأصالة وعمق المناهج العلمية التي استدلّ بها الإمام عليه السلام ، والتي اقتبس منها بعض علماء المسلمين الذين قصدوا للردّ على علماء النصارى واليهود بيان فساد معتقداتهم .



وقبل أن أطوي هذا التقديم ، أودُّ أن أعرض إلى أني لم استوعب - بصورة قاطعة -
جميع احتجاجات الإمام عليه السلام ومناظراته وإنما سجلت ما عثرت عليه منها ، فإنه من
المؤكد أنَّ الباحث الممتنع يجد أضعاف ما دَوَّنته منها . . .

إنَّ هذا الإمام الملهم العظيم له من التراث الهائل الذي هو من مناجم الفكر
الإسلامي ومن ذخائر الأدب الإنساني ، ما يفوق حدَّ الوصف والإحصاء .
إنَّه وليُّ التوفيق

الحجَّةُ الأَشرفُ

مُشرفُ المَشْرِقِ

٢ / جمادى الأولى / ١٤٢٠ هـ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

إِحْتِجَاجَاتُ الْأِمَامِ
عَلَى الْخُلَفَاءِ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الشيء البارز في حياة الإمام السياسية احتجاجاته الصارمة على الخلفاء ومناظراته معهم ، فإنها تلقي الأضواء على ما يكنه الإمام من أسى بالغ بسبب إبعاده عن المسرح السياسي ، وحجبه عن الخلافة التي هي ظل الله في الأرض يحتمي بظلالها المظلومون والمضطهدون ، ويفزع إليها البائسون والمحرومون .

وعلى أي حال فقد نجم عن إقصاء الإمام عن قيادة الأمة أن خسرت الإنسانية الطاقات الهائلة التي يملكها الإمام في ميادين الحكم والإدارات وحقوق التربية والسياسة ، وغيرها من الوسائل التي تتطور بها الحياة العامة .

والشيء المؤكد أن المهاجرين في يثرب كانوا امتداداً للأسر القرشية في مكة ، وكانوا يمثلون رغباتهم ، ويحكمون انطباعاتهم وميولهم ، وكانت معظم نفوس القرشيين مترعة بالكراهية للإمام ؛ لأنه أشاع في بيوتهم الشك والحزن والحداد في سبيل الدعوة الإسلامية التي ناهضوها بجميع قدراتهم ، وبالإضافة لذلك فإن نفوس القرشيين قد طبعت على الأنانية والحسد ، وهي من عناصرهم ومقوماتهم ، وقد بدت هذه الظاهرة بصورة واضحة للبيت الهاشمي الذي لمع نجمه بسيد الكائنات الرسول محمد ﷺ فقد ورمت منه أنوفهم وتميزوا غيظاً منهم .

لقد ظهر حقد القرشيين على أهل بيت النبوة ﷺ بصورة واضحة بعد انتقال النبي ﷺ إلى حظيرة القدس فقد رفعوا عقيرتهم بصورة محمومة بهذا الشعار المزيف :

لَا يَجْتَمِعُ سَيْفَانِ بِغَمْدٍ وَاحِدٍ.

لَا تَجْتَمِعُ النُّبُوَّةُ وَالْخِلَافَةُ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ.

وحققوا ما أرادوه بالقوة والحيلة والفهر، فأقصوا أهل البيت عن الخلافة، وقبضوا على الحكم بيد من حديد، وقد منبت الأمة من جراء ذلك بالأزمات الخطيرة والنكبات السود، وكان من أقسى الكوارث التي عاناها المسلمون استيلاء الأمويين على الحكم، وإمعانهم في الظلم والاستبداد، وإرغام الناس على ما يكرهون، ومن مساوئ حكمهم كارثة كربلاء التي انتهكت فيها حرمة الرسول ﷺ التي هي أولى بالرعاية والتكريم من كل شيء، فلم تمض على انتقاله إلى حظيرة القدس خمسون عاماً وإذا برؤوس أبنائه على الرماح يطاف بها الأقطار والأمصار، وبنات الوحي ومخدرات الرسالة سبايا من بلدٍ إلى بلد يتصفح وجوههن القريب والبعيد... هذا ما أرادته قريش لأهل بيت النبوة فأنا لله وإنا إليه راجعون.

وعلى أي حال فلنعد إلى ما نحن بصدده، وهو عرض إحتجاجات الإمام عليه السلام على الخلفاء، وهذه بعضها:

احتجاجه على أبي بكر

تقلد أبو بكر الخلافة واستولى على أزمة الحكم وذلك بجهود حزية ، وفي طليعتهم مستشاره ووزيره عمر بن الخطاب ، فقد دفع الناس دفعا لمبايعته ، وقد لعبت درّته في الميدان ، ولولاه لما تمت البيعة لأبي بكر ، وقد تخلف عن بيعة أبي بكر بنو هاشم ، وأعلام الإسلام كعمّار بن ياسر وأبي ذرّ والزبير والمقداد وغيرهم ، كما تخلف عن البيعة معظم أبناء الأوس والخزرج الذين كانوا يشكّلون العمود الفقري للقوّات الإسلامية ، فكانوا يرون أنّ الإمام ﷺ أحقّ وأولى بمركز الخلافة من غيره وذلك لنص النبي ﷺ عليه ، بالإضافة إلى مواهبه وعبقرياته وسائر ملكاته التي ترشّحه لقيادة الأمة .

وقد سارع أبو بكر إلى الإمام ليكسب رضاه ، ويضفي الشرعية على حكومته قائلا :

يا أبا الحسن ، والله ما كان الأمر منّي ولا رغبة فيما وقّعت عليه ، ولا حرص عليه ، ولا ثقة بنفسي فيما تحتاج إليه الأمة ، ولا قوة لي بمال ، ولا كثرة بعشيرة ، ولا استئثار به دون غيري ، فما لك تضرع عليّ ما لم أستحقّه منك ، وتظهر لي الكراهة لما صرت فيه ، وتنظر إليّ بعين الشنآن ؟

واستخدم أبو بكر في حديثه الأساليب السياسية ، فأظهر زهده في الخلافة وعدم رغبته فيها ، وأنه لم يتوقّف في شخصيّته المؤهّلات التي ترشّحه لقيادة الأمة ...

وردة الإمام عليه بمنطقه الفياض قائلاً:

«فَمَا حَمَلَكَ عَلَيْهِ إِذَا لَمْ تَرْغَبْ فِيهِ ، وَلَا حَرَضَتْ عَلَيْهِ ، وَلَا وَثِقَتْ
بِنَفْسِكَ فِي الْقِيَامِ بِهِ ... ؟»

وحفل كلام الإمام بالرأي الأصيل ، فإن أبا بكر إذا لم يكن راغباً في الخلافة
ولا حريصاً عليها فلماذا تقلدها ؟

أجابه أبو بكر قائلاً:

حديث سمعته من رسول الله ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالٍ» ، ولما
رأيت إجماعهم اتبعت قول النبي ﷺ ، وخفت أن يكون إجماعهم على خلاف
الهدى ، فأعطيتهم قود الإجابة ، ولو علمت أن أحداً يتخلف لامتنعت ...

ومعنى كلام أبي بكر أن الذي دعاه وحفزاه لأن يتقلد الخلافة هو حديث
النبي ﷺ ، وقد أجمعت الأمة على انتخابه واختباره ، فلم يجد سبيلاً للتخلف عن
إجماعها .

ووجه الإمام إليه السؤال الثاني قائلاً:

«أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالٍ ،
فَكُنْتُ - ويعني نفسه الشريفة - مِنَ الْأُمَّةِ أَمْ لَمْ أَكُنْ ؟» .

فأجاب أبو بكر : بلى .

واندفع الإمام قائلاً:

«وَكَذَلِكَ الْعِصَابَةُ الْمُتَتَبِعَةُ عَنْكَ مِنْ سَلْمَانَ وَعَمَّارٍ وَأَبِي ذَرٍّ وَالْمُقْدَادِ
وَأَبْنِي عِبَادَةَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْأَنْصَارِ ...» .

عرض الإمام إلى الكوكبة من صحابة النبي ﷺ التي امتنعت من بيعة أبي بكر ،

وأنهم من الأمة ، وقد اعترف أبو بكر بذلك .

ثم وجه الإمام له السؤال الثالث :

« كَيْفَ تَخْتَجُّ بِحَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ قَدْ تَخَلَّفُوا عَنْكَ ؟ وَلَيْسَ

لِلْأُمَّةِ فِيهِمْ طَعْنٌ وَلَا فِي صُحْبَةِ الرَّسُولِ لِصُحْبَتِهِ مِنْهُمْ تَقْصِيرٌ ... » ؟

وفند الإمام كلام أبي بكر ، وأقام الحجة على مدعاه .

وانبرى أبو بكر قائلاً :

ما علمت بتخلفهم إلا بعد إبرام الأمر ، وخفت إن فعدت عن الأمر أن يرجع الناس مرتدين عن الدين ، وكان ممارستهم إليّ إن أجبتهم أهون مؤنة على الدين ، وإبقاء له من ضرب الناس بعضهم ببعض فيرجعون كفاراً ، وعلمت أنك لست بدوني في الإبقاء عليهم وعلى أديانهم ...

والتفت الإمام إلى أبي بكر قائلاً :

« أَجَلْ ، وَلَكِنْ أَخْبِرْنِي عَنِ الَّذِي يَسْتَحِقُّ هَذَا الْأَمْرَ - يَعْنِي الْخِلَافَةَ - بِمَا يَسْتَحِقُّهُ ؟ » .

جواب أبي بكر عمن يستحق الخلافة : بالنصيحة ، والوفاء ، ودفع المداينة ، وحسن السيرة ، وإظهار العدل ، والعمل بالكتاب والسنة ، وفصل الخطاب ، مع الزهد في الدنيا وقلة الرغبة فيها ، وانتصاف المظلوم من ظالمه للقريب والبعيد ...

لقد أدلى أبو بكر بالصفات التي يجب أن تتوفر فيمن يتصدى للخلافة .

وأضاف الإمام إلى تلك الصفات صفات أخرى يجب أن يتصف بها القائد العام للأمة قائلاً :

« وَالسَّابِقَةُ وَالْقَرَابَةُ » .

وأراد الإمام من السابقة : السبق للإسلام ، ومن القرابة : القرابة للرسول ﷺ ،
وهذان الشرطان متوفران في الإمام دون غيره ، فهو أول من آمن بالرسول ﷺ ، كما
أنه أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ . وأقره أبو بكر على ذلك .

وأخذ الإمام يدلي على أبي بكر ببعض صفاته التي لم تتوفر عند غيره قائلاً :
« أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ يَا أَبَا بَكْرٍ ، أَفِي نَفْسِكَ تَجِدُ هَذِهِ الْخِصَالَ ؟ » .

أبو بكر : بل فيك يا أبا الحسن .

« فَأَنْشُدْكَ بِاللَّهِ ، أَنَا الْمُجِيبُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ ذِكْرَانِ الْمُسْلِمِينَ
أَمْ أَنْتَ ؟ » .

أبو بكر : بل أنت ...

« فَأَنْشُدْكَ بِاللَّهِ ، أَنَا صَاحِبُ الْأَذَانِ لِأَهْلِ الْمَوْسِمِ وَالْجَمْعِ الْأَعْظَمِ لِلْأَمَّةِ
بِسُورَةِ بَرَاءَةِ أَمْ أَنْتَ ؟ » .

عرض الإمام ﷺ إلى تبليغ سورة براءة لأهل مكة التي عهد بها الرسول إلى
أبي بكر ، ثم نزل عليه الوحي بعزله ، وإسناد هذه المهمة إلى الإمام ، وقد ذكرنا
تفصيل ذلك في بعض بحوث هذه الموسوعة .

أبو بكر : بل أنت .

« فَأَنْشُدْكَ بِاللَّهِ ، أَنَا وَقَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِنَفْسِي يَوْمَ الْغَارِ أَمْ أَنْتَ ؟ » .

حكى هذه الكلمات ما قام به الإمام ﷺ في مبيتته على فراش النبي ﷺ
حينما أحاطت قريش بدار النبي ﷺ لقتله ، وقد فداه الإمام بنفسه ، وليس لأحد من
الأسرة النبوية أو الصحابة مثل هذه الكرامة التي اختص بها الإمام .

أبو بكر : بل أنت .

« فَأَتَشُدُّكَ بِاللَّهِ ، أَيْ الْوَلَايَةَ مِنَ اللَّهِ مَعَ رَسُولِهِ فِي آيَةِ الزُّكَاةِ بِالْحَائِمِ
أَمْ لَكَ ؟ » .

ذكر الإمام ﷺ ما نزل في القرآن في حقّه حينما تصدّق بخاتمه على المسكين
في صلاته وهي : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ
الزُّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (١) .

فقد حصرت الآية الولاية العامة على المسلمين في الله والرسول والذين آمنوا
وهو الإمام ، وعبرت الآية عنه بصيغة الجمع تعظيماً وتكريماً له .
أبو بكر : بل لك .

« فَأَتَشُدُّكَ بِاللَّهِ ، أَيْ بَرَزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَيَأْهْلِي وَوَلَدَتِي فِي مُبَاهَلَةٍ
الْمُشْرِكِينَ أَمْ بِكَ ؟ » .

وثمة منقبة أخرى أدلى بها الإمام شاركته فيها سيّدة النساء والسبطان ، وذلك
في مباهلة النبي ﷺ مع أهالي نجران ، فإنّه لم يصحب معه للمباهلة صنو أبيه عمّه
العباس ، ولا المخدرات من بني هاشم ، ولا السيّدات من نسائه ، وإنّما اصطحب
الإمام وزوجته وابنيه ، وقد ذكرنا تفصيل هذه الحادثة في بعض أجزاء هذه
الموسوعة ، واعترف أبو بكر بذلك فقال :
بل فيكم .

« فَأَتَشُدُّكَ بِاللَّهِ ، أَيْ الْوَزَارَةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَالْمِثْلُ مِنْ هَارُونَ مِنْ
مُوسَى أَمْ لَكَ ؟ » .

عرض الإمام ﷺ لفضيلتين أضفاهما عليه النبي ﷺ ، وهما :

الأولى: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اتَّخَذَهُ وَزيراً لَهُ ، وَقَدْ صَرَّحَ بِذَلِكَ فِي عِدَّةٍ مِنْ مَنَاسِبَاتٍ ذَكَرْنَا مَصَادِرَهَا فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ .

الثانية: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَعَلَ الْإِمَامَ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، فَقَدْ قَالَ لَهُ : « أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ... » .

أَبُو بَكْرٍ اعْتَرَفَ بِذَلِكَ قَائِلاً :

بَلْ لَكَ .

« فَأَنْشُدُكَ بِاللَّهِ ، أَيُّيَ وَلِأَهْلِي وَوَلَدِي آيَةَ التَّطْهِيرِ مِنَ الرُّجْسِ أَمْ لَكَ وَلِأَهْلٍ بَيْنَكَ ؟ » .

أشار الإمام ﷺ إلى آية التطهير وهي : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ^(١) ، فَقَدْ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي سَيِّدَةِ النِّسَاءِ وَسِبْطِي الرَّحْمَةِ وَإِمَامِي الْهَدْيِ ﷺ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ الْمَوْسُوعَةِ الْمَصَادِرَ الَّتِي دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ .

أَبُو بَكْرٍ : بَلْ لَكَ وَلِأَهْلٍ بَيْنَكَ - يَعْنِي آيَةَ التَّطْهِيرِ ..

« فَأَنْشُدُكَ بِاللَّهِ ، أَنَا صَاحِبُ دَعْوَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلِي وَوَلَدِي يَوْمَ الْكِسَاءِ : اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي إِلَيْكَ لَا إِلَى النَّارِ ، أَمْ أَنْتَ ؟ » .

عرض الإمام ﷺ إلى حديث الكساء الذي ضمَّ الإمام وسَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَالسَّبْطَيْنِ الْإِمَامَيْنِ الْحَسْنَ وَالْحُسَيْنَ ﷺ ، وَالْحَدِيثَ يَدُلُّ عَلَى عَظَمِ مَنْزِلَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ ﷺ وَسَمَوْ مَكَانَتَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ .

أَبُو بَكْرٍ : بَلْ أَنْتَ وَأَهْلُكَ وَوَلَدُكَ .

« فَأَنْشُدْكَ بِاللَّهِ ، أَنَا صَاحِبُ آيَةِ ﴿ يُؤْفُونَ بِالْأَمْرِ يُؤْمِرُونَ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ ^(١) أَمْ أَنْتَ ؟ » .

أشار الإمام عليه السلام إلى نذر الإمام وسيدة النساء وجاريتها فضة حينما مرض الحسنان أن يصوموا ثلاثة أيام شكراً لله إن برثا من مرضهما ، فأبلا من مرضهما فصاموا جميعاً ، وحين الإفطار طرق الباب مسكين يشكو الجوع فتبرعوا بإفطارهم ولم يتناولوا شيئاً سوى الماء القراح .

وفي اليوم الثاني قبل الإفطار طرق الباب يتيم يشكو الجوع ، فتناولوه إفطارهم ، وطلخوا ليلتهم جوعاً .

وفي اليوم الثالث طرق الباب أسير يستمبحهم القوت ، فتناولوه إفطارهم ، وقد ذابت أجسامهم وصاروا أشباحاً ، فلما رآهم النبي ﷺ فزع وانهارت قواه ، فنزل عليه الوحي بسورة : ﴿ هَلْ أَتَى... ﴾ وفيها تقييم من الله تعالى لإبنارهم ، وإشادة ببرهم وإحسانهم ، وقد أضفى عليهم وساماً خالداً خلود الدهر .

أبو بكر : بل أنت .

« فَأَنْشُدْكَ بِاللَّهِ ، أَنْتَ الَّذِي رُدَّتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ لَوْفَتِ صَلَاتِهِ قَصَلاًهَا ، ثُمَّ تَوَارَتْ أَمْ أَنَا ؟ » .

حديث ردّ الشمس على الإمام ذكرته الخاصّة والعامة ، وقد ذكر المحقق الأميني رحمته الله كوكبة من المصادر التي ذكرت ذلك .

أبو بكر : بل أنت .

« فَأَنْشُدْكَ بِاللَّهِ ، أَنْتَ الْفَتَى الَّذِي نُوْدِيَ مِنَ السَّمَاءِ : لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ ،

وَلَا قُتِيَ إِلَّا عَلَيَّ ، أَمْ أَنَا ؟ » .

نودي الإمام من السماء بهذا النداء في واقعة أحد ، وهو من الأوسمة الرفيعة التي تقلدها .

أبو بكر: بل أنت .

« فَأَنْشُدْكَ بِاللَّهِ ، أَنْتَ الَّذِي حَبَاكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِرَأْيِهِ يَوْمَ خَيْبَرَ فَفَتَحَ اللَّهُ لَهُ أَمْ أَنَا ؟ » .

قاد النبي ﷺ حملة عسكرية إلى فتح خيبر التي هي أهم حصن لليهود ، وقد أسند قيادة جيشه إلى أبي بكر فرجع منهزماً ، ثم أسند القيادة إلى عمر فكان كصاحبه ، فقال النبي ﷺ : « لَاُعْطِيَنَّ غَدَا الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَيُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ » ، فلما أصبح الصبح دعا النبي ﷺ الإمام علياً ، وكان يشنكي من عينيه ، فسقاه بريقه فبرئ وسلم الراية ، وحمل على اليهود ، ففتح الله على يده ، وقد ذكرنا تفصيل القصة في بعض أجزاء هذه الموسوعة .

أبو بكر: بل أنت .

« فَأَنْشُدْكَ بِاللَّهِ ، أَنْتَ الَّذِي نَفَسْتَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَنِ الْمُسْلِمِينَ بِقَتْلِ عَفْرُو بْنِ عَبْدِ وَدٍّ أَمْ أَنَا ؟ » .

صمروبن عبد ود أعظم فارس في الجزيرة العربية ، وقد برز في واقعة الخندق يطلب من المسلمين من يبارزه منهم ، فلم يستجب له أحد وخيم عليهم الخوف ، فانبرى إليه بطل الإسلام الإمام ﷺ فأرداه صريعاً يتخبط بدمه ، وكان لقتله الأثر الفعال في هزيمة المشركين ، وقتل هذا الجاهلي الخطير من الأيادي البيضاء التي أسداها الإمام على الإسلام والمسلمين .

أبو بكر: بل أنت .

« فَأَنْشُدْكَ بِاللَّهِ ، أَنَا الَّذِي طَهَّرَهُ اللَّهُ مِنَ السَّفَاحِ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَبِيهِ يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « خَرَجْتُ أَنَا وَأَنْتَ مِنْ نِكَاحٍ لَا مِنْ سَفَاحٍ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ » أَمْ أَنْتَ ؟ » .

أبو بكر: بل أنت .

حكى حديث الإمام إلى ما نقله الرواة إلى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وابن عمه الإمام أمير المؤمنين ﷺ خرجوا من لدن آدم من نكاح غير سفاح (١) .

« فَأَنْشُدْكَ بِاللَّهِ ، أَنَا الَّذِي اخْتَارَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَزَوَّجَنِي ابْنَتَهُ قَاطِمَةَ ؓ ، وَقَالَ : اللَّهُ زَوَّجَكَ إِيَّاهَا فِي السَّمَاءِ ، أَمْ أَنْتَ ؟ » .

أبو بكر: بل أنت .

زواج الإمام من سيِّدة نساء العالمين بأمر الله حديث متفق عليه عند جميع الرواة .

« فَأَنْشُدْكَ بِاللَّهِ ، أَنَا وَالِدُ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ سِبْطَيْهِ وَرِيحَاتَيْهِ إِذْ يَقُولُ : هُمَا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَبُوهُمَا حَيَّرَ مِنْهُمَا ، أَمْ أَنْتَ ؟ » .

أبو بكر: بل أنت .

امتاز الإمام ﷺ على بقية المسلمين بولديه السبطين ريحانتي رسول الله ﷺ وسيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين ﷺ .

« فَأَنْشُدْكَ بِاللَّهِ ، أَخَوَاكَ الْمُرَيْنُ بِالْجَنَاحَيْنِ يَطِيرُ فِي الْجَنَّةِ مَعَ الْعَلَائِكَةِ أَمْ أَخِي ؟ » .

أبو بكر: بل أخوك .

ومن مزايا الإمام أَنَّ أخاه الشهيد العظيم جعفرًا الطيار الذي ، استشهد في مؤنة دفاعاً عن الإسلام ، ووقف صامداً حتى قطعت يده ، وأصابته تسعون ضربة ما بين طعنة بالرمح وضربة بالسيف ، وقد أبدله الله تعالى عن يديه بجناحين يطير بهما في الفردوس الأعلى مع الملائكة .

« فَأَنْشُدْكَ بِاللهِ ، أَنَا ضَمِنْتُ دَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَنَادَيْتُ فِي الْمَوَاسِمِ بِإِنْجَازِ مَوْعِدِهِ أَمْ أَنْتَ ؟ » .

أبو بكر: بل أنت .

أشار الإمام عليه السلام بكلماته إلى حديث النبي ﷺ أَنَّهُ جمع الأقربين من أسرته ، وقال لهم :

« مَنْ يَضْمَنْ عَنِّي دِينِي وَمَوَاعِدِي يَكُنْ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ وَيَكُنْ خَلِيفَتِي فِي أَهْلِي ؟ » .

فانبرى إليه الإمام وقال : « أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ » .

ذكر ذلك أحمد في مسنده ، كما ذكره الثعلبي في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزِلْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ^(١) .

« فَأَنْشُدْكَ بِاللهِ ، أَنَا الَّذِي دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالطَّيْرُ عِنْدَهُ يُرِيدُ أَكْلَهُ ، يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي بِأَحَبِّ خَلْقِكَ إِلَيَّ وَإِلَيْكَ بَعْدِي يَأْكُلُ مَعِيَ مِنْ هَذَا الطَّيْرِ فَلَمْ يَأْتِهِ غَيْرِي ، أَمْ أَنْتَ ؟ » .

أبو بكر: بل أنت .

حديث الطائر المشوي أجمع الرواة على نقله ، وقد دلّ بوضوح على أَنَّ

الإمام أحب الخلق إلى الله وإلى رسوله^(١).

«فَأَنْشُدْكَ بِاللهِ، أَنَا الَّذِي بَشَّرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقِتَالِ النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ عَلَى تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ أَمْ أَنْتَ؟».

أبو بكر: بل أنت.

لمح الإمام في كلماته إلى حديث رسول الله ﷺ حينما كان عند أم المؤمنين أم سلمة فجاء علي فقال لها:

«يَا أُمُ سَلَمَةَ، هَذَا قَاتِلُ الْقَاسِطِينَ وَالنَّاكِثِينَ وَالْمَارِقِينَ مِنْ بَعْدِي»^(٢).

«فَأَنْشُدْكَ بِاللهِ، أَنَا الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِعِلْمِ الْقَضَاءِ وَقَضَلِ الْخِطَابِ بِقَوْلِهِ: عَلَيَّ أَقْضَاكُمْ، أَمْ أَنْتَ؟».

أبو بكر: بل أنت.

تظاهرت الأخبار عن النبي ﷺ أنه قال في أصحابه: «أَقْضَاكُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ»^(٣).

«فَأَنْشُدْكَ بِاللهِ، أَنَا الَّذِي أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالسَّلَامِ عَلَيْهِ بِالْإِمْرَةِ فِي حَيَاتِهِ أَمْ أَنْتَ؟».

أبو بكر: بل أنت.

لمح الإمام ﷺ إلى ما أمر به النبي ﷺ أن يسلموا على الإمام بإمرة المؤمنين.

«فَأَنْشُدْكَ بِاللهِ، أَنَا الَّذِي شَهِدْتُ آخِرَ كَلَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَوَلَيْتُ غُسْلَهُ

(١) يراجع في ذلك: أسد الغابة ٤: ٣٠. مستدرک الحاكم ٣: ١٣٠، وغيرهما.

(٢) الرياض النضرة: ٣٢٠.

(٣) يراجع في ذلك: الاستيعاب ٢: ٤٦١.

وَدَفَنَهُ أُمُّ أَنْتَ ؟ » .

أبو بكر: بل أنت .

كان الإمام عليه السلام آخر الناس عهداً برسول الله ﷺ وهو الذي تولى غسله ودفنه ^(١) .

« فَأَنْشُدْكَ بِاللهِ ، أَنْتَ الَّذِي سَبَقَتْ لَهُ الْقَرَابَةُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ
أَمْ أَنَا ؟ » .

أبو بكر: بل أنت .

أما الإمام عليه السلام فهو من ألصق الناس برسول الله ﷺ وأقربهم إليه ، فهو أخوه ،
وابن عمه ، وختنه على سيّدة نساء العالمين ، وأبو سبطيه ، وليس لغيره هذه المنزلة
من رسول الله ﷺ .

« فَأَنْشُدْكَ بِاللهِ ، أَنْتَ الَّذِي حَبَاكَ اللهُ بِالدِّينَارِ عِنْدَ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ ، وَبَاعَكَ
جِبْرِئِيلُ ، وَأَضْفَتَ مُحَمَّدًا قَاطِعَتِ وَلَنَّهُ أَمْ أَنَا ؟ » .

أبو بكر: بل أنت .

المح الإمام عليه السلام في كلامه إلى أَنَّ سَيِّدَةَ نَسَاءِ الْعَالَمِينَ طَلَبَتْ مِنَ الْإِمَامِ عليه السلام
أَنْ يَخْرُجَ لِيَقْتَرِضَ لَهُمْ مَا يَسَدُّ رِمَقَهُمْ مِنَ الْجُوعِ ، فَخَرَجَ فَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا يَسْتَقْرِضُ مِنْهُ
إِلَّا أَنَّهُ التَّقَطَّ دِينَارًا فَعَرَفَ بِهِ فَلَمْ يَجِدْ لَهُ صَاحِبًا ، وَعَرَضَتْ عَلَيْهِ حَبِيبَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ
أَنْ يَسْتَقْرِضَهُ ، وَمَتَى جَاءَ صَاحِبُهُ أَحَطَوْهُ مَكَانَهُ ، فَأَخَذَ الْإِمَامُ عليه السلام الدِّينَارَ وَمَضَى
إِلَى السُّوقِ فَوَجَدَ رَجُلًا يَبِيعُ الطَّعَامَ فَاشْتَرَى مِنْهُ بَدِينَارًا ، إِلَّا أَنَّ صَاحِبَ الطَّعَامِ أَبَى
أَنْ يَأْخُذَ الدِّينَارَ .

وفي اليوم الثاني خرج الإمام إلى السوق ليشتري طعاماً لهم فوجد الرجل

(١) يراجع في ذلك: مستدرک الحاكم ٣: ١١١. ذخائر العقبی: ٧٢. الرياض النضرة ٢: ٢٣٧.

الذي باعه الطعام قد عرض طعاماً للبيع فاشترى منه ، وناوله الدينار فامتنع من أخذه .

وفي اليوم الثالث فعل مثل ذلك ، فسارع الإمام عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله وعرض عليه الأمر فأخبره النبي صلى الله عليه وآله بأن صاحب الطعام هو جبرئيل (١) .

« فَأَنْشُدْكَ بِاللَّهِ ، أَنْتَ الَّذِي جَعَلْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى كَيْفِهِ فِي طَرْحِ صَنْمِ الْكُفَّةِ وَكُسْرِهِ حَتَّى لَوْ شِئْتُ أَنْ أَنْالَ أَفْقَ السَّمَاءِ لَنَلْتُهَا أَمْ أَنَا ؟ » .
أبو بكر: بل أنت .

عرض الإمام في حديثه إلى تحطيمه لأصنام قريش التي اتخذتها آلهة يعبدونها من دون الله ، وقد حطَّمها الإمام عليه السلام في فتح مكَّة ، وقضى على خرافات الجاهلية ، والحديث مستفيض ذكرته مصادر التاريخ والحديث .

« فَأَنْشُدْكَ بِاللَّهِ ، أَنْتَ الَّذِي قَالَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَنْتَ صَاحِبُ لَوَائِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، أَمْ أَنَا ؟ » .
أبو بكر: بل أنت .

حكى الإمام عليه السلام الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ : « يَا عَلِيُّ ، أَنْتَ صَاحِبُ لَوَائِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » ، هذا الحديث متواتر مستفيض .

« فَأَنْشُدْكَ بِاللَّهِ ، أَنْتَ الَّذِي أَمَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِفَتْحِ بَابِهِ فِي مَنْسَجِهِ عِنْدَمَا أَمَرَ بِسَدِّ أَبْوَابِ جَمِيعِ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ ، وَأَحَلَّ لَكَ فِيهِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ ، أَمْ أَنَا ؟ » .
أبو بكر: بل أنت .

(١) يراجع في ذلك : مناقب الخوارزمي : ٢٢٤ .

عرض الإمام عليه السلام إلى أمر النبي صلى الله عليه وآله بسد جميع الأبواب التي كانت على المسجد إلا باب علي عليه السلام فقد أبقاها ، وكان ذلك تكريماً للإمام عليه السلام^(١).

« فَأَنْشُدُكَ بِاللَّهِ ، أَنْتَ الَّذِي قَدَّمْتَ بَيْنَ يَدَيَّ نَجْوَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَدَقَةٌ
فَنَاجَيْتُهُ إِذْ عَاتَبَ اللَّهُ قَوْمًا فَقَالَ : ﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيَّ نَجْوَاكُمْ
صَدَقَاتٍ ... ﴾^(٢) أَمْ أَنَا ؟ » .

أبو بكر : بل أنت .

من آداب الإمام عليه السلام مع رسول الله ﷺ أنه إذا أراد أن يناجيه قدم صدقة ثم يناجيه ، ولم يعمل مثل ذلك من الصحابة غيره^(٣) .

« فَأَنْشُدُكَ بِاللَّهِ ، أَنْتَ الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِغَاطِطَةٍ : زَوْجَتُكَ أَوَّلُ
النَّاسِ إِيمَانًا ، وَأَرْجَحُهُمْ إِسْلَامًا ، فِي كَلَامٍ لَهُ ، أَمْ أَنَا ؟ » .

أبو بكر : بل أنت .

أشار عليه السلام إلى قول رسول الله ﷺ لسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام حينما عرض عليها الزواج من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فقال لها :

« أَمَا تَرْضِينَ أَنِّي زَوْجَتُكَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ إِسْلَامًا ، وَأَعْلَمُهُمْ عِلْمًا ... »^(٤) .

« فَأَنْشُدُكَ بِاللَّهِ يَا أَبَا بَكْرٍ ، أَنْتَ الَّذِي سَلَّمْتَ عَلَيْهِ مَلَائِكَةُ سَبْعِ سَمَوَاتٍ
يَوْمَ الْقَلْبِيبِ أَمْ أَنَا ؟ » .

(١) يراجع في ذلك : كنز العمال ٦ : ١٥٢ . مستدرک الحاكم ٢ : ١٢٥ . الرياض النضرة ٢ : ٢٥٣ .

(٢) المجادلة : ١٣ .

(٣) يراجع في ذلك : الرياض النضرة ٢ : ٢١٥ .

(٤) يراجع في ذلك : كنز العمال ٦ : ١٥٣ وغيره .

أبو بكر: بل أنت .

عرض الإمام عليه السلام إلى قيامه بسقي الماء إلى النبي ﷺ وأصحابه في ليلة بدر ، فقد طلب منهم ذلك فلم يستجب له أحد منهم سوى الإمام ، فقد انبرى ومعه قرينة إلى شريعة القمر مظلمة فأنحدر فيها ، فأوحى الله إلى جبرئيل وميكائيل وإسرافيل بالقيام بنصرة رسوله ، فهبطوا إلى الأرض ، فلما حاذوا القلب وقفوا وسلموا على الإمام إكراماً وتجيلاً له^(١) .

موقف أبي بكر :

ووجم أبو بكر أمام هذه الحجج الحاسمة التي أدلى بها الإمام عليه السلام ، والتي تدل بوضوح على أن الإمام أحق بالأمر وأولى به من غيره ، وقد سدت على أبي بكر جميع النوافذ ، فاستجاب لرأي الإمام إلا أن عمر صدأ بكر عما عزم عليه من التخلي عن منصبه^(٢) .

لا أكاد أعرف مناظرة قائمة على العلم والحق ، خالية عن الالتواء والغلبة سوى هذه المناظرة المشفوعة بأوثق الحقائق ، والتي وضعت النقاط على الحروف ، وكان الأولى بأبي بكر أن يستجيب لها إلا أن صاحبه عمر ومستشاره صدّه عن ذلك .

(١) يراجع في ذلك : ذخائر العقبى : ٦٨ - ٦٩ . تذكرة الخواص : ٢٢٨ .

(٢) الاحتجاج ١ : ١٥٧ - ١٨٤ .

احتجاجه على أبي بكر وحزبه

ولمّا أخذ الإمام عليه السلام قسراً إلى الجامع النبوي ليبيع أبا بكر أحاط به حزب أبي بكر، وصاحوا به : بايع أبا بكر، فأجابهم الإمام بحجته البالغة ، ومنطقه الفياض قائلاً :

« أَنَا أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، لَا أَبَايَعُكُمْ وَأَنْتُمْ أَوْلَى بِالْبَيْعَةِ لِي ، أَخَذْتُمْ هَذَا الْأَمْرَ - يعني الخلافة - مِنَ الْأَنْصَارِ وَاخْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِم بِالْقُرَابَةِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَتَأْخُذُونَهُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ غَضَبًا ؟

أَلَسْتُمْ زَعِمْتُمْ لِلْأَنْصَارِ أَنْكُمْ أَوْلَى بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْهُمْ لِمَكَانِكُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ فَأَغْطَوْكُمْ الْمَقَادَةَ وَسَلَّمُوا إِلَيْكُمْ الْإِمَارَةَ ؟

وَأَنَا اخْتَجُّ عَلَيْكُمْ بِمِثْلِ مَا اخْتَجَجْتُمْ بِهِ عَلَى الْأَنْصَارِ ، نَحْنُ أَوْلَى بِرَسُولِ اللَّهِ حَيًّا وَمَيِّتًا ، فَأَنْصِفُونَا إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ ، وَإِلَّا فَبُؤُوءُوا بِالظُّلْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ... »^(١).

وسلك الإمام عليه السلام بهذا الاحتجاج الصارم نفس الطريقة التي احتج بها المهاجرون على الأنصار من أنهم أمسّ الناس رحماً برسول الله ﷺ ، وبه تغلبوا على الأنصار وتسلموا قيادة الحكم ، وهذه الجهة قد توفرت في الإمام عليه السلام على النحو

(١) الاحتجاج ١ : ٧٣ .

الأكمل فهو ابن عم النبي وختنه على بضفته سيدة نساء العالمين ، وأبو سبطيه فهو
أُمس الناس رحماً بالنبي ﷺ وأولى بمركزه وأحق بمقامه .



مع عمر

وثار ابن الخطاب على الإمام بعد ما أدلى بحجته ، فقال له :

إنك لست متروكاً حتى تباع

فزجره الإمام وصاح به :

« إَحْلِبْ حَلِيباً لَكَ شَعْرُهُ ، وَاشْدُدْ لَهُ الْيَوْمَ أَمْرَهُ لِيُرَدَّ عَلَيْكَ غَدًا » .

وأوضح الإمام السبب في اندفاع ابن الخطاب وحماسه في بيعة أبي بكر أنه يرجو أن ترجع إليه الخلافة بعده .

ثم ثار الإمام في وجه عمر ، وقال :

« وَاللَّهِ يَا عُمَرُ لَا أَقْبِلُ قَوْلَكَ ، وَلَا أَبَايَعُهُ ... » .

وخاف أبو بكر من تطوّر الأحداث ، فأجاب الامام بناعم القول : إن لم تباع فلا أكرهك عليه ...

وخلّى أبو بكر سبيل الإمام ، ولم يرغمه على البيعة له .

احتجاج الإمام على المهاجرين

واحتج الإمام على المهاجرين باحتجاج صارم لأنهم وقفوا ضده ، وحالوا بينه وبين حقه ، فخطبهم بأسى ولوعة قائلاً :

« يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، اللَّهُ اللَّهُ لَا تُخْرِجُوا سُلْطَانَ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي الْعَرَبِ عَنْ دَارِهِ وَقَعْرِ بَيْتِهِ إِلَى دُورِكُمْ وَقَعْرِ بُيُوتِكُمْ ، وَلَا تَذَقُّوا أَهْلَهُ عَنْ مَقَامِهِ فِي النَّاسِ وَحَقِّهِ ، قَوْلَ اللَّهِ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ لَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ ؛ لَأَنَّا أَهْلُ الْبَيْتِ وَنَحْنُ أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، أَمَا كَانَ مِنَّا الْقَارِئُ لِكِتَابِ اللَّهِ ، الْفَقِيهُ فِي دِينِ اللَّهِ ، الْعَالِمُ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ ، الْمُضْطَلَعُ بِأَمْرِ الرُّعِيَّةِ ، الدَّافِعُ عَنْهُمْ الْأُمُورَ السَّيِّئَةَ ، الْقَاسِمُ بَيْنَهُمُ بِالْهُدَى ، وَاللَّهُ إِنَّهُ لَفِينَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى فَنَفِضُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَتَزَادُوا عَنِ الْحَقِّ بُعْداً .. » (١) .

ولو أَنَّ المهاجرين استجابوا لنداء الحق وآثروا الصالح العام لما عانت الأمة الأزمان الحادة ، على امتداد التاريخ الإسلامي .

إِنَّ الحسد لَأَلَّ الْبَيْتِ ﷺ قد نخر قلوبهم وألفاهم في شرٍّ عظيم ، وباعد بينهم وبين دينهم .

لقد اقصوا الأسرة النبوية عن قيادة الأمة ، وحالوا بينها وبين ما أَرَادَهُ اللَّهُ

(١) الإمامة والسياسة ١ : ١١ - ١٢ . شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ٦ : ١١ - ١٢ .

ورسوله لها ، فتركوهم في أرياض يثرب حتى انتهى المطاف إلى أن يتسكّم الأمويون مركز الحكم ، ويستولوا على مقدرات الدولة فينفقوها على شهواتهم وملأذهم ، وبمعنوا في قتل قادة الإسلام أمثال حجر بن عدي وعمر بن الحمق الخزاعي ، وتعدّوا إلى ما هو أفظع من ذلك كلّهُ وهو إبادة العترة النبوية التي هي عديلة الذكر الحكيم حسبما نصّ عليه حديث الثقلين ، ومجزرة كربلاء ، وما جرى على آل الرسول من الخطوب السود والنكبات القاسية ناجم عن تصرفات المهاجرين الذين هم الطلائع للأسر القرشية التي ناجزت الإسلام .

الإمام مع أعضاء الشورى

وأقام عمر بعد اغتياله نظام الشورى ، وهو نظام هزيل لا يحمل أي طابع من الشورى الواقعية التي تمثل جميع قطاعات الشعب ، فقد حصرها في ستة أشخاص فكان معظمهم من الحاقدين على الإمام أمثال سعد بن أبي وقاص وطلحة وعثمان وعبد الرحمن بن عوف .

وحسب الدراسات العلمية التي لا تخضع للنزعات الطائفية إنَّ الغرض من هذه الشورى اقضاء الإمام عن مركز الحكم ، وتسليمه إلى عثمان بن عفَّان عميد الأسرة الأموية ، وقد تكلَّمتنا عن هذه الشورى وحلَّلنا أبعادها في بعض بحوث هذا الكتاب .

وعلى أي حال فإننا نعرض لاحتجاج الامام على أعضاء الشورى فقد قال لهم :

« أَنْ يُسْرِعَ أَحَدُ قِبَلِي إِلَى دَعْوَةِ حَقٍّ ، وَصِلَةِ رَجِيمٍ ، وَعَائِدَةٍ كَرِيمٍ . فَاسْمَعُوا قَوْلِي ، وَاعُوا مَنْطِقِي ؛ عَسَى أَنْ تَرَوْا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هَذَا الْيَوْمِ تَنْتَضِي فِيهِ الشُّيُوفُ ، وَتَحَانُ فِيهِ الْعُهُودُ ، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُكُمْ أَيْمَةً لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ ، وَشَيْعَةً لِأَهْلِ الْجَهَالَةِ » (١) .

وكان الإمام عليه السلام رائد حق وداعية هداية في احتجاجه ، ولو انهم استجابوا له

ولم ينسابوا وراء شهوة الحكم لما واجه المسلمون الأزمات القاسية والأحداث الرهيبة .

لقد تحقق ما تنبأ به الإمام ، فلم تمض حفنة من السنين حتى انتضيت السيوف وتصارع القوم على الحكم ، فكان بعضهم من أئمة الضلال ، وشيعة لأهل الجهالة والضلal .

إذعان الإمام لمصلحة المسلمين :

وأعرب الإمام ﷺ حينما بويع عثمان عن إذعانه لمصلحة المسلمين ، فقد خاطب أعضاء الشورى قائلاً :

« لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا - أَيِ الْخِلَافَةِ - مِنْ غَيْرِي ؛ وَوَاللَّهِ لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ ؛ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً ، ائْتِمَاساً لِأَجْرِ ذَلِكَ وَقَضَائِهِ ، وَزُهْداً فِيمَا تَنَاقَشْتُمُوهُ مِنْ زُخْرَفِهِ وَزِينَتِهِ » (١) .

لقد كانوا على ثقة وإيمان أنّ الإمام ﷺ أحقُّ بالخلافة وأولى بالأمر من غيره ، فهو حامي الإسلام ، والمجاهد الأول ، وأخو النبي ﷺ .

وصبر الإمام على سلب تراثه حفظاً على كلمة الإسلام ووحدة المسلمين ، وقد أدلى بذلك بقوله ﷺ :

« إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَبَضَ نَبِيَّهُ اسْتَأْثَرَتْ عَلَيْنَا قُرَيْشٌ بِالْأَمْرِ وَدَفَعَتْنَا عَنْ حَقِّ نَحْنُ أَحَقُّ بِهِ مِنَ النَّاسِ كَافَّةً ، فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنْ تَغْيِيرِ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَسَفْكِ دِمَائِهِمْ ، وَالنَّاسُ حَدِيثُوا عَهْدٍ بِالإِسْلَامِ ، وَالَّذِينَ يُسَفِّضُ مَخْضَ الْوُطْبِ ، يُفْسِدُهُ أَذْنَى وَهْنٍ ، وَيَعْكِسُهُ أَقْلُ خَلْقٍ ،

قَوْلِي الْأَمْرَ قَوْمٌ لَمْ يَأْلُوا فِي أَمْرِهِمْ اجْتِهَادًا، ثُمَّ اسْتَقَلُّوا إِلَى دَارِ الْجَزَاءِ،
وَاللَّهُ وَلِيُّ تَمَجِّيعِ سَيِّئَاتِهِمْ، وَالْعَفْوِ عَنْ هَفَوَاتِهِمْ»^(١).

وقد عزى الإمام سكوته عن أخذ حقه من الذين اغتصبوه إلى الحفاظ على
كلمة المسلمين، وعدم اراقة دمائهم، خصوصاً في تلك الظروف التي كان الإسلام
في أول مراحلها، وإثارة الفتنة توجب إعراض الناس عن الإسلام واعتناق أديانهم
التي كانوا يدينون بها.

كما تحدّث الإمام عمّا لحقه من ضيم وأذى من جراء ما اقترفه القوم تجاهه
يقول ﷺ :

« قَبَانُهُ لَمَّا قَبَضَ اللَّهُ نَبِيَّهٖ ﷺ قُلْنَا: نَحْنُ أَهْلُهُ وَوَرَثَتُهُ وَعِثْرَتُهُ وَأَوْلِيَاؤُهُ
دُونِ النَّاسِ، لَا يُنَازِعُنَا سُلْطَانُهُ أَحَدٌ، وَلَا يَطْمَعُ فِي حَقِّنَا طَائِعٌ، إِذْ أَنْبَرَى
لَنَا قَوْمُنَا فَقَصَبُونَا سُلْطَانًا نَبِينَا، فَصَارَتِ الْأُمْرَةُ لِغَيْرِنَا، وَصِرْنَا سَوْفَةً؛
يَطْمَعُ فِيْنَا الضَّعِيفُ، وَيَتَعَزَّزُ عَلَيْنَا الدَّلِيلُ، فَبَكَتِ الْأَعْيُنُ مِنَّا لِذَلِكَ،
وَحَشِنَتِ الصُّدُورُ، وَجَزَعَتِ الثُّفُوسُ، وَأَيْسَمَ اللَّهُ لَوْلَا مَخَافَةُ الْفُرْقَةِ
بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنْ يَعُودَ الْكُفْرُ وَيَبُورَ الدِّينُ لَكُنَّا عَلَى غَيْرِ مَا كُنَّا
لَهُمْ عَلَيْهِ»^(٢).

وحكّت هذه الكلمات الألام المرهقة التي عانتها الأسرة النبوية من جرّاء
افضاء الخلافة عنهم، وتسلم القرشيين لها الذين امعنوا في ظلمهم واذلالهم.

(١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ١: ٣٠٨.

(٢) المصدر السابق ١: ٣٠٧.

احتجاج آخر للإمام

روى أبو الطفيل عامر بن واثلة قال : كنت على الباب يوم الشورى فارتفعت الأصوات بينهم فسمعت علياً عليه السلام يقول :

« بَايَعَ النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ وَأَنَا وَاللَّهِ أَوْلَى بِالْأَمْرِ مِنْهُ وَأَحَقُّ بِهِ مِنْهُ ، فَسَمِعْتُ وَأَطَعْتُ مَخَافَةَ أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُهُمْ رِقَابَ بَعْضٍ بِالسَّيْفِ ، ثُمَّ بَايَعَ النَّاسُ عُمَرَ وَأَنَا وَاللَّهِ أَوْلَى بِالْأَمْرِ مِنْهُ وَأَحَقُّ بِهِ مِنْهُ ، فَسَمِعْتُ وَأَطَعْتُ مَخَافَةَ أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُهُمْ رِقَابَ بَعْضٍ بِالسَّيْفِ ، ثُمَّ أَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُبَايِعُوا عُثْمَانَ إِذَا لَا أَسْمَعَ وَلَا أُطِيعُ . وَإِنْ عُمَرَ جَعَلَنِي مِنْ خَمْسَةِ نَقَرٍ أَنَا سَادِسُهُمْ لَا يَعْرِفُ لِي قَضَاءٌ عَلَيْهِمْ فِي الصَّلَاحِ ، وَلَا يَعْرِفُونَهُ لِي كُلُّنَا فِيهِ شَرٌّ سَوَاءٌ ، وَآمَنَ اللَّهُ لَوْ أَشَاءَ أَنْ أَتَكَلَّمَ ثُمَّ لَا يَسْتَطِيعَ عَرَبِيَّتُهُمْ وَلَا أَعْجَمِيَّتُهُمْ وَلَا مُعَاهِدُ مِنْهُمْ وَلَا الْمُشْرِكُ رَدَّ خُصْلَةٍ مِنْهَا لَفَعَلْتُ » (١) .

وأنت ترى في هذه الكلمات مدى الصدعة والأسى التي في نفس الإمام عليه السلام من القوم الذين استهانوا بمكانته وعاملوه معاملة عادية ، وتنكروا لجميع حقوقه ، وقد أمسك الإمام عن استعمال القوة في إرجاع حقه ، وذلك خوفاً على ردة المسلمين ، وانتكاس الدين ، وضياع الرسالة الإسلامية .

(١) فرائد السمطين ١ : ٣٢٠ .

رَحِمَتْكُمُ اجَابَتُهُمَا
عَلَى الْمُتَمَرِّدِينَ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

كانت بيعة الإمام عامة اشتركت فيها جميع قطاعات الشعب بما فيها القوات المسلحة التي أطاحت بحكومة عثمان بن عفان ، وقد باركتها الصحابة وباركها جميع المسلمين سوى الأسر القرشية التي ناهضت رسول الله ﷺ ، فانها أصيبت بذهول ووجوم ، وتميزت من الغيظ ، فقد خافت على مصالحها وما كانت تتمتع به من السيطرة على جهاز الدولة وتسخير اقتصادها لمصالحهم ، وهي على يقين لا يخامره شك أن الإمام ﷺ يتحرى بكل دقة مصالح الأمة ، ويقيم فيها برامج السياسة الإسلامية الهادفة إلى نشر الرخاء والأمن بين المسلمين ، وإبعاد العناصر المشبوهة ، ومعاملتها معاملة عادية تتسم بعدم التقدير وعدم الاستجابة لرغباتها ومصالحها .

إن الأسر القرشية تعرف الإمام ﷺ أنه لا يُداهن أحداً في دينه ولا يصانع أي إنسان قريب أو بعيد ، وأنه يبغى في جميع تصرفاته وجه الله تعالى والدار الآخرة ، فلذا أجمعت على مناجزته ووضع الحواجز والسدود أمام سياسته ، وقبل أن نذكر بعض احتجاجاته معهم نعرض إلى مايلي :



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

لوعة الإمام من القرشيين

التاع الإمام ﷺ كأشد ما تكون اللوعة من القرشيين وبلغ به الحزن منهم أقصاه ، فقد استبان له عداؤهم السافر له وحقدهم البالغ عليه ، وقد ادلى ﷺ بعدة مناسبات بعميق ألمه وحزنه منهم ، ولنستمع لبعضها :

١ - قال ﷺ :

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِيدُكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَجِيمِي وَكَفَّأُوا إِنَائِي ، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَارَعَتِي حَقًّا كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي ، وَقَالُوا : أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُنْتَفِعَهُ ، فَاصْبِرْ مَغْمُومًا ، أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفًا ، فَتَنْظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَاقِدٌ ، وَلَا ذَابٌ وَلَا مُسَاعِدٌ ، إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي ؛ فَصَبَّيْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ ، فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى ، وَجَرَعْتُ رِيقِي عَلَى الشُّجَا ، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظَمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمْرِ مِنَ الْعَلَقَمِ ، وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ الشَّقَا » (١) .

أرايتم مدى حزن الإمام وأساه من ظلم القرشيين واعتدائهم عليه ، فقد فطموا رحمه ، ونازعوه الخلافة التي هو أولى بها من غيره ، وأجبروه على ما أرادوه ، ولم يكن باستطاعة الإمام أن يناهضهم ، فلم تكن عنده قوة ولم يكن يأوي إلى ركن شديد

ليبتزع حقه منهم فصبر على ما في الصبر من قذى في العين ، وشجى في الحلق .

٢- قال عليه السلام :

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِيْكَ عَلَى قُرَيْشٍ ، فَإِنَّهُمْ أَضْمَرُوا لِرَسُولِكَ ﷺ ضُرُوباً مِنْ الشَّرِّ وَالْفُتْرِ فَعَجَزُوا عَنْهَا وَحُلَّتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا ، فَكَانَتْ الْوَجْبَةُ بِي وَالْدَائِرَةُ عَلَيَّ .

اللَّهُمَّ احْفَظْ حَسَنًا وَحُسَيْنًا ، وَلَا تُمَكِّنْ فَجْرَةَ قُرَيْشٍ مِنْهُمَا مَا دُمْتُ حَيًّا ، فَإِذَا تَوَفَّيْتَنِي فَأَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ » (١) .

حكّت هذه الكلمات مايلي :

أولاً: عدااء القرشيين للرسول ﷺ ، وما أضمره له من ضروب الشر والغدر إلا أن الله تعالى حال بينهم وبين مادبروا وأضمره للنبي ﷺ من سوء ومكر فقد نصر نبيه وأعز دينه .

ثانياً: أن دائرة القرشيين كانت على الإمام بعد وفاة النبي ﷺ ، فقد استوفوا منه ديونهم التي كانت لهم على النبي ﷺ ، وشفوا غيظ صدورهم منه فسلبوه حقه ، وانتزعوا منه ولايته على المسلمين التي عقدها النبي له في غدبر خم .

ثالثاً: فإنه أبدى مخاوفه على سبطي الرحمة وامامي الهدى الحسن والحسين من القرشيين الذين كانوا ييغون الغوائل لذرية الرسول ﷺ ، وقد تحقق ما كان يتخوف عليهما الإمام عليه السلام فالبسط الأول الإمام ربحانة رسول الله ﷺ ، نجّرع أفسى الآلام من طاغية زمانه معاوية بن أبي سفيان فقد بالغ الطاغية في ظلم الإمام والاعتداء عليه ، وأخيراً دس إليه السم فقتله ، وأمّا أخوه الإمام الحسين عليه السلام

أبو الشهداء ، فقد عمد يزيد بن معاوية الممثل الوحيد للأسر القرشية إلى السبوط فأجهز عليه وعلى أهل بيته وأصحابه في أرض كربلاء ، ورفع جيشه رؤوسهم على أطراف الرماح ومعها عفاثل النبوة سبایا بطاف بهم في الأقطار والأمصار ، وقد اعلنوا فرحتهم الكبرى باستئصالهم لذرية النبي ﷺ ، وقد استوفوا بذلك ثارات بدر .

٣ - قال ﷺ :

« حَتَّى إِذَا قَبَضَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ ، وَعَالَتْهُمْ السُّبُلُ ، وَاتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَدَيْنِ ^(١) ، وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ ^(٢) الَّذِي أَمَرُوا بِمَوَدَّتِهِ ، وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رِصِّ أُسَاسِهِ ، قَبَنُوهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ . مَعَادِنُ كُلِّ حَاطِيَّةٍ ، وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمَرَةٍ . قَدْ مَارَوْا فِي الْخَيْزَةِ ، وَذَهَلُوا فِي السُّكْرَةِ ، عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ : مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا وَرَاكِبٍ ، أَوْ مُقَارِقٍ لِلدَّهْنِ مُبَايِنٍ ^(٣) . »

وحفل كلام الإمام ﷺ بما مني به المسلمون بعد وفاة النبي ﷺ من الانقلاب على الأعقاب الذي كان من مظاهره إبعاد الأسرة النبوية وإقصاؤها عن قيادة الأمة ، وتقليد الخلافة إلى غيرها ، وقد وصفهم بالأوصاف التي ذكرها والتي هي واضحة الدلالة بيّنة المفاد ، ومن المؤكد أنه لم يقم بعملية الانقلاب إلا الأسرة القرشية الحاكمة على أهل البيت ﷺ .

٤ - قال ﷺ :

« اللَّهُمَّ فَاجِرْ قُرَيْشًا عَنِّي الْجَوَازِي ، فَقَدْ قَطَعْتَ رَجَمِي ، وَتَظَاهَرْتَ عَلَيَّ ،

(١) الولائج : جمع وليجة ، وهي البطانة التي يتخذها الإنسان .

(٢) أراد بالسبب هم أهل بيت النبوة ومعدن الحكمة الذين قرنهم الرسول بمحكم التنزيل .

(٣) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ٩ : ١٣٢ .

وَدَفَعَنِي عَنْ حَقِّي ، وَسَلَبْتَنِي سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّي ، وَسَلَمْتُ ذَلِكَ إِلَى مَنْ لَيْسَ
مِثْلِي فِي قَرَابَتِي مِنَ الرَّسُولِ وَسَابِقَتِي فِي الْإِسْلَامِ ، إِلَّا أَنْ يَدْعِيَ مُدْعٍ مَا لَا
أَعْرِفُهُ ، وَلَا أَظُنُّ اللَّهَ يَعْرِفُهُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ» (١) .

ويلمس في هذه الكلمات مدى لوعة الإمام عليه السلام وأساه على ضياع حقه ،
ونهب تراثه الذي استأثرت به قريش .

٥ - قال عليه السلام :

«اللَّهُمَّ أَخْزِ قُرَيْشًا فَإِنَّهَا مَنَعَتْنِي حَقِّي ، وَغَضَبَتْنِي أَمْرِي» (٢) .

٦ - قال عليه السلام :

«فَجَزَى قُرَيْشًا عَنِّي الْجَوَارِي فَإِنَّهُمْ ظَلَمُونِي حَقِّي وَاعْتَصَبُونِي سُلْطَانَ ابْنِ
أُمِّي» (٣) .

٧ - قال عليه السلام :

«اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَعْدَيْكَ عَلَى قُرَيْشٍ فَإِنَّهُمْ ظَلَمُونِي حَقِّي وَغَضَبُونِي
إِزْثِي» (٤) .

وأعربت هذه الكلمات عما لاقاه الإمام عليه السلام من الظلم والاعتداء من القرشيين
فقد اجمعوا على مناهضته والخط من شأنه ، ولنستمع بعد هذا إلى احتجاجاته على
المتمردين على حكومته من القرشيين .

(١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ٢ : ١١٩ .

(٢) (٤) نهج البلاغة : ٣٤٦ .

(٣) المصدر السابق : ٣٣٦ .

احتجاجاته على طلحة والزبير

بايع الزبير وطلحة الإمام ﷺ عن رضى لا إكراه فيه ، ولما تم الأمر للإمام وأعلن منهجه في الحكم ، وانه يسير على منهاج رسول الله ﷺ لا يستأثر بشيء من أموال المسلمين ، وإنما يحتاط فيها كأشد ما يكون الاحتياط ، وقد جرت بينه وبين طلحة والزبير عدة مناظرات كان منها ما يلي :

سارع طلحة والزبير نحو الإمام ، وهما يرفعان عقيرتهما قائلين : هل تدري عَلامَ بايعناك يا أمير المؤمنين ؟

فرمقهما الإمام بطرفه ، وقال برنة المستريب منهما :

« نَعَمْ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَعَلَى مَا بَايَعْتُمْ عَلَيْهِ أَهًا بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ » .

وكشفا عن نواياهما وأطماعهما قائلين : ولكن بايعناك على أنا شريكاك في الأمر ...

ماذا يعني الشيخان في الاشتراك في الأمر ؟

هل يبغيان أن تسير الدولة في برامجها السياسية والاقتصادية على ضوء الكتاب والسنة ، ويكونا عوناً للإمام على تحقيق هذه الغاية النبيلة ؟

هل الاشتراك في الأمر معناه بذل الجهود لسير البلاد قدما في تطورها

الاقتصادي وتنمية دخل الفرد ونشر الرخاء بين المواطنين وإشاعة العلم بين الناس ؟ كل ذلك لم يفكر فيه طلحة والزبير ، وإنما المقصود هو الاستيلاء على مقدّرات الدولة وأجهزة الحكم ، والاستيلاء على ثروات الأمة ، وإخضاعها لرغباتهما وشهواتهما .

ولم تخف على الإمام أطماعهما فردّ عليهما قائلاً :
« وَلَئِنْ كُنْتُمْ شَرِيكًا فِي الْقَوْلِ وَالْإِسْتِقَامَةِ وَالْعَوْنِ عَلَى الْعَجْزِ وَالْأَوْد... » .

إنّ الذي يفهمه الإمام من مشاركتهما له المشاركة على الاستقامة وعدم الانحراف عن الخط الإسلامي الذي يعنى قبل كلّ شيء بإسعاد المجتمع ، ونفي الحاجة والبؤس ، وتوزيع خيرات الله تعالى على الجميع .

وهذا المنطق لا يفهمه طلحة ولا يعيه الزبير ، إنّ الذي يعنيهما قبل كلّ شيء الاستيلاء على خيرات الأمة ومقدراتها الاقتصادية .

ولمّا استبان للشيخين ضياع أملهما ، وعدم فوزهما بتحقيق آمالهما انطلقا صوب الإمام يطلبان الإذن لهما في الخروج من يثرب ليعلنا التمرد على حكومة الإمام فقالا له : ائذن لنا يا أمير المؤمنين .

« إِنْ أَيْنَ ؟ » .

نريد العمرة .

فرمقهما الإمام بطرفه ، وقد عرف خفايا نفوسهما ، وما أنطوت عليه قلوبهما من الشر ، قائلاً لهما برنة المستريب :

« وَاللّهِ مَا الْعُمَرَةُ تُرِيدَانِ !! بَلِ الْعُنْدَرَةُ وَنَكْتُ الْبَيْعَةِ ! »

ولم يخف على الإمام ما انطوت عليه نفوسهما من الشر والغدر والمكيدة

وأخذا يقسمان بالله ويحلفان بالأيمان المغلظة انهما يخرجان للعمرة والتفت إليهما الإمام ونفسه مترعة بالريبة منهما فطلب منهما إعادة البيعة له ثانياً ففعلا دون تردد ، ومضيا منهزمين إلى مكة ، وكأنه قد اتبىح لهما الخلاص من السجن فلاحقا بعائشة ، فجعلنا بحثانها على الثورة على حكومة الإمام ، وقد كانا يعلمان بكرهيتها للإمام .

مع عائشة :

وفزعت عائشة حينما علمت أَنَّ الإمام ^{عليه السلام} قد تقلد زمام الحكم ، وآلت إليه زعامة الأمة ، فأعلنت العصيان والتمرد ، ورفعت عقيرتها مطالبة بدم عثمان بن عفَّان ، وقد كانت من أقوى العناصر التي نادى بسفك دمه ، فقد أفتت بكفره ومروقه من الدين ثم هي الآن تطالب بدمه ، وهل هي ولية دمه حتى يباح لها ذلك ؟ وهل هي ولية أمر المسلمين حتى تطالب بدمه ؟ أسئلة لا جواب لها فيما نعلم .

وعلى أي حال فقد رفعت علم الثورة على حكومة الإمام وراحت تستنهض المسلمين للإطاحة بحكومته ، وقد استجاب لها الغوغاء الذين تلونهم الدعاية كيفما شاءت ، فقد شكَّلت منهم جيشاً أمده الأمويون بجميع المعدات الحربية وما يحتاجون إليه ، وقد أنفقوا عليه أموالاً هائلة كانت ممَّا نهبوه من أموال المسلمين حينما كانوا ولاية من قِبَل عثمان بن عفَّان ، وقد عرضنا لذلك في بعض أجزاء هذا الكتاب .

وقد احتلَّت عائشة البصرة ، وحينما علم الإمام بذلك زحف بجيوشه للقضاء على هذا التمرد ، وقبل أن تندلع نار الحرب بعث الإمام إليها عبيد الله بن عباس وزير ابن صوحان يدعوها إلى حقن دماء المسلمين ، وقال لهما قولاً لها :

«إِنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ أَنْ تَقْرِي فِي بَيْتِكَ وَأَنْ لَا تَخْرُجِي مِنْهُ ، وَإِنَّكَ لَتَعْلَمِينَ ذَلِكَ ، غَيْرَ أَنَّ جَمَاعَةً قَدْ أَغْرَوْكَ فَخَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ ، فَوَقَّعَ النَّاسُ

لَا تَفْأَلِكْ مَعَهُمْ - فِي الْبَلَاءِ وَالْعَنَاءِ ، وَخَيْرُ لَكَ أَنْ تُعَوِّدِي إِلَى بَنِيكَ ،
وَلَا تُحَوِّمِي حَوْلَ الْخِصَامِ وَالْقِتَالِ ، وَإِنْ لَمْ تُعَوِّدِي وَلَمْ تُطْلِقِي هَذِهِ النَّائِرَةَ
فَإِنَّهَا سَوْفَ تُغْقِبُ الْقِتَالَ ، وَيُقْتَلُ فِيهَا حَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَاتَّقِي اللَّهَ يَا عَائِشَةُ
وَتُؤَيِّي إِلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ مِنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو ، وَإِيَّاكَ أَنْ يَذْفَعَكَ
حُبُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَقَرَانَةُ طَلْحَةَ إِلَى أَمْرِ تَغْقِبُهُ النَّارُ .

ولو أنها وعت هذه النصيحة ، واستجابت لنداء الحق لجنت الأمة الكثير من
المآسي والخطوب إلا أنها جعلت ذلك دبر أذنيها ، وقالت للرسولين : إني لا أريدُ على
ابن أبي طالب بالكلام لأنني لا أبلغه بالحجاج^(١) . ولم ترد على الإمام بالكلام ، وإنما
ردت عليه بالسيوف والرماح وأبت أن تدعن لنداء الحق .

مع طلحة والزبير :

وأقام الإمام ﷺ الحجة على طلحة والزبير ، فقد بعث إليهما برسالة يدعوهما
إلى الرثام ، وجمع كلمة المسلمين ، وهذا نصها :

« أَمَا بَعْدُ ، فَقَدْ عَلِمْتُمَا - وَإِنْ كَتَمْتُمَا - أَنِّي لَمْ أُرِدِ النَّاسَ حَتَّى أُرَادُونِي ،
وَلَمْ أَبَايَعُهُمْ حَتَّى بَايَعُونِي ، وَإِنكُمَا مِمَّنْ أُرَادَنِي وَبَايَعَنِي ، وَأَنْ الْعَامَّةُ
لَمْ تَبَايَعَنِي لِسُلْطَانٍ غَالِبٍ ، وَلَا لِعَرَضٍ حَاضِرٍ ، فَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي
طَائِعِينَ فَارْجِعَا وَتَوْنَا إِلَى اللَّهِ مِنْ قَرِيبٍ ، وَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي كَارِهِينِ
فَقَدْ جَعَلْتُمَا لِي عَلَيْكُمَا السَّبِيلَ بَاطِلًا وَالطَّاعَةَ وَإِسْرَارِكُمَا الْمَغْصِيَةَ ،
وَأَغْفِرِي مَا كُنْتُمَا بِأَحَقَّ الْمُهَاجِرِينَ بِالتَّقِيَّةِ وَالْكِتْمَانِ ، وَأَنْ دَفَعَكُمَا هَذَا
الْأَمْرَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُدْخَلَا فِيهِ كَانَ أَوْسَعَ عَلَيْكُمَا مِنْ خُرُوجِكُمَا مِنْهُ بَعْدَ

(١) حياة الإمام الحسن ﷺ ١ : ٤٤٣ ، نقلًا عن تاريخ ابن أعمش .

إِفْرَارِكُمَا بِهِ ، وَقَدْ زَعَمْتُمَا أَنِّي قَتَلْتُ عُثْمَانَ فَبَيَّنِّي وَبَيْنَكُمَا مَنْ تَخَلَّفَ
عَنِّي وَعَنَكُمَا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ثُمَّ يُلْزَمُ كُلُّ امْرِئٍ بِقَدْرِ مَا اخْتَمَلَ ، فَارْجِعَا
أَيْهَا الشُّيْخَانِ عَنْ رَأْيِكُمَا ، فَإِنَّ الْآنَ أَعْظَمَ أَمْرِكُمَا الْعَارُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجْتَمِعَ
الْعَارُ وَالنَّارُ» (١) .

لقد ألقيا الفتنة بين المسلمين ، وجرا للعالم الإسلامي الويل والدمار ، وقاتل
الله الطمع والحسد ، فقد ألقياهما في شرٍ عظيم ، وحملاهما المسؤولية أمام الله
تعالى .

وقد ألمحنا إلى تفصيل هذه الأحداث المروعة في بعض أجزاء هذه
الموسوعة ، فلا تطيل البحث عنها .

مع معاوية

وأعلن معاوية التمرد على حكومة الإمام ، ورفض البيعة والدخول فيما دخل فيه المسلمون ، فقد رأى له قوة تمكنه من مناجزة الإمام ؛ وذلك لما له من النفوذ والمكانة في بلاد الشام فإنه لم يعمل فيها عمل والي ، وإنما عمل فيها عمل صاحب الدولة الذي يؤسسها ، فقد أمده عمر وعثمان بجميع مقومات البقاء والقوة ، ويعترف معاوية بصراحة أنه لولا أبو بكر وعمر لما نازع الإمام ، فقد أعلن ذلك في رسالته إلى محمد بن أبي بكر جاء فيها :

كان أبوك وفاروقه أول من ابتزّه - يعني علياً - حقّه ، وخالفاه على أمره ، على ذلك اتفقا واتسقا ، ثم دعواه إلى بيعتهما فأبطأ عنهما وتلكأ عليهما فهما به الهموم ، وأرادا به العظيم - يعني قتله - ، ثم أنه بايع لهما وسلم لهما ، وأقاما لا يشاركانه في أمرهما ، ولا يطلعانه على سرهما حتى قبضهما الله .

وأضاف قائلاً :

فإن يك ما نحن فيه صواباً فأبوك استبدّ به ونحن شركاؤه ، ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب ولسلمنا له ، ولكن رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا وأخذنا بمثله^(١) .

(١) المسعودي على هامش ابن الأثير ٦ : ٧٨ - ٧٩ .

فمن المؤكد الذي لا ريب فيه أنه لولا منازعة الشيخين للإمام وابتزازهما لحقه لما استطاع معاوية منازعته ، ولتقع في زوايا الخمول هو وأسرته .

وعلى أي حال فإن من مهازل الزمن أن ينبري معاوية إلى مناهضة عملاق الفكر الإنساني ، وباب مدينة علم النبي ﷺ ، ويعلن العصيان المسلح عليه .

إيفاد جرير إلى معاوية :

رأى الإمام ﷺ أن يقيم الحجّة على معاوية ، ويدعوه إلى الطاعة والدخول فيما دخل فيه المسلمون ، فبعث إليه جرير بن عبد الله البجلي وزوّده بهذه الرسالة :

«أَمَّا بَعْدُ... فَإِنَّ بَيْنَتِي بِالْمَدِينَةِ لَزِمَتَكَ وَأَنْتَ بِالشَّامِ؛ لِأَنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ عَلَى مَا بُويعُوا عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِمُشَاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ، وَلَا لِنَقَائِبِ أَنْ يَرُدَّ، وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، إِذَا اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ، فَسَمُوهُ إِمَامًا كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ رِضًا، وَإِنْ خَرَجَ مِنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ يَطْفَعُ أَوْ رَغْبَةٌ رَدُّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ، فَإِنْ أَبَى قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِ غَيْرِ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَلَاةِ اللَّهِ مَا تَوَلَّى، وَيُضِلُّهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا.

وإِنْ طَلَحْتَ وَالزَّبِيرَ بَايَعَانِي ثُمَّ نَقَضَا بَيْعَتِي، فَكَانَ نَقْضُهُمَا كَرْدَتِهِمَا، فَجَاهِدْتُهُمَا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ، وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ.

فَادْخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ، فَإِنَّ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيَّ فِيكَ الْعَاقِبَةُ، إِلَّا أَنْ تَتَعَرَّضَ لِلْبَلَاءِ، فَإِنْ تَعَرَّضْتَ لَهُ قَاتَلْتُكَ وَاسْتَعْنْتُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ.

وَقَدْ أَكْثَرَتْ فِي قَتْلَةِ عُثْمَانَ، فَأَدْخُلْ فِيهَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ، ثُمَّ
 حَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَيَّ - يعني الذين قتلوا عثمان - أَخِيكَ وَإِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ
 اللَّهِ، فَأَمَّا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُهَا فَخُدَّةُ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ. وَلَقَمَرِي لَنْ نَنْظُرَتْ
 بِعَقْلِكَ دُونَ هَؤُلَاءِ تَتَحَدَّثُنِي أَبْنَاءُ قُرَيْشٍ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، وَقَدْ أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ
 جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيَّ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ، فَبَايَعِ، وَلَا قُوَّةَ
 إِلَّا بِاللَّهِ»^(١).

وأعرب الإمام المحتن في رسالته عن شمول بيعته التي لم يظفر بمثلها أحد
 من الذين سبقوه، فقد بايعه الأنصار والمهاجرون، وبايعته الأقطار الإسلامية،
 وبايعه طلحة والزبير إلا أنهما نكنا بيعته لغير سبب إسلامي، فقد دفعتهما الأطماع
 والحسد للإمام إلى ذلك.

وقد دعا الإمام ﷺ معاوية إلى الدخول فيما دخل فيه المسلمون وأن لا يخلع
 يد الطاعة، ويفارق الجماعة الإسلامية كما أعرب الإمام عن براءته من دم عثمان
 الذي اتخذ معاوية وسيلة لإعلان التمرد، والخروج عن طاعة الإمام، وأعلن الإمام
 أن معاوية لا يصلح للخلافة ولا لأي منصب من مناصب الدولة لأنه من الطلقاء الذين
 ناجزوا الرسول الأعظم ﷺ.

ولم يستجب معاوية لنداء الحق، وراح في غبه مناجزاً للإمام، ومعلنًا للتمرد
 على حكومته، فردَّ جرير البجلي، وحملَه رسالة الحرب للإمام.

احتجاجه على معاوية:

من أروع ما احتج به الإمام ﷺ على معاوية هذا الاحتجاج الذي كان جواباً

(١) العقد الفريد ٢: ٢٣٣. الإمامة والسياسة ١: ٧١. شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد

لرسالة معاوية له ، ولنقرأ بإمعان :

« أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذَكُّرٌ فِيهِ اضْطِغَاةُ اللَّهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَالِهِ لِدِينِهِ ، وَتَأْيِيدُهُ إِثَاءَ بَعْنِ أَيْدِهِ مِنْ أَصْحَابِهِ ؛ فَلَقَدْ خَبَأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ
عَجَبًا ؛ إِذْ طَفِغْتَ تُخْبِرُنَا بِتِلَاوَةِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَنَا ، وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا ،
فَكُنْتُ فِي ذَلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجَرَ ^(١) ، أَوْ دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَى النَّضَالِ .

وَرَعَمْتُ أَنْ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ فَلَانُ وَقُلَانُ ^(٢) ؛ فَذَكَرْتُ
أَمْرًا إِنْ تَمَّ اغْتَرَاكَ كُلُّهُ ، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلَمُهُ .

وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ وَالْمَفْضُولَ ، وَالسَّائِسَ وَالْمُسَوَّسَ ! وَمَا لِلطُّلُقَاءِ
وَأَبْنَاءِ الطُّلُقَاءِ ، وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ ، وَتَرْتِيبِ دَرَجَاتِهِمْ ،
وَتَغْرِيفِ طَبَقَاتِهِمْ ! هَيْهَاتَ لَقَدْ حَرَّ قِدْحُ لَيْسَ مِنْهَا ، وَطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا
مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا ! أَلَا تَرَى أَنَّ الْإِنْسَانَ عَلَى ظَلَمِكَ ^(٣) ، وَتَعْرِفُ قُصُورَ
ذَرْعِكَ ، وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَحْرَكَ الْقَدْرُ ! فَمَا عَلَيْكَ غَلَبَةُ الْمُغْلُوبِ ، وَلَا ظَفَرُ
الظَّافِرِ ! » .

حكى هذا المقطع من كلام الإمام عليه السلام استهانة بمعاوية وازدراءه له وأنه لا حق
له ولا مكانة له في التمييز بين المهاجرين من أصحاب النبي ﷺ ، فإن كان لهم
الفضل فهو لغيره ولا يلحقه وإن كان فيهم ثلثة ونقص فلا تلتصق به لأنه من الطلقاء
الذين لا يحق لهم التدخل في شؤون المسلمين ...

ويستمر الإمام في رسالته الذهبية قائلاً :

(١) هجر : مدينة باليمن كثيرة النخيل ، وقيل مدينة بالبحرين .

(٢) فلان وفلان : يعني بهما الشيخين أبا بكر وعمر .

(٣) أرى على ظلمك : أي قف عند حدك ، واعرف قدرك .

«وَأَنَّكَ لَذَّاهَبٌ فِي النَّبِيِّ^(١)، رَوَّاعٌ عَنِ الْقَصْدِ، أَلَا تَرَى - غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ -

تحدث الإمام عليه السلام بهذه الكلمات عن نفسية معاوية ، وانه لذهاب في التَّيه أي الضلال ، فقد كان من عناصره ومقوماته ، كما كان رواعاً عن القصد أي الاعتدال ، فلم يستقم إلا على الباطل .

وأضاف الإمام قائلًا :

«وَلَكِنْ يَنْفَعَةِ اللَّهِ أَحَدٌ - أَنْ قَوْمًا اسْتَشْهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَلِكُلِّ فَضْلٍ حَتَّى إِذَا اسْتَشْهَدَ شَهِيدُنَا قِيلَ سَيِّدُ الشَّهَدَاءِ، وَخَصَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ !

أَوَلَا تَرَى أَنْ قَوْمًا قُطِعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِكُلِّ فَضْلٍ حَتَّى إِذَا قِيلَ بِوَاحِدِنَا مَا فَعَلَ بِوَاحِدِهِمْ، قِيلَ الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وَذُو الْجَنَاحَيْنِ ! وَتَوَلَّوْا مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ تَرْكِتَةِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ، لَذَكَرَ ذَاكَ فُضَائِلَ جَمْعَةٍ تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ.

فَدَعَ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرُّمِيَّةُ، فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا، وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا^(٢) لَمْ يَخْتَنَعْنَا قَدِيمَ عِزِّنَا وَلَا عَادِيَّ طَوْلِنَا عَلَى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِنَفْسِنَا؛ فَتَكَخَّنَا وَأَنْكَخْنَا، فِعْلُ الْأَكْفَاءِ، وَلَسْتُمْ هُنَاكَ !

وَأَنْتُمْ يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَمِنَّا النَّبِيُّ وَمِنْكُمْ الْمُكَذِّبُ - وهو

أبو جهل .

(١) التَّيه : الضلال .

(٢) لعل المراد من قوله عليه السلام : «فإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا، وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا» أَنَّ اللَّهَ خَصَّهُمْ بِالْهُدَايَةِ فَبَعَثَ مِنْهُمْ رَسُولَهُ الْعَظِيمَ، وَهُوَ أَهْلُ بَيْتِهِ مَصَادِرُ الْهُدَايَةِ وَالرَّشَادِ لِلْخَلْقِ، فَهَمَّ بِهَذَا صَنَائِعَ اللَّهِ لِأَنَّهُمْ خَصَّهُمْ بِالنُّبُوَّةِ، وَالنَّاسُ صَنَائِعُ لَهُمْ لِأَنَّ هُدَايَتَهُمْ كَانَتْ بِسَبَبِهِمْ .

وَمِنَّا أَسَدُ اللَّهِ وَمِنْكُمْ أَسَدُ الْأَخْلَافِ - وهو أبو سفيان .

وَمِنَّا سَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمِنْكُمْ صَبِيَّةُ النَّارِ - وهم صبية
الأمويين .

وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ - وهي زهراء الرسول - ، وَمِنْكُمْ حَقَالَةُ
الخطب - وهي أم جميل عمة معاوية - ، فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَعَلَيْكُمْ ١ .

عرض الإمام عليه السلام في هذا المقطع إلى مآثر الأسرة النبوية ، وما خصها الله بها
من الفضائل التي جعلتهم في قمة الفضيلة ، فقد جعل منهم قادة الأنام وعمالقة
الإسلام كما جعل من خصومهم الأمويين والقرشيين أئمة الضلال ودعاة الكفر
والإلحاد .

ويستمر الإمام في رسالته :

« فَأَسْلَمُنَا قَدْ سَمِعَ ، وَجَاهِلِيَّتُنَا لَا تُنْفَعُ »^(١) ، وَكِتَابُ اللَّهِ يَجْمَعُ
لَنَا مَا شَدُّ عَنَّا ، وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ
بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾^(٢) ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ أَوْلَىٰ
النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ
الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٣) ، فَتَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَىٰ بِالْقَرَابَةِ ، وَتَارَةً أَوْلَىٰ بِالطَّاعَةِ .

وَلَمَّا اخْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الْأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيَّةِ بِرَسُولِ اللَّهِ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فَلَجُّوا عَلَيْهِمْ ، فَإِنْ يَكُنِ الْفَلَجُ بِهِ فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ ،
وَإِنْ يَكُنْ بِغَيْرِهِ فَلَا أَنْصَارَ عَلَى دَعْوَاهُمْ ... » .

(١) أراد عليه السلام أن شرف أسرته في الجاهلية لا ينكر .

(٢) الأنفال : ٧٥ .

(٣) آل عمران : ٦٨ .

عرض الإمام عليه السلام في هذا المقطع إلى سمو مكانته ، وعظيم منزلته وذلك لقربه من رسول الله ﷺ فهو ابن عمه وأبو سبطيه ، وليس لغيره من قريب أو بعيد هذه المنزلة ، ثم ذكر عليه السلام احتجاج المهاجرين على الأنصار بأنهم ألصق الناس برسول الله ﷺ وهذه الجهة التي احتجوا بها وتغلبوا على الأنصار موجودة في أهل البيت عليه السلام على النحو الأكمل فلم لا يأخذ بها المهاجرون ، ويرجعون الخلافة إلى مركزها الذي عينه الرسول ؟ ويأخذ الإمام في احتجاجه :

« وَرَعَيْتُ أَنِّي لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ ، وَعَلَى كُلِّهِمْ بَغَيْتُ ، فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَيْسَتْ الْجِنَايَةُ عَلَيْكَ ، فَيَكُونُ الْعُذْرُ إِلَيْكَ .

* وَتِلْكَ شَكَاةُ ظَاهِرُ عَنْكَ غَارُهَا *

وَقُلْتُ : إِنِّي كُنْتُ أَقَادُ كَمَا يَقَادُ الْجَمْلُ الْمَخْشُوشُ ^(١) حَتَّى أَتَابِعَ ؛ وَلَعَنَ اللَّهُ لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ ، وَأَنْ تَفْضَحَ فَاتْتَضَخْتَ ! وَمَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاظَةٍ فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُومًا مَا لَمْ يَكُنْ شَاكًا فِي دِينِهِ ، وَلَا مُرْتَابًا بِبَيْقِينِهِ ! وَهَذِهِ حُجَّتِي إِلَى غَيْرِكَ فَضْطُهَا ، وَلَكِنِّي أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ مِنْ ذِكْرِهَا .

عرض الإمام عليه السلام في هذا المقطع إلى رده على معاوية الذي اتهمه بحسده للخلفاء ، ويقصد معاوية موقف الإمام عليه السلام من بيعة أبي بكر فقد رفضها ، وتخلف عنها ، فاتخذ معه أبو بكر جميع الإجراءات الصارمة التي منها هجوم شرطته بقيادة عمر على دار الإمام ، وحمله مقادراً إلى أبي بكر ، بصورة مروعة وقد عبّره معاوية بذلك فردّ عليه الإمام بأنه لا غضاظة ولا منقصة عليه في أن يكون مظلوماً غير شاكٍ في دينه ، ولا مرتاباً ببيقينه ، ويستمر الإمام الممتحن في رسالته واحتجاجه

(١) الجمال المخشوش : هو الذي يجعل في أنفه خشبة لبقاد .

على معاوية قائلاً :

« ثُمَّ ذَكَرْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عُثْمَانَ ، فَلَمْ أَنْ تَجَابَ عَنْ هَذِهِ لِرَجِيمِكَ مِنْهُ ، فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ ، وَأَهْدَى إِلَيَّ مَقَاتِلَهُ ! أَمِنْ بَدَلٍ لَهُ نُصْرَتُهُ فَاسْتَفَعْتُهُ وَاسْتَكْفَيْتُهُ ، أَمْ مِنْ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَى عَنْهُ وَتَبَّ الْعُنُونُ إِلَيْهِ ، حَتَّى أَتَى قَدْرُهُ عَلَيْهِ .

كَلَّا وَاللَّهِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْقُوفِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ النَّبَأَ إِلَّا قَلِيلًا ۝^(١) .

وَمَا كُنْتُ لِأَعْتَدِرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ أَنْقِمُ عَلَيْهِ أَحَدَانَا ؛ فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وَهِدَايِي لَهُ ؛ قَرُبَ مَلُومٌ لَا ذَنْبَ لَهُ .

وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظُّنَّةُ الْمُتَنَصِّحُ

وَمَا أُرَدْتُ إِلَّا الْأَصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ، وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ » .

عرض الإمام عليه السلام في هذا المقطع إلى موقفه من عثمان ، وإن معاوية جدير بالإجابة ؛ لأنه من أسرته وإن كان ليس من أولياء دمه ، وأعرب الإمام أنه بريء من دم عثمان ، ولا علاقة له في ذلك ، وإنما المسؤول عن دمه معاوية فقد استنجد به عثمان ، فلم يهب لنجدته ، وكانت جيوش معاوية قريبة من يشرب فلم يسمح لها بنجدته حتى أجهز عليه ، وكان الإمام عليه السلام يأمر عثمان بالاستقامة في سياسته وسلوكه إلا أنه استجاب لآراء مروان الذي كان مسيطراً على جميع شؤونه ، فأوقعه في الفخ الذي نصبه الأمويون له ليتخذوا من مصرعه ورقة إلى تنفيذ أغراضهم ...

وعلى أي حال فقد أخذ الإمام في رسالته في الاحتجاج على معاوية قائلاً:

« وَذَكَرْتُ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلَا أَصْحَابِي عِنْدَكَ إِلَّا السِّيفُ ، فَلَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارِ^(١) أَمْتِي الْأَقْبَيْتِ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنِ الْأَعْدَاءِ نَاكِيلِينَ ، وَبِالسِّيفِ مُحَوِّفِينَ ١٢

فَلَبِثْتُ قَلِيلًا يَلْحَقُ الْهَيْجَا حَمَلُ^(٢)

فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ ، وَيَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ ، وَأَنَا مُرْقَلُ^(٣) نَحْوِكَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ ، شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ ، سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ^(٤) ، مُتَسَرِّلِينَ سَرَائِلَ الْمَوْتِ^(٥) ؛ أَحَبُّ اللَّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ ، وَقَدْ صَحِبْتَهُمْ ذُرِّيَّةً بَذَرِيَّةً ، وَسُيُوفَ هَاشِمِيَّةً ، قَدْ عَرَفْتُ مَوَاقِعَ يَصَالِهَا فِي أَخِيكَ وَخَالِكَ وَجَدِّكَ وَأَهْلِكَ وَمَا هِيَ مِنْ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ^(٦) .

عرض الإمام في هذا المقطع الأخير من رسالته إلى تهديد معاوية للإمام بالسلح والقرى العسكرية التي يملكها فردٌ عليه الإمام ساخرًا ومستهزئًا، وانه والأسرة الهاشمية لا يرهيبهم الموت ، ولا تخيفهم قوة العدو ، وانهم على استعداد

(١) الاستعبار: البكاء .

(٢) لبث قليلاً يلحق الهيجا حمل ، هو شطر من بيت قاله بدر بن قشير لما أغير على إبله في الجاهلية فاستنقذها وقال :

لبث قليلاً يلحق الهيجا حمل لا بأس بالموت اذا الموت نزل

(٣) مرقل نحوك: أي مسرع .

(٤) القتام: الغبار .

(٥) متسرلين: أي لابسين .

(٦) صبح الأعشى ١ : ٢٢٩ . نهاية الأدب ٧ : ٢٣٣ . نهج البلاغة ٢ : ٢١ .

كامل لمناهضته يصحبهم المهاجرون والأنصار والتابعون لهم باحسان وانهم جميعاً في شوق لملاقاة ربهم والشهادة في سبيله .

وكانت هذه الرسالة خاتمة الرسائل التي دارت بينه وبين معاوية ، وأعقبت بعد ذلك استعداد الفريقين للحرب ، وقد ذكرنا عرضاً لذلك في بعض أجزاء الكتاب .



مع الخوارج

وبعد ما أحرز الإمام عليه السلام النصر الحاسم على خصمه الجاهلي معاوية ويات الاستيلاء عليه قاب فوسين أو أدنى ، مُني الإمام عليه السلام بانقلاب عسكري ، فقد رفع جيش معاوية المصاحف الكريمة على الرماح ودعوا إلى المحاكمة على ضوئها فانخدع جيش الإمام بذلك وأصروا على الاستجابة لهم ، وكان بعض أفراد القيادة العامة في معسكر الإمام على اتصال بمعاوية واتفق معه على ذلك ، ووقعت الفتنة في جيش الإمام ، ورفعت الأصوات بضرورة إيقاف القتال ، وإلا نأجزوا الإمام وقتلوه .

وكان على رأس الفائلين بالتحكيم المنافق الأشعث بن قيس ، ومن يتصل به من عملاء معاوية ، فراحوا يجربون في معسكر الإمام وينادون بضرورة التحكيم .

احتجاج الإمام عليهم :

واندفع الإمام عليه السلام لإبطال مزاعم معاوية واتباعه قائلاً لأصحابه :

« وَنَحْكُمُ أَنَا أَوَّلُ مَنْ دَعَا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ، وَأَوَّلُ مَنْ أَجَابَ إِلَيْهِ ، وَلَيْسَ يَجِلُّ لِي وَلَا يَسْغُنِي فِي دِينِي أَنْ أَدْعِيَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ فَلَا أَقْبَلُهُ ، إِنِّي إِنَّمَا أَقَاتِلُهُمْ لِيَدِينُوا بِحُكْمِ الْقُرْآنِ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ عَصَوْا اللَّهَ فِيمَا أَمَرَهُمْ ، وَنَقَضُوا عَهْدَهُ وَتَبَذُّوا كِتَابَهُ ، وَلَكِنِّي قَدْ أَغْلَفْتُكُمْ أَنْتُمْ قَدْ كَادُوكُمْ ، وَأَنْتُمْ لَيْسُوا

الْفَعْلَ بِالْقُرْآنِ يُرِيدُونَ...»^(١).

لقد أوضح الإمام لجيشه زيف مادعوا إليه ، وانه انما قاتل معاوية من أجل العمل بالقرآن ، وتطبيق أحكامه ، وانهم انما رفعوا المصاحف للكيد بهم وتضليلهم ، وليس لهم أية صلة بالقرآن ، ولا يدنون بما فيه .

مناظرة الإمام معهم :

وبعد ما أرغم على قبول التحكيم ، وعلى انتخاب أبي موسى الأشعري ممثلاً عن العراقيين ، وعزله للإمام ، انحاز الخوارج وهم ينادون بشعارهم « لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ » فبعث الإمام إليهم عبد الله بن عباس فحاججهم وابطل شبههم ، فلم تغن حججه ومنطقه الفياض معهم شيئاً .

فانبرى إليهم الإمام عليه السلام فقال لهم :

« هَذَا مَقَامٌ مَنْ قَلَجَ فِيهِ كَانَ أَوَّلَى بِالْقَلَجِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ نَطَفَ فِيهِ أَوْ غَنَتَ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا » .

ثم قال لهم :

« مَنْ رَعَيْتُكُمْ ؟ » .

فهنفوا جميعاً : ابن الكواء .

فوجه إليه كلامه وشاركهم فيه قائلاً :

« مَا أَخْرَجَكُمْ عَلَيْنَا ؟ » .

حكومتكم يوم صفين .

« نَشَدْتُمْ بِاللَّهِ أَتَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ حِينَ رَفَعُوا الْمَصَاحِفَ ، فَقُلْتُمْ : نُحْيِيهِمْ

إِلَى كِتَابِ اللَّهِ، قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي أَغْلَمُ بِالْقَوْمِ مِنْكُمْ، إِنَّهُمْ لَيَسُوا بِأَصْحَابِ دِينٍ وَلَا قُرَانٍ، إِنِّي صَجَبْتُهُمْ، وَعَرَفْتُهُمْ أَطْفَالًا وَرِجَالًا، فَكَانُوا شَرَّ رِجَالٍ وَشَرَّ أَطْفَالٍ، امْضُوا عَلَى حَقِّكُمْ وَصِدْقِكُمْ إِنَّمَا رَفَعَ الْقَوْمُ لَكُمْ هَذِهِ الْمَصَاحِفَ حَدِيثَةً وَوَهْنًا وَمَكِيدَةً، فَرَدَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي.

وَقُلْتُمْ: لَا، بَلْ نَقْبِلُ مِنْهُمْ، فَقُلْتُ لَكُمْ: اذْكُرُوا قَوْلِي لَكُمْ وَمَنْعِيصَتَكُمْ إِنِّي، فَلَمَّا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْكِتَابَ اشْتَرَطْتُ عَلَى الْحَاكِمَيْنِ أَنْ يُخَيِّبَا مَا أَحْيَاهُ الْقُرْآنُ وَأَنْ يُؤَيِّتَا مَا أَمَاتَهُ الْقُرْآنُ، فَإِنْ حَكَمَا بِحُكْمِ الْقُرْآنِ، فَلَيْسَ لَنَا أَنْ نُخَالِفَ حُكْمَ مَنْ حَكَمَ بِمَا فِي الْكِتَابِ، وَإِنْ أَبَيَا فَتُخَنُّ مِنْ حُكْمِهِمَا بَرَاءٌ»^(١).

وقد دحضت هذه المحاجة أوهام الخوارج، وأظهرت زيف ما يذهبون إليه، وهم يتحملون المسؤولية الكبرى فيما آلت إليه أمور المسلمين، فهم الذين أرغموا الإمام على قبول التحكيم، وهم الذين فرضوا عليه أبا موسى الأشعري ممثلاً عنهم في التحكيم فأبي مسؤولية بعد هذا تقع على الإمام عليه السلام؟

مناظرة أخرى للإمام معهم:

وبعد أن فشلت جميع الوسائل التي اتخذها الإمام لإقناع الخوارج فقد أشاعوا الفساد والتمرد والرعب بين المسلمين، فلم يجد الإمام عليه السلام طريقاً لإعادة الأمن والاستقرار إلا بفتح باب الحرب معهم، وقد وجه إليهم خطاباً مشفوعاً بالنصح والإرشاد لهم قائلاً:

«أَيُّهَا الْعِصَابَةُ! إِنِّي نَذِيرُ لَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا تَلْفَنُكُمْ الْأُمَّةُ غَدًا، وَأَنْتُمْ

صَرَعُوا بِإِزَاءِ هَذَا النَّهْرِ بِغَيْرِ بُرْهَانٍ وَلَا سُنَّةٍ، أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنِّي نَهَيْتُكُمْ عَنِ
الْحُكُومَةِ، وَأَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ طَلَبَ الْقَوْمِ لَهَا مَكِيدَةٌ، وَأَنْبَأْتُكُمْ أَنَّ الْقَوْمَ
لَيَسُوا بِأَصْحَابِ دِينٍ وَلَا قُرَآنٍ، وَأَنِّي أَغْرَفُ بِهِمْ مِنْكُمْ، وَقَدْ عَرَفْتُهُمْ
أَطْفَالًا، وَعَرَفْتُهُمْ رِجَالًا، فَهُمْ شُرُ رِجَالٍ وَشُرُ أَطْفَالٍ، وَهُمْ أَهْلُ الْمَكْرِ
وَالْفَنَرِ، وَأَنْتُمْ إِنْ فَارَقْتُمُونِي وَرَأَيْي جَانِبْتُمْ الْغَيْرَ وَالْحَرَمَ، فَعَصَيْتُمُونِي
وَأَكْرَهْتُمُونِي حَتَّى حَكَمْتُ، فَلَمَّا أَنْ فَعَلْتُ شَرْطُتُ وَاسْتَوْثَقْتُ،
وَأَخَذْتُ عَلَى الْحَكَمَيْنِ أَنْ يُخَيِّبَا مَا أَخْيَا الْقُرْآنُ، وَأَنْ يُحَيِّبَا مَا أَمَاتَ
الْقُرْآنُ، فَاخْتَلَفَا، وَخَالَفَا حُكْمَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَعَمِلَا بِالْهَوَى، فَتَبَدَّنَا
أَمْرَهُمْ، وَنَحْنُ عَلَى أَمْرِنَا الْأَوَّلِ، فَمَا نَبُوكُمْ وَمِنْ أَيْنَ أَتَيْتُمْ...».

وحكى هذا الاحتجاج إكراه الخوارج للإمام على التحكيم، وانه رفضه
ولكنهم أصرُّوا عليه، وان الإمام ﷺ لم يوافق عليه إلا بعد أن اشترط على الحكمين
أن يحكما بما وافق الكتاب والسنة، ولما لم يحكما بذلك كان حكمهما مرفوضاً إلا
أن الخوارج لم يعوا كلام الإمام فردوا عليه قائلين :

إِنَّا حَيْثُ حَكَمْنَا الرَّجُلَيْنِ أَخْطَأْنَا بِذَلِكَ، وَكُنَّا كَافِرِينَ، وَقَدْ تَبْنَا مِنْ ذَلِكَ، فَإِنْ
شَهِدْتَ عَلَى نَفْسِكَ بِالْكَفْرِ وَتَبْتَ كَمَا تَبْنَا فَنَحْنُ مَعَكَ وَالْأَفَاعِزُ لَنَا، وَإِنْ أَبَيْتَ فَنَحْنُ
مُنَابِذُونَكَ عَلَى سِوَاءٍ.

فأنكر الإمام مقاتلتهم وقال :

« أَبْعَدُ إِيمَانِي بِاللَّهِ، وَهَجْرَتِي وَجِهَادِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَبَوَاءُ
وَأَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكَفْرِ؟ لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ.

وَيَحْكُمُ ! بِمِ اسْتَخْلَلْتُمْ قِتَالَنَا، وَالْخُرُوجُ مِنْ جَمَاعَتِنَا؟ أَلِنْ
اخْتَارَ النَّاسَ رَجُلَيْنِ، فَقَالُوا لَهُمَا: انْظُرَا بِالْحَقِّ فِيمَا يُضْلِعُ الْعَامَّةَ

لِيُغْزَلَ رَجُلٌ وَيُوضَعَ آخَرُ مَكَانَهُ، أَحَلَّ لَكُمْ أَنْ تَضَعُوا سِيُوفَكُمْ عَلَى
عَوَاتِقِكُمْ، تَضْرِبُونَ بِهَا هَامَاتِ النَّاسِ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَهُمْ؟! إِنَّ هَذَا
لَهُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ»^(١).

ولم تجد معهم هذه الحجج الناصعة التي أقامها الإمام عليهم فقد أصروا على
الغبي والعدوان، وقد اترعت نفوسهم بالجهل والغباء، فشهبوا سيوفهم، فقاتلهم
أصحاب الإمام، فقتلوا عن آخرهم ولم يفلت منهم إلا تسعة^(٢)، وقد أوضحنا ذلك
في بعض أجزاء هذا الكتاب، وبهذا تطوي الحديث عن احتجاج الإمام ومناظراته
مع المتمردين على حكومته.

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٥٥.

(٢) الملل والنحل ١: ١٥٩.

مِنْ أَظْهَرِهَا
مَعَ النَّصَّارَى



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لَمَّا انتشر الإسلام في أنحاء الجزيرة ، وعمّت فتوحاته الكثير من مناطق الشرق العربي خفّت جمهرة من علماء النصارى في وفود متعددة إلى يثرب للتعرف على الدين الإسلامي ، ومعرفة خليفة الرسول ﷺ ، ومعهم كوكبة من المسائل المعقّدة التي يشبه بعضها الألفاظ أعدوها لامتحانها ، فان اهتدى لحلها آمنوا بالإسلام ولأبقوا على دينهم ، فقد اعتقدوا أنّ أوصياء الأنبياء قد وهبهم الله طاقات من العلم لا تصعب عليهم أية مسألة مهما كانت معقّدة .

وقد عرضت تلك الوفود مسائلهم على الخلفاء فلم يهتدوا للجواب عنها ، وفزع بعض الصحابة إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأحاطه علماً بالأمر فسارع الإمام إلى الجامع والتقى بهم ، وأجابهم عن مسائلهم ، فأمنوا بالإسلام ، واهتدوا لاعتناقه وايقنوا أنّ الإمام عليه السلام خليفة النبي ﷺ وولي عهده .

ونعرض إلى طائفة من تلك المسائل التي سئل الخلفاء عنها ، وعجزوا عن حلها وأجاب عنها الإمام عليه السلام :



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

أَسْئَلَةُ الْجَاثِلِيقِ

وفد إلى المدينة جماعة من النصارى يتقدمهم الجاثليق وهو من علمائهم النابيين . وكان قدومهم بعد وفاة النبي ﷺ وتقلد أبي بكر للخلافة ، فقال له الجاثليق : إنا وجدنا في الإنجيل رسولا يخرج بعد عيسى ، وقد بلغنا خروج محمد بن عبد الله . يذكر أنه ذلك الرسول ، ففزعنا إلى ملكنا ، فجمع وجوه قومنا ، وانفذنا - أي الملك - في التماس الحق ... وقد فاتنا نبيكم محمد ، وفيما قرأناه من كتبنا أن الأنبياء لا يخرجون إلا بعد إقامة أوصياء لهم يخلفونهم في أمهم يقتبس منهم الضياء فيما أشكل ، فانت أيها الأمير وصيه لنسألك عما نحتاج إليه ؟

فاتبرى عمر ، فقال له : هذا - وأشار إلى أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ ... فاتجه صوبه .

الجاثليق : خبرنا عن فضلكم علينا في الدين ، فإننا جئنا نسأل عن ذلك .
أبو بكر : نحن مؤمنون وأنتم كفار ، والمؤمن خير من الكافر ، والإيمان خير من الكفر .

الجاثليق : هذه دعوى تحتاج إلى حجة ، خبرني أنت مؤمن عند الله أم عند نفسك ؟
أبو بكر : أنا مؤمن عند نفسي ، ولا علم لي بما عند الله .

الجاثليق : فهل أنا كافر عندك على مثل ما أنت مؤمن ، أم أنا كافر عند الله ؟
أبو بكر : أنت عندي كافر ، ولا علم لي بحالك عند الله .

الجاثليق : ما أراك إلا شاكاً في نفسك وفي ... أخبرني ألك عند الله منزلة في الجنة بما أنت عليه من الدين تعرفها ؟

أبو بكر : لي منزلة في الجنة أعرفها بالوعد ، ولا أعلم هل أصل إليها أم لا .
الجاثليق : ترجو لي منزلة في الجنة ؟
أبو بكر : أرجو لك .

الجاثليق : ما أراك إلا راجياً لي وخائفاً على نفسك ... أخبرني هل احتويت على جميع علم النبي إليك ؟

أبو بكر : لا ، ولكن أعلم ما أفضى لي علمه .
الجاثليق : كيف صرت خليفة للنبي وأنت لا تحيط علماً بما تحتاج إليه أمته من علمه ؟

وثقل الجاثليق على عمر ، فقد رأى منه تعدياً على أبي بكر فصاح به .
وسارع سلمان إلى الإمام وأحاطه علماً بالأمر ، فجاء إلى الجامع والتفت إلى الجاثليق ، وقال له :

« سَلِّ يَا نَضْرَانِي قَوْلَ الَّذِي خَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ التُّسَمَةَ لَا تَسْأَلْنِي عَمَّا مَضَى وَعَمَّا يَكُونُ إِلَّا أَخْبَرْتُكَ بِهِ عَنْ نَبِيِّ الْهُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ » .

الجاثليق : أخبرني أمؤمن عند الله أم عند نفسك ؟
أنا مؤمن عند الله كما أنا مؤمن في عقيدتي .

الجاثليق : هذا كلام من يثق بدينه ، أخبرني عن منزلتك في الجنة ما هي ؟
منزلتي مع النبي الأمي في الفردوس الأعلى ، لا أرتاب في ذلك ولا أشك في الوعد به من ربي .

الجاثليق : بماذا عرفت الوعد لك بالمنزلة التي ذكرتها ؟

بِالْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ ، وَصِدْقِ النَّبِيِّ الْمُرْسَلِ .

الجائليق : بما علمت صدق نبيك ؟

بِآيَاتِ الْبَاهِرَاتِ ، وَالْمُعْجَزَاتِ الْبَيِّنَاتِ .

الجائليق : هذا طريق الحجّة لمن أراد الاحتجاج ، اخبرني عن الله تعالى أين هو اليوم ؟

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَجِلُّ عَنِ الْآثِنِ ، وَيَتَعَالَى عَنِ الْمَكَانِ ، كَانَ فِيمَا لَمْ يَزَلْ ، وَلَا مَكَانَ وَهُوَ الْيَوْمَ عَلَى ذَلِكَ ، لَمْ يَتَغَيَّرْ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ .

الجائليق : أحسنت أيها العالم وأوجزت في الجواب ، أخبرني عن الله تعالى أمدرك بالحواس عندك ، فيسلّك المسترشد في طلبه استعمال الحواس ؟ أم كيف طريق المعرفة به إن لم يكن الأمر كذلك ؟

تَعَالَى الْمَلِكُ الْغَبَارُ أَنْ يُوصَفَ بِمُقَدَّارٍ أَوْ تَذَرِكُهُ الْخَوَاسُ ، أَوْ يُقَاسَ بِالنَّاسِ ، وَالطَّرِيقُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ صَنَائِعُهُ الْبَاهِرَةُ لِلْعُقُولِ الدَّالَّةِ ذَوِي الْأَعْيَانِ بِمَا هُوَ مِنْهَا مَشْهُودٌ وَمَعْقُولٌ .

الجائليق : صدقت هذا والله هو الحق الذي ضلّ عنه التائهون في الجهالات ، اخبرني عما قاله نبيكم في المسيح ، وانه مخلوق من أين أثبت له الخلق ، ونفي عنه الإلهية ؟

أُثْبِتَ لَهُ الْخَلْقُ بِالتَّقْدِيرِ الَّذِي لَزِمَهُ ، وَالتَّصْوِيرِ وَالتَّغْيِيرِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ ، وَالزِّيَادَةِ الَّتِي لَمْ يَتَغَيَّرْ عَنْهَا وَالتَّقْصَانِ ، وَلَمْ أَنْفِ عَنْهُ التَّيْبُوتُ ، وَلَا أَخْرَجْتُهُ مِنَ الْغُصْمَةِ وَالْكَمَالِ ، وَقَدْ جَاءَنَا عَنِ اللَّهِ تَعَالَى بِأَنَّهُ مِثْلُ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ .

وجرت بعد ذلك احتجاجات بين الجائليق والإمام ، فبهر الجائليق من علوم

الإمام ، وأعلن إسلامه قائلاً : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ﷺ وأنت وصي رسول الله ، وأحق بمقامه ، وأسلم الوفد الذي كان معه .

وانبرى عمر قال للجاثليق : الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا نبتغيه ، وأعلم أن علم النبوة في بيت صاحب النبوة ، والأمر بعده لمن خاطبت أولاً برضى الأئمة واصطلاحها عليه ، وتخبر صاحبك - أي الملك - بذلك وتدعوه إلى طاعة الخليفة .

فقال الجاثليق : عرفت أيها الرجل ، وأنا على يقين من أمري فيما أسررت وأعلنت^(١) .

وتمثلت روعة الاستدلال وقوة الحجة في مناظرة الإمام مع الجاثليق فقد استوعبت نفسه إعجاباً بمواهب الإمام وعبقرياته الأمر الذي دعاه إلى اعتناق الإسلام .

(١) أمالي الطوسي : ١٣٧ . بحار الأنوار ١٠ : ٥٤ - ٥٦ . الفدير ٧ : ١٧٩ - ١٨١ ، رويت بأسلوب آخر لا يتفق مع ما ذكره الطوسي والمجلسي .

أُسئلة راهب

وفد إلى يثرب جمع من النصارى من الروم يتقدمهم راهب لمعرفة الخليفة من بعد النبي ﷺ ، فدخلوا الجامع النبوي وفيه أبو بكر وقد احتفَّ به المهاجرون والأنصار ، فتقدم إليه الراهب ودار بينهما الحديث التالي بتصرف :

الراهب : أيها الشيخ ما اسمك ؟

أبو بكر : عتيق .

الراهب : هل هناك اسم آخر ؟

أبو بكر : الصديق .

الراهب : هل هناك اسم آخر ؟

أبو بكر : لا .

الراهب : لست بصاحبي .

أبو بكر : ما حاجتك ؟

الراهب : أنا من بلاد الروم جئت منها ببختي موقراً ذهباً لأسأل أمين هذه الأمة عن مسألة إن أجابني عنها أسلمت ، وفرقت عليكم هذا المال ، وإن عجز رجعت إلى بلدي ومعى المال ، ولا أسلم .

أبو بكر : سل عما بدا لك .

الراهب : والله لا أفتح الكلام حتى تؤمني من سطوتك وسطوة أصحابك .

أبو بكر : أنت آمن ، وليس عليك بأس قل ماشئت .

الراهب : أخبرني عن شيء ليس لله ، ولا من عند الله ، ولا يعلمه الله ؟

أبو بكر لم يهتد للجواب .

ووجه الراهب سؤاله إلى الصحابة فلم يهتدوا لحله ، فانبرى سلمان الفارسي إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأخبره بالأمر فأسرع إلى الجامع ومعه السبطان الحسن والحسين عليه السلام ، فقال أبو بكر للراهب : سل علياً فإنه صاحبك ، فتوجه الراهب صوب الإمام ، وعرض عليه ما يلي :

الراهب : ما اسمك يا فتى ؟

إسمي عند اليهود إيليا ، وعند النصارى إيليا ، وعند الدي علي ،
وعند أمي حننرة .

الراهب : ما محلّك من نبيكم ؟

أخي وصهري وابن عمي .

الراهب : أنت صاحبي ورب عيسى ! أخبرني عن شيء ليس لله ، ولا من عند الله ، ولا يعلمه الله ؟

أما قولك : ما ليس لله ، فإن الله تعالى ليس له صاحبة ولا ولد .

وأما قولك : ولا من عند الله فليس من عند الله ظلم لأحد .

وأما قولك : لا يعلمه الله فإن الله لا يعلم له شريكاً في الملك .

أعلن الراهب إسلامه ، وقام فقبل الإمام وقال له : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأشهد أنك أنت الخليفة ، وأمين هذه الأمة ، ومعدن الدين

والحكمة ، وقدّم للإمام عليه السلام مامعه من أموال ، فلم يبرح الإمام من مكانه حتى أنفق المال بأجمعه على الفقراء ، وانصرف الراهب ، مع قومه وقد أعلنوا إسلامهم^(١) .

لقد وقف الراهب على الحقيقة ، وتبين الواقع الرسالي ، فأمن بالإمام عليه السلام وصياً للرسول الأعظم ، وخليفة له .



مع الأسقف

وفد أسقف نجران على عمر بن الخطاب ليؤدي الجزية ، فدعاه عمر إلى الإسلام ، فأطرق الأسقف إلى الأرض لا يردّ جواباً ، ودخل الإمام ﷺ على القوم فاستقبل بحفاوة بالغة ، والتفت الإمام إلى الأسقف ، وتبادل معه المناظرة التالية :

الأسقف: أنتم تقولون : إنّ الجنّة عرضها السماوات والأرض ، فأين تكون النار ؟

إذا جاء الليلُ أينَ يكونُ النهارُ ؟

وبهر الأسقف من علم الإمام ، والتفت إليه يطلب منه الإذن بأن يسأل عمر بن الخطاب ، فأذن له الإمام فقال له :

أنبئني يا عمر عن أرض طلعت عليها الشمس ساعة ولم تطلع مرة أخرى ؟ فعجز عمر عن الجواب وطلب من الإمام أن يجيبه .

هِيَ أَرْضُ الْبَحْرِ الَّذِي فَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِمُوسَى حَتَّى عَبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ ، فَوَقَعَتْ عَلَيْهَا الشَّمْسُ بِلَا سَاعَةٍ ، وَلَمْ تَطْلُعْ عَلَيْهَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ ، وَانْطَبَقَ الْبَحْرُ عَلَى فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ .

الأسقف: صدقت ، أخبرني عن شيء هو في أهل الدنيا تأخذ الناس منه مهما أخذوا فلا ينقص بل يزداد ؟

هُوَ الْقُرْآنُ وَالْعُلُومُ .

الأسقف : صدقت ، اخبرني عن أول رسول أرسله الله تعالى لا من الجن ولا من الإنس ؟

ذَلِكَ الْغُرَابُ الَّذِي بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَمَّا قَتَلَ قَابِيلُ أَخَاهُ هَابِيلَ ، فَبَقِيَ مَتَحَيِّراً لَا يَعْلَمُ مَا يَصْنَعُ بِهِ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ بَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَنْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوَاءَ أَخِيهِ .

الأسقف : صدقت ، بقيت لي مسألة واحدة أريد أن يخبرني عنها عمر وهي : أين الله ؟

فغضب عمر ، فقال له الإمام :

لَا تَغْضَبْ يَا أَبَا خَفْصٍ حَتَّى لَا يَقُولَ إِنَّكَ قَدْ عَجَزْتَ .

وطلب عمر من الإمام أن يجيبه .

كُنْتُ يَوْمًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ، أَيْنَ كُنْتَ ؟ قَالَ : عِنْدَ رَبِّي فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ .

ثُمَّ أَقْبَلَ مَلَكٌ آخَرُ فَقَالَ لَهُ : أَيْنَ كُنْتَ ؟ فَقَالَ : عِنْدَ رَبِّي فِي مَطْلِعِ الشَّمْسِ ، ثُمَّ جَاءَ مَلَكٌ آخَرُ فَقَالَ لَهُ : أَيْنَ كُنْتَ ؟ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ رَبِّي فِي مَغْرِبِ الشَّمْسِ ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَخْلُقُ مِنْهُ مَكَانٌ ، وَلَا هُوَ فِي شَيْءٍ ، وَلَا عَلَى شَيْءٍ ، وَلَا مِنْ شَيْءٍ ، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ، لَا يَغْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ، وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ ، يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِعُهُمْ ، وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ

سَادِسُهُمْ، وَلَا أَذْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا .

لم يملك الأسقف اعجابه بمواهب الإمام ، فقد علم أنه باب مدينة علم النبي ﷺ ، وراح يعلن اسلامه قائلاً :

أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنّ محمداً رسول الله ، وأنت خليفة الله في أرضه ، ووحي رسوله ^(١) .

وحكت هذه المناظرة مدى سعة علوم الإمام عليه السلام واحاطته النامة بواقع التوحيد ، وانه لا يضارعه أحد في فضله وسعة علومه .

مع قيصر ملك الروم

يقول الرواة : حدثت مشادة بين الحارث بن سنان الأزدي وبين رجل من الأنصار ، فزفّع أمرهما إلى عمر ، فلم ينتصف للحارث فارتدّ عن الإسلام ، ولحق بقيصر ، وكان الحارث قد نسي ماتعلّمه من القرآن الكريم سوى قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ^(١) وسمع قيصر هذه الآية فقال : سأكتب إلى ملك العرب بمسائل فإن أجابني عنها أطلقت ما عندي من الأسارى ، وإن لم يجني عنها عمدت إلى الأسارى فعرضت عليهم النصرانية ، فمن قبلها منهم استعبدته ، ومن أبى قتلته ، وكتب إلى عمر بمسائل كان منها :

١ - تفسير سورة الفاتحة .

٢ - الماء الذي ليس من الأرض ، ولا من السماء ؟

٣ - عما يتنفس ولا روح فيه ؟

٤ - عصا موسى مم كانت ، وما اسمها ، وما طولها ؟

٥ - جارية بكر لأخوين في الدنيا وفي الآخرة لواحد ؟

ولمّا عرضت هذه المسائل على عمر لم يهنئ لحلها ، فزفّع إلى الإمام عليه السلام فعرضها عليه .

جواب الإمام :

وكتب الإمام جواب هذه المسائل : وهذا نص ما كتبه بعد البسملة :

« مِنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صِهْرٍ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَوَارِثٍ عَلَيْهِ ، وَأَقْرَبِ الْخَلْقِ إِلَيْهِ ، وَوَزِيرِهِ ، وَمَنْ حَقَّتْ لَهُ الْوِلَايَةُ وَأَمِرِ الْخَلْقِ مِنْ أَعْدَائِهِ بِالْبَرَاءَةِ ، قُرَّةَ عَيْنِ رَسُولِ اللَّهِ ، وَزَوْجِ ابْنَتِهِ ، وَأَبِي وَلَدِهِ إِلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ .

أَمَّا بَعْدُ : فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمِ الْخَفِيَّاتِ ، وَمُنْزِلِ الْبَرَكَاتِ ، مِنْ يَهْدِي اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَرَدَّ كِتَابَكَ وَأَقْرَأَنِيهِ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ .

فَأَمَّا سُؤْالُكَ عَنِ اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ اسْمٌ فِيهِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ ، وَعَوْنٌ عَنْ كُلِّ دَوَاءٍ .

وَأَمَّا الرَّحْمَنُ فَهُوَ غَوْنٌ لِكُلِّ مَنْ آمَنَ بِهِ ، وَهُوَ اسْمٌ لَمْ يُسَمَّ بِهِ غَيْرُ اللَّهِ الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى .

وَأَمَّا الرَّحِيمُ فَرَحِمٌ مَنْ عَصَى وَتَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً .

وَأَمَّا ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ فَذَلِكَ ثَنَاءٌ عَلَى رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِمَا أَنْعَمَ عَلَيْنَا .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ فَإِنَّهُ يَمْلِكُ نَوَاصِي الْخَلْقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا شَاكاً أَوْ جَبَّاراً أَدْخَلَهُ النَّارَ ، وَلَا يَخْتَلِعُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ شَاكٌ وَلَا جَبَّارٌ ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا طَائِعاً مُدِيعاً مُحَافِظاً أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ إِنَّا نَعْبُدُكَ وَإِنَّا نَسْتَعِينُكَ ﴾ فَإِنَّا نَسْتَعِينُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ

النَّخْلَةَ فِي الدُّنْيَا هِيَ لِلْمُؤْمِنِ مِثْلِي وَلِلْكَافِرِ مِثْلُكَ ، وَنَحْنُ مِنْ وَلَدِ آدَمَ عَلَيْهِ
وَفِي الْآخِرَةِ لِلْمُسْلِمِ دُونَ الْكَافِرِ الْمُشْرِكِ ، وَهِيَ فِي الْجَنَّةِ وَلَيْسَ فِي
النَّارِ ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ، ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ ﴾ ^(١) .

ثم طوى الكتاب ، وأنفذه إلى قيصر ، فلما قرأه أعجب به ، وعمد إلى الأسرى
فأطلقهم وأسلم ، ودعا أهل مملكته إلى الإسلام فثارت عليه النصارى وهموا بقتله ،
فاعتذر منهم بأنه إنما أعلن إسلامه لاختبارهم فكفوا عنه ، وبقي كاتماً إسلامه حتى
مات ^(٢) .

وانتهت هذه المناظرة وهي قبس من جهاد الإمام عليه السلام فقد نافع عنه في جميع
المواقف بسيفه وعلمه وبهذا ينتهى بنا الحديث عن بعض مناظراته مع النصارى .

(١) الرحمن : ٦٨ .

(٢) بحار الأنوار : ١٠ : ٦٠ - ٦٢ . ارشاد القلوب : ٢ : ١٧٥ .

مِنْ أَظْهَرَتْهَا
مَعَ الْيَهُودِ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

ناظر بعض علماء اليهود ، وأعمدتهم الروحية ، الإمام عليه السلام ، فقد سأله عن أعقد المسائل ، وأكثرها غموضاً ، وأشبهها بالألغاز ، وذلك لامتحانه واكتشاف الواقع الرسالي المائل فيه ، وقد أجابهم الإمام عنها جواب العالم الخبير ، فلم يبق أي جانب من مسائلهم إلا أجاب عنه بدقة وشمول وقد بهروا بسعة علومه ، وإحاطته الكاملة بأديانهم وبالكتب السماوية ، وقد اعتنق بعضهم الإسلام لما رأوه من سعة علوم الإمام ، ونعرض - فيما يلي - لبعض تلك المناظرات .



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

مع عالم يهودي

لَمَّا تَقَلَّدَ عمر الخلافة بعد أبي بكر وفد عالم يهودي على عمر، وقد احتفَّ به جماعة من الصحابة كان من بينهم الإمام عليه السلام، فقال اليهودي لعمر: إني رجل من اليهود وأنا علامتهم، قد أردت أن أسألك عن مسائل إن أخبرني بها أسلمت، فقال عمر: وما هي؟ قال ثلاث، وثلاث، وواحدة، وإن كان في القوم أحد أعلم منك فأرشدني، فأشار إلى الإمام عليه السلام، فاتجه صوبه، فقال له الإمام: قُلْتَ: ثَلَاثًا، وَثَلَاثًا، وَوَاحِدَةً أَلَا قُلْتَ: سَبْعًا؟...^(١).

اليهودي: أسألك عن ثلاث، فإن أصبت فيهن أسألك عن الواحدة، وإن أخطأت في الثلاث الأولى، لم أسألك عن شيء...

ما يندريك إذا سألتني فأجبتك أخطأت أم أصبت؟

فاستخرج اليهودي كتاباً عتيقاً، وقال: هذا كتاب ورثته عن آبائي وأجدادي بإملاء موسى وخط هارون، وفيه هذه الخصال التي أريد أن أسألك عنها.

بِاللَّهِ عَلَيْكَ إِنْ أَجَبْتُكَ عَنْهَا بِالصَّوَابِ تُسَلِّمُ؟

اليهودي: لئن أجبتني منها بالصواب لأسلمن الساعة على يدك^(٢).

(١) الاحتجاج ١: ٢٢٦.

(٢) الفدير ٦: ٢٦٨.

سَلُّ.

اليهودي: اخبرني عن أوّل حجر وضع على وجه الأرض ؟ وأوّل عين نبعت ، وأوّل شجرة نبتت .

أَنْتُمْ تَقُولُونَ : أوّل حَجَرٍ وُضِعَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ الْحَجَرُ الَّذِي فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَكَذَبْتُمْ ، هُوَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ الَّذِي نَزَلَ مَعَ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ .

اليهودي: صدقت والله إنه بخط هارون وإملاء موسى .

أَمَّا الْعَيْنُ فَأَنْتُمْ تَقُولُونَ : إِنَّ أوّلَ عَيْنٍ نَبَعَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ الْعَيْنُ الَّتِي بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ ، كَذَبْتُمْ ، هِيَ عَيْنُ الْحَيَاةِ الَّتِي غَسَلَ فِيهَا الثُّونَ مُوسَى ، وَهِيَ الْعَيْنُ الَّتِي شَرِبَ مِنْهَا الْخَضِرُ .

اليهودي: صدقت والله إنه بخط هارون وإملاء موسى .

وَأَمَّا الشَّجَرَةُ فَأَنْتُمْ تَقُولُونَ : إِنَّ أوّلَ شَجَرَةٍ نَبَتَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ الزَّيْتُونُ وَكَذَبْتُمْ ، وَهِيَ « الْعَجْوَةُ » نَزَلَ بِهَا آدَمُ ﷺ مِنَ الْجَنَّةِ .

اليهودي: صدقت والله أنه بخط هارون وإملاء موسى .

اليهودي: وأما الثلاث الأخرى ، كم لهذه الأئمة من إمام هُدى لا يضرهم من خذلهم ؟

إِنَّا عَشَرُ إِمَامٍ .

اليهودي: صدقت .

اليهودي: أين يسكن نبيكم من الجنة ؟

يَسْكُنُ أَغْلَاهَا دَرَجَةً ، وَأَشْرَقَهَا مَكَاناً فِي جَنَّاتٍ عَذْيٍ .

اليهودي: صدقت والله انه بخط هارون وإملاء موسى .

اليهودي: فمن ينزل معه في منزله ؟

يَنْزِلُ مَعَهُ اثْنَا عَشَرَ إِمَامًا .

اليهودي: صدقت .

اليهودي: كم يعيش وصيّه - أي وصي النبي ﷺ - بعده ؟

ثَلَاثِينَ سَنَةً .

اليهودي: يموت أو يقتل ؟

يُضْرَبُ عَلَى قَرْيَةٍ فَتُخَضَّبُ لِخَيْتِهِ .

اليهودي: صدقت والله انه بخط هارون واملاء موسى ، ثم اعتنق اليهودي

الإسلام^(١) .

وحكت هذه المناظرة تصدي الإمام ﷺ لنشر الإسلام ، واشاعة قيمه بين

الناس ، وانه ليس هناك أحدٌ يملك ما يملكه الإمام ﷺ من الطاقات العلمية .

مع اليهود

وفد جماعة من اليهود على عمر بن الخطاب في أيام خلافته ، فقالوا له : أنت والي هذا الأمر بعد نبيكم ؟ وأتيناك نسألك عن أشياء إن أخبرتنا بها آمنا وصدّقناك ، فقال عمر : سلوا عمّا بدا لكم .

اليهود : أخبرنا عن أقفال السموات السبع ، ومفاتيحها ، وأخبرنا عن قبر سار بصاحبه ، وأخبرنا عمن أنذر قومه ليس من الجن ولا من الإنس ، وأخبرنا عن موضع طلعت فيه الشمس ولم تعد إليه ، وأخبرنا عن خمسة لم يخلقوا في الأرحام ، وعن واحد وعن اثنين وثلاثة وأربعة وخمسة وستة وسبعة وثمانية وتسعة وعشرة وحادي عشر واثني عشر ؟

وأطرق عمر برأسه ولم يهتد للجواب ، واعتذر أنّ هذه المسائل لا يعلم بها إلا الله ، ولكن يجيبكم عنها ابن عمّ رسول الله ﷺ فأرسل خلفه فلما حضر قال له عمر : يا أبا الحسن إنّ اليهود سألوني عن أشياء لم أجيبهم عنها ، وقد ضمنوا إن أخبرتهم أن يؤمنوا بالنبي ﷺ فعرض اليهود عليه مسائلهم وهي :

اليهود : ما أقفال السماوات ؟

الشُّرْكُ بِاللَّهِ .

اليهود : ما مفاتيحها ؟

قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

اليهود : ما القبر الذي سار بصاحبه ؟

الْحُوتُ الَّذِي سَارَ بِيُونُسَ فِي بَطْنِهِ الْبِحَارَ السَّبْعَةَ .

اليهود : ما الذي أنذر قومه لا من الجن ولا من الإنس ؟

تِلْكَ نَفْلَةُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ .

اليهود : ما الموضع الذي طلعت الشمس ولم تعد إليه ؟

ذَلِكَ الْبَحْرُ الَّذِي أَنْجَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ مُوسَى وَأَغْرَقَ فِرْعَوْنَ .

اليهود : ما الخمسة الذين لم يخلقوا في الأرحام ؟

آدَمُ وَحَوَّاءُ وَعَصَا مُوسَى وَنَاقَةُ صَالِحٍ وَكَبْشُ إِبْرَاهِيمَ .

اليهود : ما الواحد ؟

اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ .

اليهود : ما الاثنان ؟

آدَمُ وَحَوَّاءُ .

اليهود : ما الثلاثة ؟

جَبْرَائِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَإِسْرَافِيلُ .

اليهود : ما الأربعة ؟

التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالزُّبُورُ وَالْفُرْقَانُ .

اليهود : ما الخمسة ؟

خَمْسُ صَلَوَاتٍ مَفْرُوضَاتٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ .

اليهود : ما الستة ؟

قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾^(١).

اليهود: ما السبعة؟

قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَبَدَّلْنَا طُوفَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾^(٢).

اليهود: ما الثمانية؟

قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾^(٣).

اليهود: ما التسعة؟

الآيَاتُ الْمُنَزَّلَةُ عَلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ.

اليهود: ما العشرة؟

قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾^(٤).

اليهود: ما الحادي عشر؟

قَوْلُ يُوسُفَ لِأَبِيهِ: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾^(٥).

اليهود: ما الاثنا عشر؟

قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِمُوسَى: ﴿اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾^(٦).

وَأَسْلَمُوا عَلَى يَدِ الْإِمَامِ، وَجَرَى بَيْنَهُمْ حَدِيثٌ أَعْرَضْنَا عَنْ ذِكْرِهِ^(٧).

(١) ق: ٣٨.

(٢) النبأ: ١٢.

(٣) الحاقة: ١٧.

(٤) الأعراف: ١٤٢.

(٥) يوسف: ٤.

(٦) البقرة: ٦٠.

(٧) الخصال ٢: ٦٥. بحار الأنوار ١٠: ٧-٩.

مع عالم يهودي

ووفد إلى يثرب عالم يهودي من أهل الشام كان قد قرأ التوراة والإنجيل والزيور وصحف الأنبياء ، فالتقى بكوكبة من أصحاب رسول الله ﷺ كان من بينهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وحبر الأمة عبد الله بن عباس وأبو معبد الجهني ، وجرت بينه وبين الإمام عليه السلام مناظرة متشعبة قد استوعبت وقتاً كثيراً لطولها ، ونحن نذكر معظمها ، فقد التفت اليهودي إلى الجماعة الجالسين وقال لهم :

يا أمة محمد ما تركتم لنبي درجة ، ولا لمرسل فضيلة إلا أنحلتموها نبيكم ، فهل تجيبوني عما أسألكم عنه ؟ فأمسك القوم عن جوابه ، سوى الإمام فقد انبرى إليه قائلاً :

« نعم ، ما أعطى الله عز وجل نبياً درجة ، ولا مرسلأ فضيلة ، إلا جمعتها لمحمد ﷺ ، وزاد محمد ﷺ على الأنبياء أضعافاً مضاعفة ... » .

اليهودي : هل أنت مجيبي ؟

نعم ، سأذكر لك اليوم من فضائل رسول الله ﷺ ما يُقر الله به أعين المؤمنين ، ويكون نفسه فيه إزالة لشك الساكين في فضائله ، إنه عليه السلام إذا ذكر لنفسه فضيلة قال : ولا فخر ، وأنا أذكر لك فضائله غير مزي بالأنبياء ، ولا منتقص لهم ، ولكن شكراً لله على ما أعطى محمد ﷺ مثل ما أعطاهم وما زاده الله ، وما فضله عليهم ...

اليهودي: إني أسألك فأعد له جواباً.

هات.

اليهودي: هذا آدم أسجد الله له ملائكته، فهل فعل بمحمد شيئاً من هذا؟

لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ، وَلَئِنْ أَسْجَدَ اللَّهُ لِآدَمَ مَلَائِكَتَهُ فَإِنْ سَجَدَهُمْ لَمْ يَكُنْ سُجُودَ طَاعَةٍ، وَأَنْتُمْ عَبَدُوا آدَمَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَكِنْ اعْتِرَافاً لِآدَمَ بِالْفَضِيلَةِ وَرَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَهُ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ أُعْطِيَ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى صَلَّى عَلَيْهِ فِي جَبْرُوتِهِ وَالْمَلَائِكَةُ بِأَجْمَعِهَا، وَتَعَبَّدَ الْمُؤْمِنُونَ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ ^(١) فَهَذِهِ زِيَادَةٌ لَهُ.

اليهودي: إن آدم تاب الله عليه من بعد خطيئته.

لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ نَزَلَ عَلَيْهِ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْ هَذَا، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ^(٢) إِنَّ مُحَمَّدًا غَيْرُ مُوَافٍ فِي الْقِيَامَةِ بِوَزْرِ، وَلَا مَطْلُوبٍ فِيهَا بِذَنْبٍ.

اليهودي: إن إدريس رفعه الله عز وجل مكاناً علياً، وأطعمه من تحف الجنة بعد وفاته.

لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ أُعْطِيَ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ فِيهِ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ ^(٣) فَكَمْ بِهَذَا مِنَ اللَّهِ رِفْعَةً، وَلَئِنْ أُطْعِمَ إِدْرِيسُ مِنْ تَحَفِ الْجَنَّةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أُطْعِمَ فِي الدُّنْيَا فِي حَيَاتِهِ، بَيْنَمَا هُوَ يَتَصَوَّرُ جُوعاً أَتَاهُ جِبْرِيلُ بِجَامٍ مِنَ الْجَنَّةِ فِيهِ تَحْفَةٌ...

(١) يشير الإمام ﷺ بذلك إلى الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

(٢) الفتح: ٢.

(٣) الشرح: ٤.

فَنَآوَلَهَا أَهْلُ بَيْتِهِ ، فَهَمُّ أَنْ يَتَنَاوَلَهَا بَعْضُ الصُّحَابَةِ ، فَتَنَاوَلَهَا جَبْرِئِيلُ فَقَالَ لَهُ : كُلْمَا فَإِنَّهَا تُخَفُّ مِنَ الْجَنَّةِ أَتَحَقِّقُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا وَإِنَّهَا لَا تُصْلَحُ إِلَّا لِنَبِيِّ أَوْ وَصِيِّ نَبِيِّ ، فَأَكَلْنَا مِنْهَا ، وَإِنِّي لِأَجِدُ خَلَاقَتَهَا سَاعَتِي هَذِهِ .

اليهودي : هذا نوح صبر في ذات الله عَزَّ وَجَلَّ ، وأعذر قومه إذ كَذَّب .

لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ ، وَمُحَمَّدٌ صَبَرَ فِي ذَاتِ اللَّهِ ، وَأَعَذَرَ قَوْمَهُ إِذْ كَذَّبَ وَشَرَّدَ ، وَحُصِبَ بِالْحَصَى ، وَعَلَاهُ أَبُو تَهْمٍ بِسِلَاقَةٍ وَشَاةٍ فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى جَابِيلَ مَلِكِ الْجِبَالِ أَنْ شُقَّ الْجِبَالُ ، وَانْتَهَ إِلَى أَمْرِ مُحَمَّدٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ : إِنِّي قَدْ أَمَرْتُكَ بِالطَّاعَةِ ، فَإِنْ أَمَرْتُ أَنْ أُطِيقَ عَلَيْهِمُ الْجِبَالُ فَأَهْلِكْتَهُمْ بِهَا ... قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : إِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً . رَبِّ أَهْدِ أُمَّتِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ... إِنْ نُوْحًا لَمَّا شَاهَدَ عَرَقَ قَوْمِهِ رَقَّ عَلَيْهِمْ رِقَّةَ الْقَرَابَةِ ، وَأَظْهَرَ عَلَيْهِمْ شَقَمَةَ فَقَالَ : ﴿ رَبِّ انْزِلْ مِنْ أَيْمَانِي ﴾ ^(١) فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ : ﴿ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ ^(٢) أَرَادَ جَلَّ ذِكْرُهُ أَنْ يُسَلِّيهَ بِذَلِكَ ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ لَمَّا غَلِبَتْ عَلَيْهِ مِنْ قَوْمِهِ الْمَعَانِدَةُ شَهَرَ عَلَيْهِمْ سَيْفَ النَّفَمَةِ وَلَمْ تُذَرِكُهُ فِيهِمْ رِقَّةُ الْقَرَابَةِ .

اليهودي : إِنْ نُوْحًا دَعَا رَبَّهُ فَهَطَلَتْ لَهُ السَّمَاءُ بِمَاءٍ مِنْهُمْ ؟

لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ ، وَكَانَتْ دَعْوَتُهُ دَعْوَةً غَضَبٍ ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ هَطَلَتْ لَهُ السَّمَاءُ بِمَاءٍ مِنْهُمْ رَحْمَةً ، إِنَّهُ لَمَّا هَاجَرَ إِلَى الْقَدِينَةِ أَتَاهُ أَهْلُهَا فِي يَوْمٍ جُمُعَةٍ ، فَقَالُوا لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، احْتَبَسَ الْقَطْرُ ، وَاصْفَرَّ الْعُودُ ، وَتَهَافَتَ الْوَرَقُ ، فَرَفَعَ يَدَهُ الْمُبَارَكَةَ حَتَّى رُبِّيَ بَيَاضُ إِبْطِئِهِ ، وَمَا قَرَى فِي السَّمَاءِ سَحَابَةٌ ، فَمَا بَرِحَ حَتَّى

(١) هود : ٤٥ .

(٢) هود : ٤٦ .

سَفَاهُمُ اللَّهُ، حَتَّى إِنْ الشَّابُّ الْمُعْجَبُ بِشَبَابِهِ لَهَمَّتْهُ نَفْسُهُ فِي الرُّجُوعِ
إِلَى مَنْزِلِهِ فَمَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ السَّيْلِ، قَدَامَ اسْبُوعًا، فَأَتَوْهُ فِي الْجُمُعَةِ
الثَّانِيَةِ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ تَهَدَّمَتِ الْجُدُرُ، وَاحْتَسَسَ الرُّكْبُ وَالسَّفَرُ،
فَضَحِكَ ﷺ وَقَالَ: هَذِهِ سُرْعَةُ مَلَالَةِ ابْنِ آدَمَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ حَوَالِينَا
وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ فِي أَصُولِ الشَّيْخِ وَمَرَائِعِ الْبَقِيعِ، قَرْنِي حَوَالِي الْمَدِينَةِ يَقْطُرُ
الْمَطَرُ قَطْرًا، وَمَا يَقَعُ فِي الْمَدِينَةِ قَطْرَةٌ لِكِرَامَتِهِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

اليهودي: إِنَّ هُودًا قَدْ انتصر الله له من أعدائه بالريح، فهل فعل لمحمد ﷺ شيئاً من
هذا؟

لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ أُعْطِيَ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ
انْتَصَرَ لَهُ مِنْ أَعْدَائِهِ بِالرَّيْحِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، إِذْ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ رِيحًا تَذَرُو الْحَصَى،
وَجُنُودًا لَمْ يَزُوهَا فَرَادَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُحَمَّدًا ﷺ عَلَى هُودٍ بِشَمَانِيَةِ آلَافٍ
مَلَكٍ، وَفَضَّلَهُ عَلَى هُودٍ، بِأَنْ رِيحَ عَادٍ رِيحُ سَخَطٍ وَرِيحُ مُحَمَّدٍ ﷺ رِيحُ
رَحْمَةٍ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ (١).

اليهودي: إِنَّ صَالِحًا أَخْرَجَ اللَّهُ لَهُ نَاقَةً جَعَلَهَا عِبْرَةً لِقَوْمِهِ.

لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ أُعْطِيَ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّ نَاقَةَ صَالِحٍ لَمْ
تَكُنْ صَالِحًا، وَلَمْ تَشْهَدْ لَهُ بِالنَّبُوءَةِ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَهُ فِي بَعْضِ
عَزَوَاتِهِ إِذَا هُوَ بِسَبْعِينَ قَدَافًا، ثُمَّ رَغَا فَأَنْطَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ فَلَانَا اسْتَعْمَلَنِي حَتَّى كَبُرْتُ، وَيُرِيدُ نَحْرِي فَأَنَا اسْتَعْمَيْدُ بِكَ
مِنْهُ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى صَاحِبِهِ فَاسْتَوْهَبَهُ مِنْهُ، فَوَهَبَهُ لَهُ وَحَلَّاهُ...

اليهودي: إن إبراهيم قد تيقظ بالاعتبار على معرفة الله تعالى، وأحاطت دلالاته بعلم الإيمان به ؟

لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَأُعْطِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَدْ تَيَقَّظَ بِالْإِغْتِبَارِ عَلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَحَاطَتْ دَلَالَتُهُ بِعِلْمِ الْإِيمَانِ بِهِ، وَتَيَقَّظَ إِبْرَاهِيمُ وَهُوَ ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةَ سَنَةً، وَمُحَمَّدٌ ﷺ كَانَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ، قَدِيمَ تِجَارٍ مِنَ النَّصَارَى فَتَزَلُّوا بِتِجَارَتِهِمْ بَيْنَ الصُّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ فَعَرَفَهُ بِصِفَتِهِ وَرَفَعْتِهِ، وَخَبَرَ مَبْعُوثِهِ وَآيَاتِهِ فَقَالُوا لَهُ: يَا غُلَامُ، مَا اسْمُكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ. قَالُوا: مَا اسْمُ أَبِيكَ؟ قَالَ: عَبْدُ اللَّهِ. قَالُوا: مَا اسْمُ هَذِهِ. وَأَشَارُوا إِلَى الْأَرْضِ. قَالَ: الْأَرْضُ، ثُمَّ قَالُوا فَمَا اسْمُ هَذِهِ؟ وَأَشَارُوا إِلَى السَّمَاءِ؟ قَالَ: السَّمَاءُ. قَالُوا: فَمَنْ رَبُّهُمَا؟ قَالَ: اللَّهُ، ثُمَّ انْتَهَرَهُمْ وَقَالَ: أَتُشْكِكُونِي فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ وَيَسْخَكُ يَا يَهُودِي! لَقَدْ تَيَقَّظَ بِالْإِغْتِبَارِ عَلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَعَ كُفْرِ قَوْمِهِ، إِذْ هُوَ بَيْنَهُمْ يَسْتَفْسِمُونَ بِالْأَزْلَامِ، وَيَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، وَهُوَ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

اليهودي: إن إبراهيم حجب عن نمرود بحجب ثلاثة ؟

لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حُجِبَ عَنْ أَوَادِ قَتْلِهِ بِحُجُبِ خَمْسَةِ، فَثَلَاثَةٌ بِثَلَاثَةٍ، وَاثْنَانِ فَضْلًا، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا ﴾ (١) فَهَذَا الْحِجَابُ الْأَوَّلُ، ﴿ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ﴾ فَهَذَا الْحِجَابُ الثَّانِي، ﴿ فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ فَهَذَا الْحِجَابُ الثَّالِثُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَنُورًا ﴾ (٢) فَهَذَا الْحِجَابُ الرَّابِعُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿ فَمَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ

(١) يس: ٩.

(٢) الإسراء: ٤٥.

مُتَقَمَّحُونَ ﴿١﴾ ، فَهَلِيزِ حُجُبُ خَمْسَةُ .

اليهودي : إِنَّ اِبْرَاهِيْمَ قَدْ بَهَتْ الَّذِي كَفَرَ بِبِرْهَانِ نُبُوْتِهِ .

لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ أَتَاهُ مُكَذَّبٌ بِالْبَغْيِ بَعْدَ الْغُيُوبِ وَهُوَ أُبَيُّ بْنُ خَلْفٍ الْجَنْجِي مَعَهُ عَظْمٌ نَحَرَ فَرَكَهُ ثُمَّ قَالَ :

يَا مُحَمَّدُ ﴿٢﴾ مَنْ يُخَيِّي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٣﴾ فَأَنْطَلَقَ اللَّهُ مُحَمَّدًا بِمُحْكَمِ آيَاتِهِ ، وَيَهْتَهُ بِبِرْهَانِ نُبُوْتِهِ ، فَقَالَ ﴿٤﴾ : يُخَيِّيهَا إِلَيَّ أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٥﴾ ، فَانْصَرَفَ مَبْهُوتًا .

اليهودي : إِنَّ اِبْرَاهِيْمَ جَذَّ أَصْنَامَ قَوْمِهِ غَضِبًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ قَدْ نَكَسَ عَنِ الْكُفْبَةِ ثَلَاثَ مَائَةٍ وَسِتِّينَ صَنَمًا ، وَنَقَاها عَنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَأَذَلَّ مَنْ عَبَدَهَا بِالسَّيْفِ .

اليهودي : إِنَّ اِبْرَاهِيْمَ قَدْ اضْجَعَّ وَلَدَهُ وَتَلَّهُ لِلْجَبِيْنِ .

لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ ، وَلَقَدْ أُعْطِيَ اِبْرَاهِيْمُ بَعْدَ الاَضْطِجَاعِ الْفِدَاءَ ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ أُصِيبَ بِأَفْجَعٍ مِنْهُ فَجِيعَةً إِنَّهُ وَقَفَ عَلَى عَمِّهِ حَفْرَةَ أَسَدِ اللَّهِ ، وَأَسَدِ رَسُولِهِ ، وَنَاصِرِ دِينِهِ ، وَقَدْ فُرِّقَ بَيْنَ رُوحِهِ وَجَسَدِهِ ، فَلَمْ يَبْنِ عَلَيْهِ حُرْقَةً ، وَلَمْ يَفُضْ عَلَيْهِ غَبْرَةً ، وَذَلِكَ لِيُرْضِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِصَبْرِهِ ، وَيَسْتَسْلِمَ لِأَمْرِهِ ، فِي جَمِيعِ الْفِعَالِ .

وَقَالَ ﷺ : « لَوْلَا أَنْ تَحْزَنَ صَفِيَّةٌ لَتَرَكْتُهُ حَتَّى يُخْشَرَ مِنْ بُطُونِ السَّبَاعِ وَخَوَاصِلِ الطَّيْرِ ، وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ سُنَّةً بَغْدِي لَفَعَلْتُ ذَلِكَ » .

اليهودي : إِنَّ اِبْرَاهِيْمَ قَدْ أَسْلَمَهُ قَوْمَهُ إِلَى الْحَرِيقِ فَصَبَرَ ، فَجَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ النَّارَ عَلَيْهِ

برداً وسلاماً ، فهل فعل بمحمدٍ شيئاً من ذلك ؟

لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ لَمَّا نَزَلَ بِخَبِيرٍ سَمَّيْتُهُ الْخَبِيرِيَّةُ فَصَيَّرَ اللَّهُ السَّمَّ فِي جَوْفِهِ بَرْدًا وَسَلَامًا إِلَى مُنْتَهَى أَجَلِهِ ، فَالَسُّمُ يُحْرِقُ إِذَا اسْتَقَرَّ فِي الْجَوْفِ ، كَمَا أَنَّ النَّارَ تُحْرِقُ ، فَهَذَا مِنْ قُدْرَتِهِ لَا تُنْكِرُهُ .

اليهودي : فَإِنَّ يَعْقُوبَ أَعْظَمَ إِذْ جَعَلَ الْأَسْبَاطَ مِنْ سُلَالَةِ صُلَيْبِهِ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ مِنْ بَنَاتِهِ .

لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ أَعْظَمُ فِي الْخَيْرِ نَصِيبًا مِنْهُ ؛ إِذْ جَعَلَ فَاطِمَةَ سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مِنْ بَنَاتِهِ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ ﷺ مِنْ حَقْدَتِهِ .

اليهودي : إِنَّ يَعْقُوبَ قَدْ صَبَرَ عَلَى فِرَاقِ وَلَدِهِ حَتَّى كَادَ يَحْزَنُ مِنَ الْحُزَنِ .

لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ ، وَكَانَ حُزْنُ يَعْقُوبَ بَعْدَهُ تَلَاقٍ ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ قُبِضَ وَلَدُهُ إِبْرَاهِيمُ قَرَّةَ عَيْنِهِ فِي حَيَاتِهِ ، وَخَصَّهُ بِالْاِخْتِيَارِ لِيُعْظِمَ لَهُ الْاَدْخَارَ فَقَالَ ﷺ : « تَحْزَنُ النَّفْسُ وَيَجْزَعُ الْقَلْبُ ، وَإِنَّا عَلَيْكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ ، وَلَا نَقُولُ : مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ » ، فِي كُلِّ ذَلِكَ يُؤَيِّرُ رِضَا اللَّهِ عَزَّ ذِكْرُهُ ، وَالِاسْتِسْلَامَ لَهُ فِي جَمِيعِ الْفِعَالِ .

اليهودي : إِنَّ يَوْسُفَ قَاسَى مَرَارَةَ الْفِرْقَةِ ، وَحَبَسَ فِي السِّجْنِ تَوْقِيًّا لِلْمَعْصِيَةِ ، فَأَلْقَى فِي الْجُبِّ وَحِيدًا .

لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ قَاسَى مَرَارَةَ الْغُرْبَةِ ، وَفِرَاقَ الْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ وَالْعَمَالِ ، مُهَاجِرًا مِنْ حَرَمِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمْنِهِ ، فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ تَعَالَى كَآبَتَهُ ، وَاسْتِشْعَارَهُ الْحُزْنَ أَرَاهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ رُؤْيَا ثَوَاظِي رُؤْيَا يَوْسُفَ فِي ثَاوِيلِهَا ، وَأَبَانَ لِلْعَالَمِينَ صِدْقَ تَحْقِيقِهَا فَقَالَ ،

﴿ لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ

اللَّهُ ءَامِنِينَ مُخْلَقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴿١﴾ وَلَئِنْ كَانَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حُبِسَ فِي السِّجْنِ فَلَقَدْ حَبَسَ رَسُولُ اللَّهِ نَفْسَهُ فِي الشُّعْبِ ثَلَاثَ سِنِينَ ، وَقُطِعَ مِنْهُ أَقَارِبُهُ وَذُودُ الرَّحِمِ وَالْجَاوَةُ لَهُ إِلَى أَضْيَاقِ الْمَضْيَقِ ، فَقَدْ كَادَهُمُ اللَّهُ عَزَّ ذِكْرُهُ كَيْدًا مُسْتَبِينًا ؛ إِذْ بَعَثَ أَضْعَفَ خَلْقِهِ فَأَكَلَ عَنْهُمْ الَّذِي كَتَبُوهُ بَيْنَهُمْ فِي قِطِيعَةِ رَحِمِهِ ، وَلَئِنْ كَانَ يُوسُفُ أَلْقَى فِي الْجُبِّ فَلَقَدْ حَبَسَ مُحَمَّدٌ نَفْسَهُ مُخَافَةَ عَدُوِّهِ فِي الْغَارِ حَتَّى قَالَ لِصَاحِبِهِ : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ ^(٢) وَمَدَحَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ .

اليهودي : هذا موسى بن عمران آناه الله عَزَّ وَجَلَّ التوراة التي فيها حكم الله .

لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ ، وَمُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ أُعْطِيَ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ ، أُعْطِيَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ وَالْمَائِدَةِ وَطُورِ سَيْنٍ وَطَهُ وَنُصِفَ الْمُفَصَّلِ وَالْحَوَامِيمِ بِالتَّوْرَةِ ، وَأُعْطِيَ نِصْفَ الْمُفَصَّلِ وَالتَّسَابِيحِ بِالزَّبُورِ ، وَأُعْطِيَ سُورَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبِرَاءَةَ ، بِصُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَصُحُفِ مُوسَى ، وَزَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ السَّبْعَ الطَّوَالَ ، وَفَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَهِيَ السَّبْعُ الْمُنَافِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ وَأُعْطِيَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ .

اليهودي : إِنَّ موسى ناجاه الله عَزَّ وَجَلَّ على طور سيناء .

لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ ، وَلَقَدْ أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى ، فَمَقَامُهُ فِي السَّمَاءِ مَخْمُودٌ ، وَعِنْدَ مُنْتَهَى الْعَرْشِ مَذْكُورٌ .

اليهودي : ألقى الله على موسى محبة منه .

(١) الفتح : ٢٧ .

(٢) التوبة : ٤٠ .

لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ ، لَقَدْ أَعْطَى اللَّهُ مُحَمَّدًا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا ، لَقَدْ أَلْقَى اللَّهُ عَلَيْهِ مَحَبَّةً مِنْهُ ، فَمَنْ هَذَا الَّذِي يُشْرِكُهُ فِي هَذَا الْاسْمِ إِذْ تَمَّ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الشَّهَادَةُ ، فَلَا تَبِيعُ الشَّهَادَةُ إِلَّا أَنْ يُقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ... فَلَا يَرْفَعُ صَوْتُ بِذِكْرِ اللَّهِ إِلَّا رَفِيعٌ بِذِكْرِ مُحَمَّدٍ مَعَهُ .

اليهودي : لقد أوحى الله إلى أم موسى لفضل منزلة موسى عند الله .

لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ ، وَلَقَدْ لَطَفَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِأَمِّ مُحَمَّدٍ ﷺ بِأَنْ أَوْصَلَ إِلَيْهَا اسْمَهُ حَتَّى قَالَتْ : شَهِدَ اللَّهُ وَالْعَالَمُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ مُنْتَظَرٌ ، وَشَهِدَ الْمَلَائِكَةُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ أَنَّهُمْ أَتَبَوْهُ فِي الْأَسْفَارِ ، وَيُلَطِّفُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سَاقَهُ إِلَيْهَا وَأَوْصَلَ إِلَيْهَا اسْمَهُ لِفَضْلِ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَهُ ، وَرَأَتْ فِي الْقَنَامِ أَنَّهُ قِيلَ لَهَا : إِنَّ مَا فِي بَطْنِكَ سَيُؤَدِّي قِيَادًا وَلَدَتِهِ فَنَسَمِيهِ مُحَمَّدًا ، فَاشْتَقَّ اللَّهُ لَهُ اسْمًا مِنْ أَسْمَائِهِ ، فَاللَّهُ الْمُخْمُودُ ، وَهَذَا مُحَمَّدٌ .

اليهودي : إِنَّ موسى بن عمران أرسله الله إلى فرعون ، وأراه الآية الكبرى .

لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ أُرْسِلَ إِلَى قَرَاعِنَةِ شَتَّى ، مِثْلِ أَبِي جَهْلٍ بْنِ هِشَامٍ ، وَغُنْبَةِ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةَ ، وَأَبِي الْبُخْتَرِيِّ ، وَالنَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ ، وَأَبِي بَنِي حَلَفٍ ، وَمِنْهُمْ وَثِيْبَةُ ابْنِ الْحَجَّاجِ وَإِلَى الْخُمْسَةِ الْمُسْتَهْزِئِينَ : الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ الْمَخْزُومِي ، وَالْعَاصِ بْنِ وَائِلِ السُّهْمِي ، وَالْأَسْوَدَ بْنِ عَبْدِ يَغُوثِ الزُّهْرِي ، وَالْأَسْوَدَ بْنِ الْمُطَّلِبِ ، وَالْخَزْزِ بْنَ أَبِي الطَّلَّالَةِ ، فَأَرَاهُمْ الْآيَاتِ فِي الْأَفَاقِ ، وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ .

اليهودي : لقد انتقم الله عَزَّ وَجَلَّ لموسى من فرعون .

لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ ، وَلَقَدْ انْتَقَمَ اللَّهُ جَلَّ اسْمُهُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ الْفِرَاعِنَةِ . فَأَمَّا

الْمُسْتَهْزِئُونَ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ ^(١) فَقَتَلَ اللَّهُ كُلَّ وَاحِدٍ بِقِنِيرٍ قَتَلَهُ صَاحِبِهِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، فَأَمَّا الْوَلِيدُ فَمَرَّ بِنَبَلٍ لِرَجُلٍ مِنْ حَزَاةٍ قَدْ رَاشَهُ وَوَضَعَهُ فِي الطَّرِيقِ فَأَصَابَتْهُ شَظِيَّةٌ مِنْهُ فَأَنْقَطَعَ أَكْحَلُهُ حَتَّى أَدَمَاهُ، فَمَاتَ وَهُوَ يَقُولُ: قَتَلَنِي رَبُّ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَأَمَّا الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ فَإِنَّهُ خَرَجَ فِي حَاجَةٍ إِلَى مَوْضِعٍ فَتَدَمَّدَهُ ^(٢) تَحْتَهُ حَجَرٌ، فَسَقَطَ فَتَقَطَعَ قِطْعَةً قِطْعَةً، فَمَاتَ وَهُوَ يَقُولُ: قَتَلَنِي رَبُّ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَأَمَّا الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَهُوثَ، فَإِنَّهُ خَرَجَ يَسْتَقِيلُ ابْنَهُ زَمْعَةَ، فَاسْتَظَلَّ بِشَجَرَةٍ فَأَتَاهُ جَبْرِئِيلُ فَأَخَذَ رَأْسَهُ فَتَطَّحَ بِهِ الشَّجَرَةَ، فَقَالَ لِفَلَانِهِ: امْنَعْ عَنِّي هَذَا. فَقَالَ: مَا أَرَى أَحَدًا يَصْنَعُ بِكَ شَيْئًا إِلَّا نَفْسَكَ، فَقَتَلَهُ وَهُوَ يَقُولُ: قَتَلَنِي رَبُّ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَأَمَّا الْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَلِّبِ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَا عَلَيْهِ أَنْ يُغَيِّبَ اللَّهُ بَصَرَهُ، وَأَنْ يُكَلِّلَهُ بِوَلَدِهِ، فَلَمَّا كَانَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ خَرَجَ حَتَّى صَارَ إِلَى مَوْضِعٍ فَأَتَاهُ جَبْرِئِيلُ بِوَرَقَةٍ حَضْرَاءَ فَضْرَبَ بِهَا وَجْهَهُ، فَغَمِيَ، وَبَقِيَ حَتَّى أَثْكَلَهُ اللَّهُ بِوَلَدِهِ.

وَأَمَّا الْحَزْتُ بْنُ أَبِي الطَّلَّالَةِ فَإِنَّهُ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فِي السُّمُومِ فَتَخَوَّلَ حَبَشِيًّا فَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ: أَنَا الْحَزْتُ، فَغَضِبُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ وَهُوَ يَقُولُ: قَتَلَنِي رَبُّ مُحَمَّدٍ ﷺ.

اليهودي: إِنَّ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ قَدْ أُعْطِيَ الْعَصَا فَكَانَتْ تَنْحُولُ ثَعْبَانًا.

(١) الحجر: ٩٥.

(٢) تدمده: أي تدحرج.

لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ أُعْطِيَ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، إِنَّ رَجُلًا كَانَ يَطْلُبُ أَبَا جَهْلَ بْنَ هِشَامٍ دِينًا عَنْ جَزُورٍ كَانَ قَدْ اشْتَرَاهُ مِنْهُ، فَاشْتَقَلَ أَبُو جَهْلٍ بِشَرْبِ الْخَمْرِ وَلَمْ يَنْفَعِ لِلرَّجُلِ دِينُهُ، فَشَكَا حَالَهُ إِلَى رَجُلٍ وَكَانَ مِنَ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِالنَّبِيِّ، فَقَالَ لَهُ: أَذَلِكَ عَلَى رَجُلٍ يَسْتَخْرِجُ حَقَّكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَدَلَّهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَكَانَ أَبُو جَهْلٍ يَقُولُ: لَيْتَ لِمُحَمَّدٍ إِلَيَّ حَاجَةٌ فَأَسْخَرَ بِهِ وَأَرَدَهُ، فَأَتَى الرَّجُلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ لَهُ: بَلِّغْنِي أَنْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَمْرٍ ابْنِ هِشَامٍ حُسْنُ صِدَاقَةٍ، وَأَنَا اسْتَشْفَعُ بِكَ إِلَيْهِ فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ وَقَامَ مِنْهُ، فَطَرَقَ بَابَهُ فَخَرَجَ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ لَهُ: أَذْ إِلَى الرَّجُلِ حَقُّهُ، فَقَامَ مُسْرِعًا وَأَتَى إِلَيْهِ حَقُّهُ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ أَبُو جَهْلٍ بِأَصْحَابِهِ قَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ: فَعَلْتَ ذَلِكَ فَرَقًا مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَقَالَ: وَيَحْكُمُ! اغْذِرُونِي إِنَّهُ لَمَّا أَقْبَلَ إِلَيَّ رَأَيْتُ عَنْ يَمِينِهِ رَجُلًا بِأَيْدِيهِمْ حِرَابٍ تَتَلَا، وَعَنْ يَسَارِهِ ثُعْبَانَانِ تَلْعَمُ النَّيْرَانُ مِنْ أَبْصَارِهِمَا لَوْ امْتَنَعْتُ لَمْ أَمْنُ أَنْ يَنْعَجُوا بِالْحِرَابِ وَيَقْضِي الثُّعْبَانَانِ. هَذَا أَكْبَرُ مِمَّا أُعْطِيَ مُوسَى.

وَلَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُؤْذِي قُرَيْشًا بِالدُّعَاءِ، فَقَامَ يَوْمًا فَسَفَّهَ أَخْلَامَهُمْ، وَعَابَ دِينَهُمْ، فَشَتَمَ أَصْنَامَهُمْ، وَضَلَّلَ آبَاءَهُمْ، فَاعْتَمُوا مِنْ ذَلِكَ غَمًّا شَدِيدًا، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: وَاللَّهِ! لَلْمَوْتُ خَيْرٌ لَنَا مِنَ الْحَيَاةِ، فَلَيْسَ فِيكُمْ مَعَاشِرُ قُرَيْشٍ أَحَدٌ يَقْتُلُ مُحَمَّدًا فَيَقْتَلَ بِهِ؟ فَقَالُوا لَهُ: لَا، فَقَالَ: أَنَا أَقْتُلُهُ فَإِنْ شَاءَ بَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَتَلُونِي بِهِ وَإِلَّا تَرَ كُونِي، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ اضْطَنْعْتَ إِلَى أَهْلِ الْوَادِيَةِ خَيْرًا لَا تَزَالُ تُذَكَّرُ بِهِ.

قَالَ أَبُو جَهْلٍ: إِنَّهُ كَثِيرُ الشُّجُودِ حَوْلَ الْكَعْبَةِ، فَإِذَا جَاءَ وَسَجَدَ أَخَذَتْ حَجْرًا فَشَدَحَتْهُ بِهِ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَطَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا ثُمَّ صَلَّى وَأَطَالَ

السُّجُودَ ، فَأَخَذَ أَبُو جَهْلٍ حَجَرًا فَأَتَاهُ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ ، فَلَمَّا أَنْ قُرِبَ مِنْهُ أَقْبَلَ
فَحُلَّ - أَيِ ثَعْبَانٍ - مِنْ قِبَلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَغْرَأَ فَاهُ ، فَلَمَّا أَنْ رَأَاهُ أَبُو جَهْلٍ
فَزِعَ مِنْهُ وَارْتَعَدَتْ يَدُهُ وَطَرَحَ الْحَجَرَ فَشَدَّخَ رِجْلَهُ فَرَجَعَ مَذْمِيئًا مُتَغَيِّرَ اللَّوْنِ
يَقِيضُ عَرَقًا ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : مَا رَأَيْنَاكَ كَالْيَوْمِ ؟ قَالَ : وَنَحْكُمُ ! اغْدِرُونِي
فَإِنَّهُ أَقْبَلَ مِنْ عِنْدِهِ فَحُلَّ فَأَغْرَأَ فَاهُ كَأَنَّهُ أَنْ يَنْتَلِعَنِي فَرَمَيْتُ الْحَجَرَ فَشَدَّخَنِي .

اليهودي : إِنَّ موسى قد أعطى اليد البيضاء فهل فعل بمحمدٍ شيء من هذا ؟

لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ أُعْطِيَ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا . إِنَّ نُورًا كَانَ يُضِيءُ
عَنْ يَمِينِهِ حَيْثُمَا جَلَسَ ، وَعَنْ يَسَارِهِ أَيْنَمَا جَلَسَ ، وَكَانَ النَّاسُ يَرَوْنَهُ .

اليهودي : إِنَّ موسى قد ضرب له في البحر طريق فهل فعل بمحمدٍ شيء من هذا ؟

لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ أُعْطِيَ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا ، خَرَجْنَا مَعَهُ إِلَى
حُنَيْنٍ فَإِذَا نَحْنُ بِوَادٍ يَنْشَخِبُ - أَيِ بِسَبِيلٍ - فَقَدَرْنَاهُ فَإِذَا هُوَ أَرْبَعُ عَشْرَةَ قَامَةً ،
فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ائْتِنَا مِنَ الْوَادِي وَأَمَانًا كَمَا قَالَ أَصْحَابُ
مُوسَى : إِنَّا لَمُنْزَكُونَ فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ إِنَّكَ جَعَلْتَ لِكُلِّ
نَبِيِّ مُرْسَلٍ دَلَالَةً فَأَرِنِي فُنُزَتَكَ » وَرَكِبَ ﷺ فَعَبَّرَتِ الْحَيْلُ لَا تَنْدِي
خَوَافِهَا ، وَالْإِبِلُ لَا تَنْدِي أَحْقَافَهَا ، فَارْجَعْنَا فَكَانَ فَتَحْنَا فَتَحْنَا .

اليهودي : إِنَّ موسى قد أعطى الحجر فانجست منه اثنتا عشرة عينًا .

لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ لَمَّا نَزَلَ الْحُدَيْبِيَّةَ وَحَاصَرَهُ أَهْلُ مَكَّةَ ، أُعْطِيَ مَا
هُوَ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنَّ أَصْحَابَهُ شَكُّوا إِلَيْهِ الظُّلُمَا ، وَأَصَابَهُمْ ذَلِكَ حَتَّى اتَّقَتْ
خَوَاصِرُ الْحَيْلِ ، فَذَكَرُوا لَهُ ذَلِكَ ، فَدَعَا بِرُكُوعٍ يَمَانِيَّةٍ ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ الْمُبَارَكَةَ
فِيهَا فَتَفَجَّرَتْ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ عُيُونُ الْمَاءِ ، فَصَدْرْنَا وَصَدْرَتِ الْحَيْلُ رَوَاهُ ،

وَمَلَأْنَا كُلَّ مَرَادَةٍ وَسِقَاءٍ... الخ.

اليهودي: إِنَّ موسى قد أُعطيَ المَنِّ والسُّلوى ، فهل أُعطيَ محمد ﷺ نظيرَ هذا ؟
لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ أُعْطِيَ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ
أَحَلَّ لَهُ الْفَنَائِمَ وَلِأُمَّتِهِ ، وَلَمْ تَحُلْ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ ، فَهَذَا أَفْضَلُ مِنَ الْمَنِّ وَالسُّلْوَى .
ثُمَّ زَادَهُ بِأَنْ جَعَلَ النَّيَّةَ - أَي نِيَّةَ عَمَلِ الْخَيْرِ - لَهُ وَلِأُمَّتِهِ بِأَعْمَلِ عَمَلٍ صَالِحٍ ،
وَلَمْ يَجْعَلْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ ذَلِكَ قَبْلَهُ ، فَإِذَا هُمْ أَخَذَهُمْ بِحَسَنَةٍ وَلَمْ يَفْعَلْهَا
كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ ، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا .

اليهودي: إِنَّ موسى قد ظلل عليه الغمام .

لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ ، وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ لِمُوسَى فِي النَّيَّةِ ، وَأُعْطِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ أَفْضَلَ مِنْ
هَذَا إِنَّ الْقِمَامَةَ كَانَتْ تُظَلُّهُ مِنْ يَوْمٍ وَلِدَ إِلَى يَوْمٍ قُبِضَ ، فِي حَضَرِهِ وَأَسْفَارِهِ ،
فَهَذَا أَفْضَلُ مِمَّا أُعْطِيَ مُوسَى .

اليهودي: هذا داوود قد لَبِنَ الله له الحديد فعمل منه الدروع .

لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ قَدْ أُعْطِيَ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ ، إِنَّهُ لَبِنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
لَهُ الصُّمَّ الصُّخُورَ الصُّلَابَ ، وَجَعَلَهَا غَارًا ، وَلَقَدْ غَارَتِ الصُّخْرَةُ تَحْتَ يَدِهِ
بَبَيْتِ الْمَقْدِسِ لَيْتَةً حَتَّى صَارَتْ كَهَيْئَةِ الْعَجِينِ وَقَدْ رَأَيْنَا ذَلِكَ ، وَأَلْتَمَسْنَاهُ
تَحْتَ رَأْيَتِهِ .

اليهودي: إِنَّ داوود بكى على خطيئته حتى سارت الجبال معه لخوفه .

لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ أُعْطِيَ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا ، إِنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى
الصَّلَاةِ ، سَمِعَ لَصْدَرِهِ وَجَوْفِهِ أَرِيزُكَ أَرِيزُكَ الْمَرْجَلِ عَلَى الْأَثَافِي مِنْ شِدَّةِ
الْبُكَاءِ ، وَقَدْ آمَنَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عِقَابِهِ فَأَرَادَ أَنْ يَتَحَشَّعَ لِرَبِّهِ بِبُكَائِهِ .

وَيَكُونُ إِمَاماً لِمَنِ اقْتَدَى بِهِ، وَلَقَدْ قَامَ عَشْرَ سِنِينَ عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِهِ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ وَاصْفَرَّ وَجْهُهُ، يَقُومُ اللَّيْلَ أَجْمَعَ حَتَّى غَوَيْتَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿ طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾ ^(١) بَلْ لِنُسَعِدَ بِهِ، وَلَقَدْ كَانَ يَبْكِي حَتَّى يَغْشَى عَلَيْهِ، فَقِيلَ لَهُ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَيْسَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟
قَالَ: بَلَى أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا...

اليهودي: إِنَّ سُلَيْمَانَ أُعْطِيَ مَلِكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ.

لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ أُعْطِيَ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ، إِنَّهُ هَبَطَ إِلَيْهِ مَلَكٌ لَمْ يَهْبِطْ إِلَى الْأَرْضِ قَبْلَهُ، وَهُوَ مِيكَائِيلُ، فَقَالَ لَهُ:

يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَلِكًا مُنْعَمًا، وَهَذِهِ مِفْتَاحُ خَزَائِنِ الْأَرْضِ مَعَكَ، وَتَسِيرُ مَعَكَ جِبَالُهَا ذَهَبًا وَفِضَّةً، لَا يَنْقُصُ لَكَ فِيهَا أَذْخَرُ لَكَ فِي الْآخِرَةِ شَيْءٌ، فَأَوْمَأَ إِلَى جِبْرِئِيلَ، وَكَانَ خَلِيلُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَأَشَارَ إِلَيْهِ: أَنْ تَوَاضَعَ، فَقَالَ:

بَلْ أَعِيشُ عَبْدًا أَكُلُ يَوْمًا، وَلَا أَكُلُ يَوْمَيْنِ، وَالْحَقُّ بِإِخْوَانِي مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي فَرَادَهُ اللَّهُ الْكَوْثَرَ وَأَعْطَاهُ الشَّفَاعَةَ، وَذَلِكَ أَعْظَمُ مِنْ مُلْكِ الدُّنْيَا مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى آخِرِهَا سَبْعِينَ مَرَّةً، وَوَعَدَهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَقْعَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْعَرْشِ، فَهَذَا أَفْضَلُ مِمَّا أُعْطِيَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ.

اليهودي: إِنَّ سُلَيْمَانَ قَدْ سُحِّرَتْ لَهُ الرِّيحُ فَسَارَتْ بِهِ فِي بِلَادِهِ غَدَوْهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحَهَا شَهْرٌ.

لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ أُعْطِيَ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، إِنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ مِنْ
 الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَغُرِجَ بِهِ فِي مَلَكُوتِ
 السَّمَاوَاتِ مَسِيرَةَ خَمْسِينَ أَلْفَ عَامٍ فِي أَقَلِّ مِنْ ثُلُثِ لَيْلَةٍ حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَاقِ
 الْعَرْشِ، فَدَنَا بِالْعِلْمِ فَتَدَلَّى، فَذُلِّي لَهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَفُتِفَ أَخْضَرَ وَعَشَى النُّورَ
 بَصَرَهُ، فَرَأَى عَظَمَةَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِقُوَّاهُ، وَلَمْ يَرَهَا بِعَيْنَيْهِ فَكَانَ كَقَابِ قَوْسَيْنِ
 أَوْ أَدْنَى، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى، فَكَانَ يَمِينًا أَوْحَى إِلَيْهِ الْآيَةُ الَّتِي فِي
 سُورَةِ الْبَقَرَةِ ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ
 أَوْ تُخْلَفُوا يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ
 شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١).

اليهودي: هذا يحيى بن زكريا أوتي الحكم صبياً والحلم والفهم، وانه كان يبكي من
 غير ذنب وكان يواصل الصوم.

لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ أُعْطِيَ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، إِنْ يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا
 كَانَ فِي غُصْرِ لَا أَوْثَانَ فِيهِ وَلَا جَاهِلِيَّةَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ أُوتِيَ الْحُكْمَ وَالْفَهْمَ صَبِيًّا
 بَيْنَ عَبْدَةِ الْأَوْثَانِ وَحِزْبِ الشَّيْطَانِ، وَلَمْ يَزْغَبْ لَهُمْ فِي صَنْمٍ قَطُّ، وَلَمْ يَنْشَطْ
 لِأَعْيَادِهِمْ، وَلَمْ يَزْمَنْهُ كَذِبٌ قَطُّ، وَكَانَ أَمِينًا، صَدُوقًا، حَلِيمًا، وَكَانَ يُوَاصِلُ
 صَوْمَ الْأُسْبُوعِ وَالْأَقَلِّ وَالْأَكْثَرِ، فَيُقَالُ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ كَأَخِيكُمْ،
 إِنِّي أَظَلُّ عِنْدَ رَبِّي، فَيُطْعِمُنِي، وَيَسْقِينِي، وَكَانَ يَبْكِي حَتَّى يَبْتَلَّ مُصْلَاهُ
 حَشِيَّةً مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ غَيْرِ جُزْمٍ.

اليهودي: إن عيسى بن مريم يزعمون أنه تكلم في المهد صبياً.

لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ ، وَمُحَمَّدٌ سَقَطَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ وَاضِعاً يَدَهُ الْيُسْرَى عَلَى الْأَرْضِ ،
وَرَافِعاً يَدَهُ الْيُمْنَى إِلَى السَّمَاءِ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ بِالتَّوَجُّيدِ ، وَبَدَأَ مِنْ فِيهِ نُورٌ رَأَى
أَهْلُ مَكَّةَ مِنْهُ قُصُورٌ بَضْرَى مِنَ الشَّامِ وَمَا يَلِيهَا ، وَالْقُصُورُ الْحُمْرُ مِنْ أَرْضِ
الْيَمَنِ وَمَا يَلِيهَا ، وَالْقُصُورُ الْبَيْضُ مِنْ اسْطَخَرِ وَمَا يَلِيهَا ... وَلَقَدْ أَضَاءَتِ الدُّنْيَا
لَيْلَةً وَلَدَ النَّبِيُّ ﷺ ... الخ .

اليهودي : إِنَّ عيسى يزعمون أنه أبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله عز وجل .

لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ أُعْطِيَ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ، أَبْرَأَ ذَا الْعَاهَةِ مِنْ
عَاهَتِهِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ إِذْ سَأَلَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَالُوا :

يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّهُ قَدْ صَارَ مِنَ الْبَلَاءِ كَهَيْئَةِ الْفَرْخِ لَا رِيْشَ عَلَيْهِ ، فَأَتَاهُ ، فَإِذَا
هُوَ كَهَيْئَةِ الْفَرْخِ مِنْ شِدَّةِ الْبَلَاءِ ، فَقَالَ :

قَدْ كُنْتُ تَدْعُو فِي صِحَّتِكَ دُعَاءً ؟

قَالَ : نَعَمْ ، كُنْتُ أَقُولُ : يَا رَبَّ السَّمَاءِ ، أَيُّمَا عُقُوبَةٍ مُعَاقِبِي بِهَا فِي الْآخِرَةِ
فَعَجَّلْهَا لِي فِي الدُّنْيَا .

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : أَلَا قُلْتَ : هَرَبْنَا عَاتِبَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً
وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ؟ ^(١) ، فَقَالَهَا ، فَكَأَنَّمَا نَشِطَ مِنْ عِقَالٍ ، وَقَامَ صَحِيحاً وَخَرَجَ
مَعَنَا ...

وذكر الإمام بوادر كثيرة ممن ابتلوا بالأرض وانعاهات ، وعافاهم الله تعالى
ببركة النبي ﷺ . ومن بنود هذه المناظرة :

اليهودي: إِنَّ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ أَنْبَأُ قَوْمِهِ بِمَا يَأْكُلُونَ وَمَا يَدْخَرُونَ فِي بُيُوتِهِمْ .

لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ ، وَمُحَمَّدٌ فَعَلَ مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ إِنَّ عِيسَى أَنْبَأُ قَوْمَهُ بِمَا كَانَ مِنْ وَرَاءِ حَائِطٍ ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ أَنْبَأُ عَنْ مُؤْتَةٍ وَهُوَ عَنْهَا غَائِبٌ ، وَوَصَفَ حَرْبَهُمْ ، وَمَنْ اسْتَشْهَدَ مِنْهُمْ ، وَبَيَّنَّهُ وَبَيَّنَّهُمْ مَسِيرَةَ شَهْرٍ .

وَكَانَ يَأْتِيهِ الرَّجُلُ يُرِيدُ أَنْ يَسْأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَيَقُولُ ﷺ : تَقُولُ أَوْ أَقُولُ ؟ فَيَقُولُ : بَلْ قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَيَقُولُ : حِجَّتَنِي فِي كَذَا وَكَذَا حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ حَاجَتِهِ ، وَلَقَدْ كَانَ ﷺ يُخْبِرُ أَهْلَ مَكَّةَ بِأَسْرَارِهِمْ ، حَتَّى لَا يَتْرَكَ مِنْ أَسْرَارِهِمْ شَيْئًا ، مِنْهَا مَا كَانَ بَيْنَ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ ، وَبَيْنَ عُمَيْرِ بْنِ وَهَبٍ إِذْ أَتَاهُ عُمَيْرٌ ، فَقَالَ : حِنْتُ فِي فَكَالِكَ ابْنِي ، فَقَالَ لَهُ : كَذَبْتَ ، بَلْ قُلْتَ لِصَفْوَانَ ، وَقَدْ اجْتَمَعْتُمْ فِي الْحَطِيمِ ، وَذَكَرْتُمْ قَتْلِي بَنِي ، وَاللَّهِ لِلْمَوْتِ خَيْرٌ لَنَا مِنَ الْبَقَاءِ مَعَ مَا صَنَعَ مُحَمَّدٌ ﷺ بِنَا ، وَهَلْ حَيَاةٌ بَعْدَ أَهْلِ الْقَلِيبِ ؟ فَقُلْتَ أَنْتَ : لَوْلَا عِيَالِي وَدَيْنُ عَلِيٍّ لَأَرَحْنَاكَ مِنْ مُحَمَّدٍ ، فَقَالَ صَفْوَانُ : عَلِيٌّ أَنْ أَقْضِيَ دَيْنَكَ ، وَأَنْ أَجْعَلَ بَنَاتِي مَعَ بَنَاتِكَ يُصَيِّبُهُنَّ مَا يُصَيِّبُهُنَّ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، فَقُلْتَ أَنْتَ : فَارْكَبْنِي عَلِيٍّ وَجَهِّزْنِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأَقْتُلَهُ ، فَحِنْتُ لِنَقْتُلَنِي ، فَقَالَ : صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَشْبَاهُ هَذَا مِمَّا لَا يُخْصَى .

اليهودي: إِنَّ عِيسَى يَزْعُمُونَ أَنَّهُ خَلَقَ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَيَنْفِخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ قَدْ فَعَلَ مَا هُوَ أَشْبَهُ بِهِذَا : إِذْ أَخَذَ يَوْمَ حُنَيْنٍ حَجْرًا فَسَوَّغْنَا لِلْحَجَرِ تَسْبِيحًا وَتَقْدِيسًا ، ثُمَّ قَالَ لِلْحَجَرِ : انْفَلِقْ فَاَنْفَلَقَ ثَلَاثَ فَلَقٍ نَسْمَعُ لِكُلِّ فَلَقَةٍ مِنْهَا تَسْبِيحًا لَا يُسْمَعُ لِلْآخَرَى .

وَلَقَدْ بَعَثَ إِلَى شَجَرَةٍ يَوْمَ الْبَطْحَاءِ فَأَجَابَتْهُ، وَلِكُلِّ غُصْنٍ مِنْهَا تَسْبِيحٌ وَتَهْلِيلٌ وَتَقْدِيسٌ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: انْشَقِي، فَأَنْشَقَتْ نِصْفَيْنِ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: اِنْتَزِقِي فَأَنْتَزَقَتْ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: أَشْهَدِي لِي بِالنَّبُوءَةِ فَشَهِدَتْ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: اِرْجِعِي إِلَى مَكَانِكَ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّقْدِيسِ فَقَعَلَتْ، وَكَانَ مَوْضِعُهَا بِجَنْبِ الْجَزَارِينَ بِمَكَّةَ.

اليهودي: إِنَّ عِيسَى يَزْعُمُونَ أَنَّهُ كَانَ سِيَاحًا.

لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ كَانَتْ سِيَاحَتُهُ فِي الْجِهَادِ وَاسْتَنْفَرٍ فِي عَشْرِ سِنِينَ مَا لَا يُخْصَى مِنْ حَاضِرٍ وَبَادٍ، وَأَفْنَى فِتْنَامًا مِنَ الْعَرَبِ مِنْ مَنُوعَاتِ بِالسَّيْفِ... وذلك لنشر كلمة التوحيد ..

اليهودي: إِنَّ عِيسَى يَزْعُمُونَ كَانَ زَاهِدًا.

لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ أَزْهَدَ الْأَنْبِيَاءِ، كَانَ لَهُ ثَلَاثُ عَشْرَةَ زَوْجَةً سِوَى مَنْ يُطِيفُ بِهِ مِنَ الْأَمَاءِ، مَا رُفِعَتْ لَهُ مَائِدَةٌ قَطُّ وَعَلَيْهَا طَعَامٌ، وَمَا أَكَلَ خُبْزَ بُرٍّ قَطُّ، وَلَا شَبَعَ مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ ثَلَاثَ لَيَالٍ مُتَوَالِيَاتٍ قَطُّ، تُوفِّي وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِأَرْبَعَةِ دَرَاهِمٍ، مَا تَرَكَ صَفَرَاءَ وَلَا بَيْضَاءَ مَعَ مَا وَطَنَ لَهُ مِنَ الْبِلَادِ، وَمَكَّنَ لَهُ مِنْ غَنَائِمِ الْعِبَادِ، وَلَقَدْ كَانَ يُقَسِّمُ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفٍ أَوْ أَرْبَعُمِائَةِ أَلْفٍ، وَيَأْتِيهِ السَّائِلُ بِالْعِشِيِّ فَيَقُولُ: وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ مَا أَمْسَى فِي آلِ مُحَمَّدٍ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَلَا صَاعٌ مِنْ بُرٍّ، وَلَا دِرْهَمٍ، وَلَا دِينَارٍ.

وانتهت هذه المناظرة التي حفلت بتفوق الرسول ﷺ على سائر الأنبياء وامتيازه عليهم بما منحه الله وآتاه من الطاقات الهائلة في ميادين الفضائل التي لا حدَّ لها، وقد أسلم اليهودي، وقال :

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّهُ مَا أُعْطِيَ اللَّهُ نَبِيًّا دَرَجَةً ، وَلَا مَرْسَلًا قَضِيْلَةً إِلَّا وَقَدْ جَمَعَهَا لِمُحَمَّدٍ ﷺ ، وَزَادَ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَصْغَفًا .

وبهر خبر الأئمة عبد الله بن عباس من حديث الإمام وقال : أشهد يا أبا الحسن إنك من الراسخين في العلم .

فقال له الإمام :

وَمَا لِي لَا أَقُولُ مَا ثَلُثْتُ فِي نَفْسِي مَنِ اسْتَعْلَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي عَظَمَتِهِ فَقَالَ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقِي عَظِيمٌ ﴾ ^{(١)(٢)} .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض مناظرات الإمام واحتجاجاته مع اليهود وقد حفلت بأروع الأدلة ، وأكثرها إصالة ، مما دعا اليهود الذين سألوه وحاججوه إلى إعلان الإسلام واعتناقه .

(١) القلم : ٤ .

(٢) بحار الأنوار ١٠ : ٢٨ - ٤٨ . الاحتجاج ١١١ - ١٢٠ .



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

مِنْ أَخْطَرِهَا
مَعَ الزَّكَادِقَةِ



مرکز تحقیقات کتب و تراث علوم اسلامی

كان الإمام عليه السلام هو المتصدي الوحيد لإبطال الشبه والأوهام التي تحرم حول الإسلام في تشريعاته وأحكامه ، والتي أثارها الحاقدون على انتصاره ، واقبال الناس أفواجا على اعتناقه ، ومن المؤكد انه ليس هناك أفدر ولا أولى من حماية الإسلام سوى الإمام عليه السلام ، فقد احاط بفلسفة التشريع الإسلامي ، ووقف على دقائقه ومحتوياته وانه ليس هناك أي تناقض أو تضاد في جميع تشريعاته التي تواكب الفطرة ، وتساير الطبيعة ، وتتفق مع سنن الكون ، ونعرض لبعض شبهات الزنادقة والمنحرفين والمنجمين ، وإبطال الإمام عليه السلام لها .



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

مع زنديق

وفد على الإمام عليه السلام زنديق ، وقد اترعت نفسه بالأوهام حول الإسلام ، فزعم أن هناك تضارباً وتعارضاً في آيات القرآن الكريم ، فقال للإمام :
لولا ما في القرآن من الاختلاف والتناقض لدخلت في دينكم وسارع الإمام قائلاً :

«ما هو ؟» .

عرض الزنديق على الإمام عليه السلام ما التبس عليه من الآيات وهي :
قوله تعالى : ﴿ تَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ ^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ فَالْيَوْمَ نَنَسَاهُمْ كَمَا تَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا ﴾ ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رُبُّكَ نَسِيًّا ﴾ ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْفَلَانِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ ^(٤) .

(١) التوبة : ٦٧ .

(٢) الأعراف : ٥١ .

(٣) مريم : ٦٤ .

(٤) النبأ : ٣٨ .

وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ ^(١).

وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمُ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمُ بَعْضًا ﴾ ^(٢).

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ذَلِكَ لَعَقُوبَةٌ لِّأَهْلِ النَّارِ ﴾ ^(٣).

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ ﴾ ^(٤).

وقوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ^(٥).

وقوله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ^(٦).

وقوله تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ... ﴾ ^(٧).

وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَمَاهُ فَرَزَقٌ أُخْرَى * عِنْدَ سِنْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴾ ^(٨).

وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ ^(٩).

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِيَبْشِرَ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ... ﴾ ^(١٠).

(١) الأنعام: ٢٣.

(٢) العنكبوت: ٢٥.

(٣) ص: ٦٤.

(٤) ق: ٢٨.

(٥) يس: آية ٦٥.

(٦) القيامة: ٢٢ - ٢٣.

(٧) الأنعام: ١٠٣.

(٨) النجم: ١٣ - ١٤.

(٩) طه: ١٠٩.

(١٠) الشورى: ٥١.

وقوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَخْجُونُونَ ﴾ ^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ... ﴾ ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴾ ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَعْقِبْنَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ ... ﴾ ^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ قَمَنَ كَانِ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ ﴾ ^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاعِدُوهَا ﴾ ^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿ وَتَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ ^(٧) .

وقوله تعالى : ﴿ قَمَنَ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ ، ﴿ وَمَنْ حَقَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾ ^(٨) .

وانبرى الإمام عليه السلام إلى تفسير هذه الآيات بما يرفع التعارض المتوهم :

أَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ إِنَّمَا يَعْنِي نَسُوا اللَّهَ فِي دَارِ الدُّنْيَا ، لَمْ يَفْعَلُوا بِطَاعَتِهِ فَنَسِيَهُمْ فِي الْآخِرَةِ أَي لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ فِي ثَوَابِهِ شَيْئاً فَصَارُوا مَنَسِيِينَ مِنَ الْخَيْرِ .

وَكَذَلِكَ تَفْسِيرُ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ

(١) المطففين : ١٥ .

(٢) الأنعام : ١٥٨ .

(٣) السجدة : ١٠ .

(٤) التوبة : ٧٧ .

(٥) الكهف : ١١٠ .

(٦) الكهف : ٥٢ .

(٧) الأنبياء : ٤٧ .

(٨) المؤمنون : ١٠٢ - ١٠٣ .

هَذَا. يَعْنِي بِالنَّشْيَانِ أَنَّهُ لَمْ يُثْبِتْهُمْ كَمَا يُثْبِتُ أَوْلِيَائَهُ الَّذِينَ كَانُوا فِي دَارِ الدُّنْيَا مُطِيعِينَ ذَاكِرِينَ حِينَ آمَنُوا بِهِ وَبِرُسُلِهِ ، وَخَافُوهُ بِالْقَنَيبِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ فَإِنَّ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى غُلُوًّا كَبِيرًا لَيْسَ بِالَّذِي يَنْسَى وَلَا يَغْفُلُ بَلْ هُوَ الْحَقِيقُ الْعَلِيمُ ، وَقَدْ يَقُولُ الْقَرَبُ فِي بَابِ النَّشْيَانِ قَدْ نَسِينَا فَلَانُ فَلَا يَذْكُرُنَا ، أَيْ أَنَّهُ لَا يَأْمُرُ لَنَا بِخَيْرٍ وَلَا يَذْكُرُنَا بِهِ فَهَلْ فَهِمْتَ مَا ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ؟

قَالَ : نَعَمْ ، فَرَجَّحْتَ عَنِّي فَزَجَّ عَنْكَ وَحَلَلْتَ عَنِّي عَقْدَةَ فِعْظِ اللَّهِ أَجْرَكَ . قَالَ : وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أُوذِنَ لَهُ الرُّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ .

وقوله : ﴿ وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ .

وقوله : ﴿ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ .

وقوله : ﴿ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾ .

وقوله : ﴿ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴾ .

وقوله : ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ، فَإِنَّ ذَلِكَ فِي مَوَاطِنٍ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ مَوَاطِنِ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ .

المراد : يَكْفُرُ - أهل المعاصي - بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَيَلْعَنُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَالْكَفْرُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ « الْبِرَاءَةُ » تَقُولُ : فَتَبَرًّا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، وَنَظِيرُهَا فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ ، قَوْلُ الشَّيْطَانِ : ﴿ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ ﴾ ^(١) ، وَقَوْلُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ : ﴿ كَفَرْنَا بِكُمْ ﴾

يَعْنِي تَبَرُّأَنَا مِنْكُمْ.

اجتماع العباد في مواطن :

وأفاد الإمام عليه السلام أَنَّ العباد يجتمعون يوم القيامة في مواطن متعددة وهي :

== ثُمَّ يَجْتَمِعُونَ فِي مَوْطِنٍ آخَرَ فَيُسْتَنْطَقُونَ وَيَبْكُونَ فِيهِ ، قَالُوا أَنَّ تِلْكَ الْأَصْوَاتَ بَدَتْ لِأَهْلِ الدُّنْيَا لِأَذْهَلَتْ جَمِيعَ الْخَلْقِ عَنْ مَعَايِشِهِمْ ، وَلَتَصَدَّعَتْ قُلُوبُهُمْ ... الخ .

== ثُمَّ يَجْتَمِعُونَ فِي مَوْطِنٍ آخَرَ فَيُسْتَنْطَقُونَ فِيهِ ، فَيَقُولُونَ : ﴿ وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ وَهَؤُلَاءِ خَاصَّةٌ هُمُ الْمُقَرَّبُونَ فِي دَارِ الدُّنْيَا بِالتَّوْحِيدِ ، فَلَا يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ بِاللَّهِ لِمُخَالَفَتِهِمْ رُسُلَهُ وَشَكِّهِمْ فِيْمَا أَنْتَوَا بِهِ عَنْ رَبِّهِمْ ، وَنَقْضِهِمْ عَهْدَهُمْ فِي أَوْصِيَانَتِهِمْ ، وَاسْتِنْدَالِهِمُ الَّذِي هُوَ أَذْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ، فَكَذَّبَهُمُ اللَّهُ فِيْمَا اتَّخَلَوْهُ مِنَ الْإِيْمَانِ بِقَوْلِهِ : ﴿ انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾ ^(١) فَيَخْتِمُ اللَّهُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ ، وَيَسْتَنْطِقُ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلَ وَالْجُلُودَ فَتَشْهَدُ بِكُلِّ مَعْصِيَةٍ كَانَتْ مِنْهُمْ ، ثُمَّ يُرْفَعُ عَنْ أَلْسِنَتِهِمُ الْحُكْمُ ، فَيَقُولُونَ لِبُجُلُودِهِمْ : لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ؟ قَالُوا : أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ .

== ثُمَّ يَجْتَمِعُونَ فِي مَوْطِنٍ آخَرَ فَيُسْتَنْطَقُونَ ، فَيَفِرُّ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴾ ^(٢) فَيُسْتَنْطَقُونَ فَلَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ ...

(١) الأنعام : ٢٤ .

(٢) عبس : ٣٤ - ٣٦ .

ثُمَّ يَجْتَمِعُونَ فِي مَوْطِنٍ آخَرَ يُسْتَنْقِضُ فِيهِ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ وَأَصْفِيَائُهُ، فَلَا يَتَكَلَّمُ أَحَدُ إِلَّا مَنْ أَوْزَنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا، فَيَقُومُ الرُّسُلُ فَيَسْأَلُونَ عَنِ تَأْيِيدِ الرِّسَالَةِ الَّتِي حَمَلُوهَا إِلَىٰ أُمَمِهِمْ، وَتَسْأَلُ الْأُمَمُ فَيَتَجَحَّدُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَنَسْتَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْتَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾^(١) فَيَقُولُونَ: ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾^(٢) فَتَشْهَدُ الرُّسُلُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَشْهَدُ بِصِدْقِ الرُّسُلِ، وَتَكْذِيبِ مَنْ جَحَدَهَا مِنَ الْأُمَمِ، فَيَقُولُ: لِكُلِّ أُمَّةٍ مِنْهُمْ: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أَيُّ مُقْتَدِرٍ عَلَىٰ شَهَادَةِ جَوَارِحِكُمْ عَلَيْكُمْ بِتَبْلِيغِ الرُّسُلِ إِلَيْكُمْ رِسَالَاتِهِمْ، كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^(٣) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّ شَهَادَتِهِ، خَوْفًا مِنْ أَنْ يَخْتِمَ اللَّهُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ، وَتَشْهَدَ عَلَيْهِمْ جَوَارِحُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ، وَيَشْهَدُ عَلَىٰ مُنَافِقِي قَوْمِهِ وَأُمَّتِهِ وَكُفَّارِهِمْ بِالْحَادِثِمْ وَعِنَادِهِمْ، وَتَقْضِيهِمْ غَنَدَهُ، وَتَغْيِيرِهِمْ سُنَّتَهُ، وَاعْتِدَائِهِمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَانْقِلَابِهِمْ عَلَىٰ أَغْيَابِهِمْ وَازْدِيَادِهِمْ عَلَىٰ أَذْيَابِهِمْ، وَاخْتِلَائِهِمْ فِي ذَلِكَ سُنَّةَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ الْأُمَمِ الظَّالِمَةِ الْخَائِنَةِ لِأَنْبِيَائِهَا، فَيَقُولُونَ بِأَجْمَعِهِمْ: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾^(٤).

ثُمَّ يَجْتَمِعُونَ فِي مَوْطِنٍ آخَرَ يَكُونُ فِيهِ مَقَامُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَهُوَ «الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ» فَيُنْثِي عَلَى اللَّهِ بِمَا لَمْ يُنْثِرْ عَلَيْهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ، ثُمَّ يُنْثِي عَلَى

(١) الأعراف: ٦.

(٢) المائدة: ١٩.

(٣) النساء: ٤١.

(٤) المؤمنون: ١٠٦.

الْمَلَائِكَةِ كُلِّهِمْ ، فَلَا يَبْقَىٰ مَلَكٌ إِلَّا أَثْنَىٰ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ ، ثُمَّ يُنْفِي عَلَى الْأَنْبِيَاءِ ، بِمَا لَمْ يَثْنِ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ قَبْلَهُ ، ثُمَّ يُنْفِي عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ يَبْدَأُ بِالْعَدِيدِيَيْنِ وَالشَّهَدَاءِ ثُمَّ الصَّالِحِينَ ، فَيَحْمَدُهُ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَأَهْلُ الْأَرْضِينَ ، قَدْ لِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّخْمُودًا ﴾ (١) .

فَطُوبَى لِمَنْ كَانَ لَهُ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ حَقٌّ وَنَصِيبٌ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ حَقٌّ وَلَا نَصِيبٌ .

== ثُمَّ يَجْتَمِعُونَ فِي مَوْطِنٍ آخَرَ ، وَيُزَالُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ ، وَهَذَا كُلُّهُ قَبْلَ الْحِسَابِ ، فَإِذَا أَخَذَ فِي الْحِسَابِ شُغِلَ كُلُّ إِنْسَانٍ بِمَا لَدَيْهِ ، نَسَأَلَ اللَّهُ بَرَكَاتِ ذَلِكَ الْيَوْمِ .

لقد عرض الإمام عليه السلام إلى تفصيل المواقف التي يقف بها العباد في يوم القيامة وذلك قبل يوم الحساب ، ولا أظن أن رواية وردت عن أئمة الهدى عليه السلام عرضت لذلك بصورة مفصلة .

ثم يأخذ الإمام عليه السلام في تفسير الآيات التي سُئِلَ عنها وغيرها فيقول :

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ذَلِكَ فِي مَوْضِعٍ يَنْتَهِي فِيهِ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدَمَا يَفْرُغُ مِنَ الْحِسَابِ إِلَى نَهْرٍ يُسَمَّى « نَهْرَ الْحَيَوَانِ » فَيَفْتَسِلُونَ مِنْهُ ، وَيَشْرَبُونَ مِنْ آخَرٍ ، فَيَبْيَضُّ وَجُوهُهُمْ فَيَذْهَبُ عَنْهُمْ كُلُّ أَدْنَىٰ وَقْدَىٰ وَوَعْبٍ ، ثُمَّ يُؤْمَرُونَ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ ، فَيُؤْنِ هَذَا الْمَقَامِ يَنْظُرُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ - أَيِ إِلَىٰ عَطَائِهِ كَيْفَ يُؤْنِئُهُمْ ، وَمِنْهُ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي تَسْلِيمِ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمْ : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ

طِبْنُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿١﴾، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَتَيْنُوا بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، وَالنَّظَرِ
إِلَى مَا وَعَدَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ أَيِ
مُنْتَظِرَةٌ... الخ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ يَغْنِي
مُحَمَّدًا ﷺ كَانَ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى حَيْثُ لَا يُجَاوِزُهَا خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ، وَقَوْلُهُ فِي آخِرِ الْآيَةِ: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ
آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ (٢) رَأَى جِبْرِئِيلَ فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ هَذِهِ مَرَّةً وَمَرَّةً
أُخْرَى، وَذَلِكَ أَنَّ خَلْقَ جِبْرِئِيلَ خَلْقٌ عَظِيمٌ فَهُوَ مِنَ الرُّوحَانِيِّينَ الَّذِينَ لَا
يُدْرِكُ خَلْقَهُمْ وَلَا صِفَتَهُمْ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَمَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُلْغِيَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ
أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ...﴾ (٣)، كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى،
وَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ يُوحِي إِلَيْهِ رُسُلٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتَبْلُغُ رُسُلُ السَّمَاءِ إِلَى
الْأَرْضِ، وَقَدْ كَانَ الْكَلَامُ بَيْنَ رُسُلِ أَهْلِ الْأَرْضِ وَبَيْنَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُرْسَلَ
بِالْكَلَامِ مَعَ رُسُلِ أَهْلِ السَّمَاءِ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا جِبْرِئِيلُ،
هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟

فَقَالَ جِبْرِئِيلُ: إِنَّ رَبِّي لَا يُرَى.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مِنْ أَيْنَ تَأْخُذُ الْوَحْيَ؟

قَالَ: أَخْذُهُ مِنْ إِسْرَافِيلَ.

(١) الزمر: ٧٣.

(٢) النجم: ١٧ - ١٨.

(٣) الشورى: ٥١.

قَالَ ، وَمِنْ أَيْنَ يَأْخُذُهُ إِسْرَافِيلُ ؟

قَالَ : يَأْخُذُهُ مِنْ مَلَكٍ فَوْقَهُ مِنَ الرُّوحَانِيِّينَ .

قَالَ ، وَمِنْ أَيْنَ يَأْخُذُهُ ذَلِكَ الْمَلَكُ ؟

قَالَ : يُقَذِّفُ فِي قَلْبِهِ قَذْفًا قَهْدًا وَخِيً ، وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَكَلَامُ اللَّهِ لَيْسَ يَنْخَوِ وَاحِدٌ ؛

مِنْهُ مَا كَلَّمَ اللَّهُ بِهِ الرُّسُلَ .

وَمِنْهُ مَا قُدِّفَ فِي قُلُوبِهِمْ .

وَمِنْهُ رُؤْيَا يَرَاهَا الرُّسُلُ .

وَمِنْهُ وَخِيً وَتَنْزِيلُ يُتْلَى وَيُقْرَأُ ، فَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ كَذَبُوا عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ ^(١) فَإِنَّمَا يَغْنِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ ثَوَابِ رَبِّهِمْ لَمَحْجُوبُونَ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ ^(٢) يُخْبِرُ مُحَمَّدًا ﷺ عَنِ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ فَقَالَ : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ وَحَيْثُ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ قَالَ : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ الْعَذَابُ يَأْتِيهِمْ فِي دَارِ الدُّنْيَا ، كَمَا عَذَّبَ فِي الْقُرُونِ الْأُولَى ، فَهَذَا خَبَرٌ يُخْبِرُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ عَنْهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ يَوْمَ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامِنَتْ مِنْ

(١) المطففين : ١٥ .

(٢) الأنعام : ١٥٨ .

قَبْلُ ﴿ يَغْنِي لَمْ تَكُنْ آمَنْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَهُ الْآيَةُ ﴾ ، وَهِيَ طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا .

وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى : ﴿ فَأَتَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ ^(١) يَغْنِي أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ عَذَابًا ، وَكَذَلِكَ إِثْبَانُهُ بُنْيَانُهُمْ حَيْثُ قَالَ : ﴿ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ﴾ ^(٢) يَغْنِي أَرْسَلَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴾ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ فَأَعْقَبْتُهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ يَغْنِي : الْبَغْثُ ، فَسَمَاهُ لِقَاءً .

كَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَكَ ﴾ ^(٣) يَغْنِي : مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ أَنَّهُ مَبْعُوثٌ فَإِنْ وَعَدَ اللَّهُ لَكَ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ، قَالَ لِقَاءُ هَاهُنَا لَيْسَ بِالرُّؤْيَا ، وَاللِّقَاءُ هُوَ الْبَغْثُ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا ﴾ يَغْنِي تَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَهَا .

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ ﴾ ^(٤) .

وَأَمَّا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُنَافِقِينَ : ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنَّنَا ﴾ ^(٥) ، فَهُوَ ظَنُّ

(١) الحشر : ٢ .

(٢) النحل : ٢٦ .

(٣) العنكبوت : ٥ .

(٤) الحاقة : ٢٠ .

(٥) الأحزاب : ١٠ .

شَكُّ وَلَيْسَ ظَنُّ يَقِينٍ، وَالظَّنُّ ظَنَانٍ: ظَنُّ شَكٍّ، وَظَنُّ يَقِينٍ، فَمَا كَانَ مِنْ
أَمْرِ الْمَعَادِ مِنَ الظَّنِّ فَهُوَ ظَنُّ يَقِينٍ، وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فَهُوَ ظَنُّ شَكٍّ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ
نَفْسٌ شَيْئًا﴾ فَهُوَ مِيزَانُ الْعَدْلِ، يُؤْخَذُ بِهِ الْخَلَائِقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُدِينُ اللَّهُ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْخَلَائِقَ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَيَجْزِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ، وَيَقْتَضِ
لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ.

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ وَ: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾، فَهُوَ
قِلَّةُ الْحِسَابِ وَكَثْرَتُهُ، وَالنَّاسُ يَوْمَنِيذٍ عَلَى طَبَقَاتٍ وَمَنَازِلٍ:

فَمِنْهُمْ مَنْ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً، وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً.

وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِفَئِرٍ حِسَابٍ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَلَبَّسُوا مِنْ أَمْرِ
الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا الْحِسَابُ هُنَاكَ عَلَى مَنْ تَلَبَّسَ بِهَا هَاهُنَا.

وَمِنْهُمْ مَنْ يُحَاسَبُ عَلَى النَّقِيرِ وَالْقَطْمِيرِ، وَيَصِيرُ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ.

وَمِنْهُمْ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَقَادَةُ الضَّلَالَةِ، فَأُولَئِكَ لَا يُقِيمُ لَهُمْ وَزْنًا، وَلَا يُغْنَى بِهِمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ وَتُلْفَعُ وُجُوهُهُمْ النَّارُ، وَهُمْ فِيهَا
كَالْحُورِ.

الزندان :

= أجد الله يقول: ﴿قُلْ يَتُوفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾^(١).

وفي موضع آخر يقول: ﴿اللَّهُ يَتُوفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾^(٢).

(١) السجدة: ١١.

(٢) الزمر: ٤٢.

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾^(١) وما أشبه ذلك ، فمرة يجعل الفعل لنفسه ، ومرة لملك الموت ، ومرة للملائكة .

= أجده يقول : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾^(٢) .

ويقول : ﴿وَإِنِّي لَفَقَارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾^(٣) ، ففي الآية الأولى أنَّ الأعمال الصالحة لا تُكفر .

وفي الثانية أنَّ الإيمان والأعمال الصالحات لا تنفع إلا بعد الإعتداء .

= وأجده يقول : ﴿وَسُئِلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾^(٤) كيف يسأل الحي من الأموات قبل البعث والنشور ؟

= أجده يقول : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(٥) فما هذه الأمانة ، ومن هذا الإنسان ، وليس من صفة العزيز العليم التلبيس على عباده ؟

= أجده قد شهر هفوات أنبيائه بقوله : ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾^(٦) .

ويستكذبه نوحاً لما قال : ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾^(٧) بقوله : ﴿أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾^(٨) .

(١) النحل : ٣٢ .

(٢) الأنبياء : ٩٤ .

(٣) طه : ٨٢ .

(٤) الزخرف : ٤٥ .

(٥) الأحزاب : ٧٢ .

(٦) طه : ١٢١ .

(٧) هود : ٤٥ .

(٨) هود : ٤٦ .

وبوصفه إبراهيم بأنه عبد كوكباً مَرَّةً ، ومَرَّةً قمرأً ، ومَرَّةً شمساً .

ويقوله في يوسف : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ ^(١) .

وبتهجينه موسى حيث قال : ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي ﴾ ^(٢) .

وبيعنه جبرئيل وميكائيل على داؤد حيث تسوّرا المحراب ، ويحبسه يونس في بطن الحوت حيث ذهب مغضباً ، وأظهر خطأ الأنبياء وزللهم ، ووارى اسم من اغتر وفتن خلقاً وضل وأضل ، وكنى عن أسمائهم في قوله : ﴿ وَيَوْمَ يَقُصُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ﴾ ^(٣) فمن هذا الظالم الذي لم يذكر من اسمه ماذكر من أسماء الأنبياء ؟

= وأجده يقول : ﴿ وَجَاءَ رِبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً ﴾ ^(٤) .

و ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ ^(٥) .

و ﴿ لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى ﴾ ^(٦) فمَرَّةً يعيبتهم ومَرَّةً يعيبتونه .

= وأجده يقول : ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ ^(٧) فما هذا النعيم الذي

يسأل العباد عنه ؟

(١) يوسف : ٢٤ .

(٢) الأعراف : ١٤٣ .

(٣) الفرقان : ٢٧ - ٢٩ .

(٤) الفجر : ٢٢ .

(٥) الأنعام : ١٥٨ .

(٦) الأنعام : ٩٤ .

(٧) التكاثر : ٨ .

= وأجده يقول: ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ﴾^(١) ما هذه البقية؟

= وأجده يقول: ﴿يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾^(٢).

و ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾^(٣).

﴿كُلُّ شَيْءٍ مَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(٤).

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾^(٥).

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾^(٦)، ما معنى الجنب والوجه

واليمين والشمال فإن الأمر في ذلك ملتبس جداً؟

= وأجده يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٧).

ويقول: ﴿عَالِمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾^(٨).

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ﴾^(٩).

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾^(١٠).

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(١١).

(١) هود: ٨٦.

(٢) الزمر: ٥٦.

(٣) البقرة: ١١٥.

(٤) القصص: ٨٨.

(٥) الواقعة: ٢٧.

(٦) الواقعة: ٤١.

(٧) طه: ٥.

(٨) الملك: ١٦.

(٩) الزخرف: ٨٤.

(١٠) الحديد: ٤.

(١١) ق: ١٦.

﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِعُهُمْ ﴾ ^(١).

= وأجده يقول: ﴿وإن خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ ^(٢) وليس يشبه القسط في اليتامى من نكاح النساء ولا كل النساء أيتام فما معنى ذلك؟

= وأجده يقول: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ^(٣) فكيف يظلم الله؟ ومن هؤلاء الظلمة؟

= وأجده يقول: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾ ^(٤) ما هذه الواحدة؟

= أجده يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ^(٥) وأرى مخالفين الإسلام، معتكفين على باطلهم غير مقلعين عنه، وأرى غيرهم من أهل الفساد مختلفين في مذاهبهم يلعن بعضهم بعضاً، فأبي موضع للرحمة العامة لهم المشتملة عليهم؟
= أجده قد بين فضل نبيه على سائر الأنبياء، ثم خاطبه في أضعاف ما أننى عليه في الكتاب من الإزراء عليه، وانتقاص محله، وغير ذلك من تهجينه وتأنيبه ما لم يخاطب أحداً من الأنبياء، مثل قوله:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ^(٦).

وقوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾ ^(٧).

(١) المجادلة: ٧.

(٢) النساء: ٣.

(٣) الأعراف: ١٦٠.

(٤) سبأ: ٤٦.

(٥) الأنبياء: ١٠٧.

(٦) الأنعام: ٣٥.

(٧) الإسراء: ٧٤.

﴿إِذَنْ لَأَذْنُكَ ضِعْفُ الْحَيَاةِ وَضِعْفُ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾^(١).

وقوله: ﴿وَتُخَفِّي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾^(٢).

وقوله: ﴿وَمَا أَدْرِ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾^(٣).

وقال: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٤).

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾^(٥)، فإذا كانت الأشياء تحصى في الإمام وهو وصي النبي، فالنبي أولى أن يكون بعيداً من الصفة التي قال فيها: ﴿وَمَا أَدْرِ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ وهذه كلها صفات مختلفة، وأحوال متناقضة، وأمور مشككة، فإن يكن الرسول والكتاب حقاً فقد هلكت لشكّي في ذلك، وإن كانا باطلين فما علي من بأس؟

جواب الإمام:

وانبرى الإمام ﷺ إلى تفنيد هذه الشبه والأوهام، قائلاً:

«سَأُثَبِّتُكَ بِتَأْوِيلِ مَا سَأَلْتَ»، وفيما يلي ذلك:

أما قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾.

وقوله: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ﴾.

﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾.

(١) الإسراء: ٧٥.

(٢) الأحزاب: ٣٧.

(٣) الأحقاف: ٩.

(٤) الأنعام: ٣٨.

(٥) يس: ١٢.

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُم الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ ^(١) فَهُوَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَجَلُ
وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ، وَقَعَلَ رُسُلَهُ وَمَلَائِكَتَهُ فِعْلَهُ لِأَنَّهُمْ
بِأَمْرِهِ يَفْعَلُونَ، فَاضْطَفَى جَلَّ ذِكْرُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَسَفَرَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ
خَلْقِهِ، وَهُمْ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿اللَّهُ يَضْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ
النَّاسِ﴾ ^(٢) فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الطَّاعَةِ تَوَلَّتْ قَبْضَ رُوحِهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ،
وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ تَوَلَّتْ قَبْضَ رُوحِهِ مَلَائِكَةُ النَّفْثَةِ، وَلَمَّا كَانَ
الْمَوْتُ أَغْوَانُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الرَّحْمَةِ وَالنَّفْثَةِ يَصُدُّونَ عَنْ أَمْرِهِ، وَفِعْلُهُمْ
فِعْلُهُ، وَكُلُّ مَا يَأْتُونَهُ مَنُشُوبٌ إِلَيْهِ، وَإِذَا كَانَ فِعْلُهُمْ فِعْلَ مَلِكِ الْمَوْتِ،
وَفِعْلَ مَلِكِ الْمَوْتِ فِعْلَ اللَّهِ لِأَنَّهُ يَقْوَى الْأَنْفُسَ عَلَى يَدٍ مَنْ يَشَاءُ، وَيُعْطِي
وَيَمْنَعُ، وَيُصِيبُ وَيُعَاقِبُ عَلَى يَدٍ مَنْ يَشَاءُ، وَإِنْ فِعْلَ أَمْنَائِهِ فِعْلُهُ كَمَا قَالَ:
﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ^(٣).

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ
لِسَعْيِهِ﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ فَإِنْ ذَلِكَ
كُلُّهُ لَا يُغْنِي إِلَّا مَعَ الْإِهْتِدَاءِ، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ وَقَعَ عَلَيْهِ اسْمُ الْإِيمَانِ كَانَ
حَقِيقًا بِالنَّجَاةِ مِمَّا هَلَكَ بِهِ الْغَوَاةُ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَنَجَبَتِ الْيَهُودُ مَعَ
اعْتِرَافِهَا بِالتَّوْحِيدِ، وَإِقْرَارِهَا بِاللَّهِ، وَنَجَا سَائِرَ الْمُقَرَّرِينَ بِالْوَحْدَانِيَّةِ،
مِنْ إِبْلِيسَ فَمَنْ دُونَهُ بِالْكَفْرِ، وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ:

(١) النحل: ٢٨.

(٢) الحج: ٧٥.

(٣) الإنسان: ٣٠.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(١).

وَيَقُولُ: ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾^(٢)،
وَلِلْإِيمَانِ حَالَاتٌ وَمَنَازِلُ يَطُولُ شَرْحُهَا. وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْإِيمَانَ قَدْ يَكُونُ
عَلَى وَجْهَيْنِ:

إِيمَانٌ بِالْقَلْبِ وَإِيمَانٌ بِاللِّسَانِ، كَمَا كَانَ إِيمَانُ الْمُنَافِقِينَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ
اللَّهِ لَمَّا قَهَرَهُمُ بِالسَّيْفِ، وَشَمَلَهُمُ الْخَوْفُ فَإِنَّهُمْ آمَنُوا بِالنَّسْتِيبَةِ، وَلَمْ
تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ، فَالْإِيمَانُ بِالْقَلْبِ هُوَ التَّسْلِيمُ لِلرَّبِّ، وَمَنْ سَلَّمَ الْأُمُورَ
لِمَالِكِهَا لَمْ يَسْتَكْبِرْ عَنْ أَمْرِهِ، كَمَا اسْتَكْبَرَ إِبْلِيسُ عَنِ السُّجُودِ لِآدَمَ،
وَاسْتَكْبَرَ أَكْثَرُ الْأُمَمِ عَنِ طَاعَةِ أَنْبِيَائِهِمْ، فَلَمْ يَنْفَعَهُمُ التَّوَجُّيدُ، كَمَا لَمْ
يَنْفَعِ إِبْلِيسَ ذَلِكَ السُّجُودُ الطَّوِيلُ، فَإِنَّهُ سَجَدَ سَجْدَةً وَاحِدَةً أَرْبَعَةَ آلَافٍ
عَامٍ، وَلَمْ يُرِدْ بِهَا غَيْرَ زُخْرُفِ الدُّنْيَا، وَالتَّمَكُّينَ مِنَ النَّظَرَةِ، فَلِذَلِكَ
لَا تَنْفَعُ الصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ إِلَّا مَعَ الْإِهْتِدَاءِ إِلَى سَبِيلِ النُّجَاةِ، وَطُرُقِ الْحَقِّ،
وَقَدْ قَطَعَ اللَّهُ عُنْدَ عِبَادِهِ بِتَبْيِينِ آيَاتِهِ، وَإِرْسَالِ رُسُلِهِ، لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ
عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ، وَلَمْ يُخْلِ أَرْضَهُ مِنْ عَالِمٍ بِمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ
الْحَقِيقَةُ، وَمَتَّعَهُمْ عَلَى سَبِيلِ النُّجَاةِ، أُولَئِكَ هُمُ الْأَقْلَوْنَ عَدَدًا، وَقَدْ بَيَّنَّ
اللَّهُ ذَلِكَ فِي أَمْرِ الْأَنْبِيَاءِ وَجَعَلَهُمْ مَثَلًا لِمَنْ تَأَخَّرَ، مِثْلَ قَوْلِهِ فِي قَوْمِ نُوحٍ:
﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(٣).

(١) الْأَنْعَامُ: ٨٢.

(٢) الْمَائِدَةُ: ٤١.

(٣) هُود: ٤٠.

وَقَوْلُهُ فَيَمَنَ آمَنَ مِنْ أُمَّةٍ مُوسَى : ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ ^(١).

وَقَوْلُهُ فِي حَوَارِي عِيسَى حَيْثُ قَالَ لِسَائِرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ : ﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ ^(٢) يَغْنِي : بِأَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ لِأَهْلِ الْفَضْلِ فَضْلَهُمْ ، وَلَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ أَمْرٍ رَبَّهُمْ فَمَا أَحَابَهُ - أَيِ عِيسَى - مِنْهُمْ إِلَّا الْحَوَارِيُّونَ .

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِلْعَلَمِ أَهْلًا ، وَفَرَضَ عَلَى الْعِبَادِ طَاعَتَهُمْ بِقَوْلِهِ : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ^(٣).

وَيَقُولُهُ : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ ^(٤).

وَيَقُولُهُ : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ ^(٥).

وَيَقُولُهُ : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالزَّاسِحُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ ^(٦) ﴿ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ ^(٧) ، وَالْبُيُوتُ هِيَ بُيُوتُ الْعِلْمِ الَّتِي اسْتَوْدَعَهُ الْأَنْبِيَاءُ ، وَأَبْوَابُهَا أَوْصِيَاؤُهُمْ ، فَكُلُّ مَنْ عَمِلَ مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ فَجَرَى عَلَى

(١) الأعراف : ١٥٩ .

(٢) آل عمران : ٥٢ .

(٣) النساء : ٥٩ .

(٤) النساء : ٨٣ .

(٥) التوبة : ١٢٩ .

(٦) آل عمران : ٧ .

(٧) البقرة : ١٨٩ .

غَيْرِ آيِدِي أَهْلِ الْأَضْطِفَاءِ وَعُهُودِهِمْ وَشَرَائِعِهِمْ وَسُنَنِهِمْ وَمَسَالِمِ دِينِهِمْ
مَرْذُودٌ وَغَيْرُ مَقْبُولٍ، وَأَهْلُهُ بِمَحَلِّ كُفْرٍ، وَإِنْ شَمِلَتْهُمْ صِفَةُ الْإِيمَانِ، أَلَمْ
تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنْهُمْ كَفَرُوا
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ
كَارِهُونَ﴾^(١)؟ فَمَنْ لَمْ يَهْتَدِ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ إِلَى سَبِيلِ النِّجَاةِ لَمْ يُغْنِ
عَنْهُ إِيْمَانُهُ بِاللَّهِ مَعَ دَفْعِ حَقِّ أَوْلِيَائِهِ، وَحَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ
الْخَاسِرِينَ، وَكَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قَلَمَ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا
بَاسَنَا﴾^(٢).

وَهَذَا كَثِيرٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْهِدَايَةُ هِيَ: الْوَلَايَةُ كَمَا قَالَ اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ
الْغَالِبُونَ﴾^(٣) وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ هُمُ الْمُؤْتَمِنُونَ عَلَى الْخَلَائِقِ
مِنَ الْخُجَّجِ وَالْأَوْصِيَاءِ فِي عَصْرِ بَعْدَ عَصْرِ، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ أَقَرَّ أَيْضاً مِنْ
أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِالشَّهَادَتَيْنِ كَانَ مُؤْمِناً، إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَانُوا يَشْهَدُونَ: أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيَتَذَقُّونَ عَهْدَ رَسُولِ اللَّهِ بِمَا عَاهَدَ بِهِ مِنْ
دِينِ اللَّهِ وَغَرَائِيبِهِ وَيَرَاهِينَ نُبُوتِهِ إِلَى وَصِيِّهِ، وَيُضْمِرُونَ مِنَ الْكَرَاهَةِ
لِذَلِكَ، وَالتَّقْضِ لِمَا أَبْرَمَهُ مِنْهُ عِنْدَ إِمْكَانِ الْأَمْرِ لَهُمْ، فِيمَا قَدْ بَيَّنَّهُ اللَّهُ
لِنَبِيِّهِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ
لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾^(٤).

(١) التوبة: ٥٤.

(٢) خافر: ٨٥.

(٣) المائدة: ٥٦.

(٤) النساء: ٦٥.

وَمِثْلَ قَوْلِهِ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (٢)، أَيْ لَتَسْلُكُنَّ سَبِيلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ فِي الْفُتْرِ بِالْأَوْصِيَاءِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ.

وَهَذَا كَثِيرٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَدْ شَقَّ عَلَى النَّبِيِّ مَا يَوُودُ إِلَيْهِ عَاقِبَةُ أَمْرِهِمْ، وَإِطْلَاعِ اللَّهِ إِيَّاهُ عَلَى بَوَارِهِمْ فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ: ﴿فَلَا تُلْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾ (٣)، ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٤).

أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَسَنَلَّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ فَهَذَا مِنْ بَرَاهِينِ نَبِيِّنَا الَّتِي آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا، وَأَوْجَبَ بِهِ الْحُجَّةَ عَلَى سَائِرِ خَلْقِهِ، لِأَنَّهُ لَمَّا خَتَمَ بِهِ الْأَنْبِيَاءَ، وَحَقَّلَهُ اللَّهُ رَسُولًا إِلَى جَمِيعِ الْأُمَمِ، وَسَائِرِ الْعِلَلِ، خَصَّهُ اللَّهُ بِالْإِزْقَاءِ إِلَى السَّمَاءِ عِنْدَ الْغُرَاجِ، وَجَمَعَ لَهُ يَوْمَئِذٍ الْأَنْبِيَاءَ، فَعَلِمَ مِنْهُمْ مَا أُرْسِلُوا بِهِ، وَحَمَلُوهُ مِنْ عَزَائِمِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ وَبَرَاهِينِهِ، وَأَقْرَأُوا جَمِيعًا بِفَضْلِهِ وَفَضْلِ الْأَوْصِيَاءِ وَالْحُجَجِ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِ وَفَضْلِ شَيْعَةِ وَصِيِّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ الَّذِينَ سَلَّمُوا لِأَهْلِ الْفَضْلِ فَضْلَهُمْ، وَلَمْ يَسْتَكْبِرُوا عَنْ أَمْرِهِمْ، وَعَرَفَ مَنْ أَطَاعَهُمْ وَعَصَاهُمْ مِنْ أَمْوِهِمْ، وَسَائِرِ مَنْ مَضَى وَمَنْ غَبَرَ، أَوْ مَنْ تَقَدَّمَ وَتَأَخَّرَ.

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) الإنشقاق: ١٩.

(٣) فاطر: ٨.

(٤) المائدة: ٦٨.

وَأَمَّا هَقَوَاتُ الْأَنْبِيَاءِ وَمَا بَيَّنَّهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ، وَوُقُوعُ الْكِنَايَةِ ... مِمَّنْ شَهِدَ الْكِتَابَ بِظُلُومِهِمْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَدَلِّ الدَّلَائِلِ عَلَى حِكْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْبَاهِرَةِ ، وَقُدْرَتِهِ الْقَاهِرَةِ ، وَعِزَّتِهِ الظَّاهِرَةِ لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّ بَرَاهِمِينَ الْأَنْبِيَاءِ تَكْثُرُ فِي صُنُورِ أُمُومِهِمْ ، وَأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَتَّخِذُ بَعْضُهُمْ إِلَهًا ، كَالَّذِي كَانَ مِنَ النَّصَارَى فِي ابْنِ مَرْيَمَ ، فَذَكَرَهَا دَلَالَةً عَلَى تَخَلُّفِهِمْ عَنِ الْكَمَالِ الَّذِي تَقَرَّرَ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ .

أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِهِ فِي صِفَةِ عَيْنَسَى حَيْثُ قَالَ - فِيهِ وَفِي أُمِّهِ - : ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ ^(١) ؟ يَغْنِي أَنْ مَنْ أَكَلَ الطَّعَامَ كَانَ لَهُ يُقْلُ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ يُقْلُ فَهُوَ بَعِيدٌ مِمَّا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى لِابْنِ مَرْيَمَ ، وَلَمْ يَكُنْ عَنْ أَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ تَبَجُّرًا ^(٢) أَوْ تَعَزُّرًا ^(٣) ...

إلى آخر ما أفاده الإمام في هذا الموضوع .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ .

وقَوْلُهُ : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ فَذَلِكَ كُلُّهُ حَقٌّ ، وَلَيْسَتْ حِجَّتُهُ جَلُّ ذِكْرِهِ كَجِجَةِ خَلْقِهِ فَإِنَّهُ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ .

وَمِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَكُونُ تَأْوِيلُهُ عَلَى غَيْرِ تَنْزِيلِهِ ، وَلَا يَشْبَهُ تَأْوِيلُهُ بِكَلَامِ الْبَشَرِ ، وَلَا فِعْلِ الْبَشَرِ ، وَسَائِنُكَ بِمِثَالِ لَذَلِكَ تَكْتَفِي بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَهُوَ حِكَايَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ قَالَ : ﴿ إِنِّي

(١) المائدة : ٧٥ .

(٢) البحر : الميب .

(٣) التعزير : اللوم والتأديب .

ذَاهِبْ إِلَى رَبِّي ﴿١﴾، فَذَهَابَهُ إِلَى رَبِّهِ تَوَجُّهُهُ إِلَيْهِ فِي عِبَادَتِهِ وَاجْتِهَادِهِ،
أَلَا تَرَى أَنَّ تَأْوِيلَهُ غَيْرُ تَنْزِيلِهِ - أَيِ غَيْرِ ظَاهِرِهِ - ؟ وَقَالَ: ﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ
مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾ (٢)، وَقَالَ: ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ
شَدِيدٌ ﴾ (٣) فَأَنْزَلَهُ ذَلِكَ خَلْقُهُ إِنَاءَهُ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ إِنْ كَانَ لِلرُّحَمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ (٤) أَيْ
الْجَائِدِينَ، وَالتَّأْوِيلُ فِي هَذَا الْقَوْلِ بَاطِنُهُ مُضَادٌّ لظَاهِرِهِ.

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿ قَهْلٌ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾
فَأَنَا خَاطِبٌ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ هَلْ يَنْتَظِرُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُشْرِكُونَ إِلَّا أَنْ
تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ فَيُعَايِنُوهُمْ ؟

﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾، يَعْني بِذَلِكَ أَمْرَ رَبِّكَ،
وَالْآيَاتُ هِيَ الْعَذَابُ فِي دَارِ الدُّنْيَا، كَمَا عَذَّبَ الْأَمَمَ السَّالِفَةَ، وَالْقُرُونُ
الْعَالِيَةُ.

وَقَالَ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ (٥)، يَعْني
بِذَلِكَ مَا يَهْلِكُ مِنَ الْقُرُونِ فَتَسْأَهُ إِثْبَانًا.

وَقَالَ: ﴿ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنْتَ يَوْفُكُونَ ﴾ (٦)، أَيْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ أَنْتَ يَوْفُكُونَ،
فَسَمَى اللَّعْنَةَ قِتَالًا.

(١) الصافات: ٩٩.

(٢) الزمر: ٦.

(٣) الحديد: ٢٥.

(٤) الزخرف: ٨١.

(٥) الرعد: ٤١.

(٦) المنافقون: ٤.

وَكَذَلِكَ قَالَ: ﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا كَفَرَهُ ﴾^(١)، أَي لَعِنَ الْإِنْسَانُ.

وَقَالَ: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾^(٢)، فَسَمِيَ فِعْلُ النَّبِيِّ ﷺ فِعْلاً لَهُ، أَلَا تَرَى تَأْوِيلَهُ عَلَى غَيْرِ تَنْزِيلِهِ؟

وَمِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴾^(٣) فَسَمِيَ الْبَغْثُ لِقَاءً.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾^(٤)، أَي يُوقِنُونَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ، وَاللِّقَاءُ عِنْدَ الْمُؤْمِنِ الْبَغْثُ وَعِنْدَ الْكَافِرِ الْمُعَايَنَةُ وَالنَّظَرُ.

وَيَأْخُذُ فِي إِبْضَاحِ هَذِهِ الْجَهَةِ أَنَّ الْمُرَادَ غَيْرَ التَّنْزِيلِ.

وَأَمَّا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ﴾^(٥) فَذَلِكَ حُجَّةُ اللَّهِ أَقَامَهَا عَلَى خَلْقِهِ، وَعَرَفَهُمْ أَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ مَجْلِسَ النَّبِيِّ إِلَّا مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ، وَلَا يَتْلُوهُ إِلَّا مَنْ يَكُونُ فِي الطَّهَارَةِ مِثْلَهُ، لَنَلَا يَتَسَبَّحَ لِمَنْ مِثْلُهُ حِسُّ الْكُفْرِ فِي وَقْتِ مِنَ الْأَوْقَاتِ انْتِحَالَ الْاسْتِحْقَاقِ بِمَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ...

وعرض الإمام عليه السلام بعض الأمور التي ترتبط بذلك.

وَأَمَّا الْأَمَانَةُ الَّتِي ذَكَرَتْهَا فِيهِ الْأَمَانَةُ الَّتِي لَا تَجِبُ وَلَا تَجُوزُ أَنْ تَكُونَ إِلَّا فِي الْأَنْبِيَاءِ وَأَوْصِيَائِهِمْ، لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اشْتَمَلَتْهُمْ عَلَى خَلْقِهِ،

(١) عبس: ١٧.

(٢) الأنفال: ١٧.

(٣) السجدة: ١٠.

(٤) البقرة: ٤٦.

(٥) هود: ١٧.

وَجَعَلَهُمْ حُجَجًا فِي أَرْضِهِ... إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَهُ.

وَأَمَّا مَا كَانَ مِنَ الْخُطَابِ بِالْإِنْفِرَادِ مَرَّةً وَبِالْجَمْعِ مَرَّةً، مِنْ صِفَاتِ الْبَارِي جَلَّ ذِكْرُهُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ عَلَى مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ بِالْإِنْفِرَادِ وَالْوَحْدَانِيَّةِ، هُوَ الثَّوَرُ الْأَزَلِيُّ الْقَدِيمُ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، لَا يَتَغَيَّرُ وَيَخْلُكُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ، وَلَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلَا مَا خَلَقَ زَادَ فِي مَلِكِهِ وَعِزِّهِ، وَلَا نَقَصَ مِنْهُ مَا لَمْ يَخْلُقْهُ، فَخَلَقَ مَا شَاءَ كَمَا شَاءَ، وَأَجْرَى فِعْلَ بَعْضِ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَيْدِي مَنْ اصْطَفَى مِنْ أَمَنَائِهِ، وَكَانَ فِعْلُهُمْ فِعْلُهُ، وَأَمْرُهُمْ أَمْرُهُ، كَمَا قَالَ: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ ^(١) وَجَعَلَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَعَاءً لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ لِيُمَيِّزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ، مَعَ سَابِقِ عِلْمِهِ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنْ أَهْلِهَا...

وتحدّث الإمام بصورة مستوعبة عن الإمامة وضرورتها وما يرتبط بالموضوع.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ ^(٢) فَالْمُرَادُ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا دِينَهُ لِأَنَّهُ مِنَ الْمُحَالِ أَنْ يَهْلِكَ مِنْهُ كُلُّ شَيْءٍ وَيَبْقَى الْوَجْهُ، هُوَ أَجَلٌ وَأَكْرَمٌ وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّمَا يَهْلِكُ مَنْ لَيْسَ مِنْهُ. أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ^(٣) ؟

وحوت المناظرة التالية على بعض البحوث التي لا يقرها العلم، وقد أعرضنا

عن ذكرها لاعتقادنا أنها من الموضوعات، ونكتفي بهذا المقدار منها ^(٤).

(١) النساء: ٨٠.

(٢) القصص: ٨٨.

(٣) الرحمن: ٢٦ - ٢٧.

(٤) ومن أراد الوقوف عليها فإنها في الاحتجاج للطبرسي ١: ٣٥٨ - ٣٨٤.

مع ابن الكوّاء

أمّا ابن الكوّاء ، فهو خبيث دنس قد اترعت نفسه بالزندقة والمروق من الدين ، وكان من سعة حلم الإمام عليه السلام وعظيم أخلاقه أن فسح المجال لهذا الوضر الخبيث بالتطاول عليه ، ولم يتخذ معه الإجراءات الصارمة فيعتقله أو ينفيه ، وقد آل أمر هذا الخبيث أن صار من عيون الخوارج ، فكان يجابه الإمام بالكلمات القاسية فيقول له : ﴿لَيْتَنِ أَشْرَكَتَ لَيَخْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾^(١).

فيجيبه الإمام الممتحن بقوله تعالى :

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾^(٢).

وعلى أي حال فقد جرت بين الإمام وابن الكوّاء عدّة مناظرات لم يكن غرض ابن الكوّاء الوقوف على الواقع والتعرّف على الحق ، وإنّما غرضه امتحان الإمام وازعاجه ، ومن بين تلك المناظرات ما يلي :

ابن الكوّاء : أخبرني عن بصير بالليل وبصير بالنهار ؟

وعن أعمى بالليل وأعمى بالنهار .

وعن أعمى بالليل وبصير بالنهار .

(١) الزمر: ٦٥.

(٢) الروم: ٦٠.

وعن أعمى بالنهار بصير بالليل ؟

الإمام :

« سَلْ عَمَّا يَغْنِيكَ وَلَا تَسْأَلْ عَمَّا لَا يَغْنِيكَ . وَذَلِكَ !

أَمَّا بَصِيرُ بِاللَّيْلِ وَبَصِيرُ بِالنَّهَارِ : فَهُوَ رَجُلٌ آمَنَ بِالرُّسُلِ وَالْأَوْصِيَاءِ الَّذِينَ مَضَوْا وَبِالْكِتَابِ وَالتَّيْسِينِ وَآمَنَ بِاللَّهِ وَنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَقْرَأَ لِي بِالْوَلَايَةِ ، فَأَبْصَرَ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ .

وَأَمَّا بَصِيرُ بِاللَّيْلِ أَعْمَى بِالنَّهَارِ : فَرَجُلٌ آمَنَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْكِتَابِ ، وَجَحَدَ النَّبِيَّ ﷺ وَأَنْكَرَ حَقًّا فَأَبْصَرَ بِاللَّيْلِ وَعَمِيَ بِالنَّهَارِ .

وَأَمَّا أَعْمَى بِاللَّيْلِ أَعْمَى بِالنَّهَارِ : فَرَجُلٌ جَحَدَ الْأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ مَضَوْا النَّبِيَّ مَضَتْ ، وَأَذْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ فَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ ، وَلَمْ يَقْرَأْ بِوَلَايَتِي ، فَجَحَدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَنَبِيَّهُ فَعَمِيَ بِاللَّيْلِ وَعَمِيَ بِالنَّهَارِ .

وَأَمَّا أَعْمَى بِاللَّيْلِ وَبَصِيرُ بِالنَّهَارِ ، فَرَجُلٌ جَحَدَ الْأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ مَضَوْا وَالْأَوْصِيَاءَ وَالْكِتَابَ ، وَأَذْرَكَ مُحَمَّدًا ﷺ فَأَمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَآمَنَ بِإِمَامَتِي ، وَقِيلَ وَلَا يَتِي ، فَعَمِيَ بِاللَّيْلِ وَأَبْصَرَ بِالنَّهَارِ .

وَذَلِكَ يَا ابْنَ الْكُوَاءِ ! نَحْنُ بَنُو أَبِي طَالِبٍ ، بِنَا فَتَحَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ ، وَبِنَا يَخْتِمُهُ » (١) .

ولم يكن ينبغي ابن الكوواء في هذه المناظرة الوقوف على الواقع والانتهال من سمير علوم الإمام ، وإنما كان ينبغي التبكيت بالإمام وامتحانه .

كان إمام المتقين على المنبر يخطب الناس ويوعظهم ، ويرشدهم إلى طريق الحق ، فأنبرى إليه ابن الكواء فقال له :

أخبرني عن ذي القرنين أنبيأ كان أم ملكاً ؟ وأخبرني عن قرنيه أمن ذهب كانا أم من فضة ؟

فأجابه الإمام :

« لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا وَلَا مَلَكًا ، وَلَمْ يَكُنْ قَرْنَاهُ مِنْ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ عَبْدًا أَحَبَّ اللَّهُ فَأَحَبَّهُ اللَّهُ ، وَنَصَحَ لِلَّهِ فَتَنَصَّحَ اللَّهُ لَهُ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ « ذَا الْقَرْنَيْنِ » لِأَنَّهُ دَعَا قَوْمَهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَضَرَبُوهُ عَلَى قَرْنَيْهِ فَغَابَ عَنْهُمْ حِينًا ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِمْ ، فَضَرَبَ عَلَى قَرْنَيْهِ الْآخَرِ ، وَفِيكُمْ مِثْلُهُ » ^(١).

يعني نفسه الشريفة ، فقد ضربه عمرو بن عبد ود على قرنيه الأول ، وضربه الزنيم الفاجر ابن ملجم ضربة أخرى على هامته ففلقها ، وكانت بها شهادته .

روى الأصمعي بن نباتة قال : كنت جالساً عند الإمام عليه السلام فجاء ابن الكواء ، فقال للإمام : من البيوت في قول الله عز وجل : ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ ^(٢) ؟

فقال الإمام عليه السلام :

« نَحْنُ الْبُيُوتُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا أَنْ تُؤْتَى مِنْ أَبْوَابِهَا ، نَحْنُ بَابُ اللَّهِ وَيُؤْتُوهُ الَّتِي يُؤْتَى مِنْهَا ، فَمَنْ تَابَعَنَا وَأَقْرَبَ بَوْلَاتِنَا فَقَدْ أَتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ،

(١) المصدر السابق ١ : ٣٤١ .

(٢) البقرة : ١٨٩ .

وَمَنْ خَالَفْنَا وَقَضَّلَ عَلَيْنَا غَيْرَنَا فَقَدْ أَتَى الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا .

فقال ابن الكواء : ﴿ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ﴾ ^(١) ؟

فأجابه الإمام ،

« نَحْنُ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ نَعْرِفُ أَنْصَارَنَا بِسِيمَاهُمْ ، وَنَحْنُ الْأَعْرَافُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفْنَا وَعَرَفْنَاهُ ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرْنَا وَأَنْكَرْنَاهُ ، وَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَوْ شَاءَ عَرَفَ لِلنَّاسِ نَفْسَهُ حَتَّى يَعْرِفُوهُ وَحَدَّهُ ، وَيَأْتُوهُ مِنْ بَابِهِ ، وَلَكِنَّهُ جَعَلْنَا أَبْوَابَهُ وَصِرَاطَهُ وَبَابَهُ الَّذِي يُؤْتَى مِنْهُ ، فَقَالَ - فَيَمَنْ عَدَلَ عَنْ وَلَا يَتَيْنَا وَقَضَّلَ عَلَيْنَا غَيْرَنَا فَإِنَّهُمْ ﴾ ^(٢) ^(٣) عَنِ الصِّرَاطِ لَنَسَاكِبُونَ » .

كان الإمام عليه السلام على المنبر يخطب الناس ، فأنبرى إليه ابن الكواء فقال له :
يا أمير المؤمنين ، ما الذاريات ذرواً ؟

« الرِّيحُ » .

ما الحملات وقرأ ؟

« السُّحَابُ » .

ما الجاريات يُسرأ ؟

« الشُّقْنُ » .

ما المقسمات أمرأ ؟

(١) الأعراف : ٤٦ .

(٢) المؤمنون : ٧٤ .

(٣) الاحتجاج : ١ - ٣٣٧ - ٣٣٨ .

«الْعَلَانَكَةُ» .

وجدت كتاب الله ينقض بعضه بعضاً .

«ثَكِلْتُكَ أُمَّكَ يَا بَنَ الْكَوَاءِ ! كِتَابُ اللَّهِ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً ، وَلَا يَنْقُضُ بَعْضُهُ بَعْضاً سَلْ عَنَّا بَدَا لَكَ» .

سمعته يقول : ﴿ رَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾ ^(١) .

ويقول : ﴿ رَبِّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبِّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ ^(٢) .

وقال في آية أخرى : ﴿ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ ^(٣) .

« يَا بَنَ الْكَوَاءِ ! هَذَا الْمَشْرِقُ وَهَذَا الْمَغْرِبُ » .

وأوماً إلى جهة المشرق والمغرب .

« وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ رَبِّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبِّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ فَإِنَّ مَشْرِقَ الشَّتَاءِ عَلَى جِدَّةٍ وَمَشْرِقَ الصَّيْفِ عَلَى جِدَّةٍ ، أَمَا تَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْ قُرْبِ الشَّمْسِ وَيُعْطِيهَا ؟

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ رَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾ ، فَإِنَّ لَهَا - أَيِ الشَّمْسِ - ثَلَاثَمِائَةٍ وَسِتِّينَ بُرْجاً ، تَطْلُعُ كُلُّ يَوْمٍ مِنْ بُرْجٍ وَتَغِيبُ فِي آخِرٍ ، فَلَا تَعُودُ إِلَيْهِ إِلَّا مِنْ قَابِلٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ » .

كم بين موضع قدمك إلى عرش ربك ؟

«ثَكِلْتُكَ أُمَّكَ يَا بَنَ الْكَوَاءِ ! سَلْ مُتَعَلِّماً وَلَا تَسْأَلْ مُتَعَتِّتاً ، مِنْ مَوْضِعٍ

(١) المعارج : ٤٠ .

(٢) الرحمن : ١٧ .

(٣) المزمّل : ٩ .

قَدِمِي إِلَى عَرْشِ رَبِّي أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ - مُخْلِصاً - : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

ما ثواب من قال : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟

« مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصاً طُمِسَتْ ذُنُوبُهُ كَمَا يَطْمَسُ الْحَرْفُ الْأَسْوَدُ مِنَ الرَّقِّ الْأَبْيَضِ ، فَإِنْ قَالَ ثَانِيَةً ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصاً خَرَقَتْ أَبْوَابُ السَّمَاوَاتِ وَصُفُوفُ الْمَلَائِكَةِ حَتَّى تَقُولَ الْمَلَائِكَةُ اخْشَعُوا لِعَظَمَةِ اللَّهِ ، فَإِذَا قَالَ ثَالِثَةً ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ - مُخْلِصاً - قُتِلَتْ دُونَ الْعَرْشِ ، فَيَقُولُ الْجَبَلُ : لَا غَيْرَ لِقَائِكَ بِمَا كَانَ فِيهِ ، ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ ^(١) اِرْتَفَعَ قَوْلُهُ وَكَلَامُهُ .

أخبرني عن قوس قزح ؟

« لَا تَقُلْ : قَوْسُ قَزَحٍ ، فَإِنَّ قَزَحاً اسْمُ شَيْطَانٍ ، وَلَكِنْ قُلْ : قَوْسُ اللَّهِ إِذَا بَدَأَ يَبْدُو الْخَضْبُ وَالرَّيْفُ » .

أخبرني عن أصحاب رسول الله ﷺ ؟

« عَنْ أَيْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ تَسْأَلُنِي ؟ » .

قال : أخبرني عن أبي ذر الغفاري ؟

« سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : مَا أَظْلَمَ الْخَضِرَاءُ ، وَلَا أَقْلَمَ الْغُبَرَاءُ ، ذَا لَهْجَةٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ » .

أخبرني عن سلمان الفارسي ؟

« بَعَثَ بَعْخُ سَلْمَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ ، وَمَنْ لَكُمْ بِمِثْلِ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ ؟ عَلِمَ عِلْمَ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ » .

أخبرني عن حذيفة بن اليمان ؟

« ذَاكَ أَمْرٌ عَلَّمَ أَسْمَاءُ الْمُتَأَفِّقِينَ ، إِنْ تَسْأَلُوهُ عَنْ حُلُودِ اللَّهِ تَجِدُوهُ بِهَا عَالِمًا » .

أخبرني عن عمار بن ياسر ؟

« ذَاكَ أَمْرٌ حَرَّمَ اللَّهُ لَحْمَهُ وَدَمَهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَمَسَّ شَيْئًا مِنْهَا » .

أخبرني عن نفسك ؟

« كُنْتُ إِذَا سَأَلْتُ أُعْطِيتُ ، وَإِذَا سَكَتُ ابْتُعِيتُ » .

أخبرني عن قول الله عز وجل : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ ^(١) ؟

« كَفَرَةُ أَهْلِ الْكِتَابِ ، الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ، وَقَدْ كَانُوا عَلَى الْحَقِّ فَابْتَدَعُوا فِي أَدْيَانِهِمْ ، وَهُمْ يَخْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُخْسِنُونَ ضَنْعًا » .

ثم نزل الإمام عن المنبر ، وضرب بيده على منكب ابن الكواء ، وقال له :

« يَا ابْنَ الْكُؤَاءِ ! مَا أَهْلُ النَّهْرَوَانِ مِنْكَ بِبَعِيدٍ ! » .

فقال ابن الكواء : ما أريد غيرك ، ولا أسأل سواك .

ولم تمض الأيام حتى كان ابن الكواء في مقدمة المحاربين للإمام يوم

النهروان ، فقيل له : بالأمس تسأل أمير المؤمنين وأنت اليوم تقاتله ؟

وانبرى إليه رجل فطعنه برمح فهلك عدو الله ^(٢) .

(١) الكهف : ١٠٣ .

(٢) الاحتجاج ١ : ٣٨٦ - ٣٨٨ .

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لأصحابه :

« سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، سَلُونِي عَنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، قَوْلَ اللَّهِ مَا نَزَلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فِي نَيْلٍ وَنَهَارٍ إِلَّا وَقَدْ أَقْرَأْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَلَّمَنِي تَأْوِيلَهَا » .

فقام إليه ابن الكواء فقال له : فما كان ينزل عليه وأنت غائب ؟

قال عليه السلام :

« كَانَ رَسُولُ اللَّهِ مَا كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهُ حَتَّى أَقِيمَ عَلَيْهِ ، فَإِذَا قَدِمْتُ عَلَيْهِ فَيَقْرَأْنِيهِ ، وَيَقُولُ لِي ، يَا عَلِيُّ ، أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بِعَذَلِكُ كَذَا وَكَذَا ، وَتَأْوِيلُهُ كَذَا وَكَذَا ، فَيُعَلِّمُنِي تَنْزِيلَهُ وَتَأْوِيلَهُ » ^(١) .

مع رجل

ارتقى الإمام عليه السلام المنبر في الكوفة ، وقال :

« سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَإِنَّا لَا أَسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ دُونَ الْعَرْشِ إِلَّا أَجَبْتُ عَنْهُ ، لَا يَقُولُهَا بَعْدِي إِلَّا مُدَّعٍ أَوْ كَذَّابٌ مُفْتَرٍ » .

فقام إليه رجل ، وفي عنقه كتاب كالمصحف وكان رجلاً آدم طويلاً ، جمعد الشعر كآله من يهود العرب ، فرفع صورته قائلاً :

أيُّها المدَّعي لما لا يعلم ... أنا سائلك فأجب ، فوثب إليه جماعة من شيعة الإمام لمعاقبته ، فنهرهم الإمام ، وقال لهم :

« دَعُوهُ وَلَا تَعْجَلُوهُ فَإِنَّ الْعَجَلَ وَالطُّغْيَانَ لَا يَقُومُ بِهِ حُجَّاجُ اللَّهِ ، وَلَا بِأَعْجَالِ السَّائِلِ تَطَهَّرْ بَرَاهِينَ اللَّهِ تَعَالَى » .

ثم التفت إلى السائل ، فقال له :

« سَلْ بِكُلِّ لِسَانِكَ وَمَتَلَبَّحْ عَلِمَكَ ، أُجِبُكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى بِعِلْمٍ لَا تَخْتَلِجُ فِيهِ الشُّكُوكُ ، وَلَا تُهَيِّجُهُ دَنَسُ رَيْبِ الزَّيْفِ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ » .

وانبرى الرجل سائلاً :

كم بين المشرق والمغرب ؟

« مَسَافَةُ الْهَوَاءِ » .

ما مسافة الهواء ؟

« دَوْرَانُ الْقَلَكِ » .

ما دوران القلک ؟

« مَسِيرَةُ يَوْمٍ لِلشَّمْسِ » .

صدقت .

متى القيامة ؟

« عِنْدَ حُضُورِ الْمَنِيَّةِ وَيُلَوِّغُ الْأَجَلَ » .

صدقت .

أين بكة من مكة ؟

« مَكَّةُ أَكْخَافِ الْحَرَمِ ، وَبَكَّةُ مَوْضِعِ الْبَيْتِ » .

لِمَ سَمِيَتْ مَكَّةُ ؟

« لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَكَ الْأَرْضِ - أَي مَدَّ الْأَرْضَ - مِنْ تَحْتِهَا » .

لِمَ سَمِيَتْ بَكَّةُ ؟

« لِأَنَّهَا بَكَتْ رِقَابَ الْجَبَّارِينَ ، وَأَغْنَقَ الْمُذْنِبِينَ » .

صدقت .

أين كان الله قبل أن يخلق عرشه ؟

« سُبْحَانَ مَنْ لَا تُدْرِكُ كُنْهَ صِفَتِهِ حَمَلَةُ عَرْشِهِ عَلَى قُرْبِ رِبَوَاتِهِمْ مِنْ

كُرْسِيِّ كَرَامَتِهِ ، وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ مِنْ أَنْوَارِ سُبُحَاتِ جَلَالِهِ .

وَيُنْحَكَ ! لَا يُقَالُ : اللَّهُ أَيْنَ ؟ وَلَا فِيمَ ؟ وَلَا أَيْ ، وَلَا كَيْفَ » .

صدق.

كم مقدار ما لبث عرشه على الماء من قبل أن يخلق الأرض والسماء ؟
« أَتُحْسِنُ أَنْ تُخْسِبَ ؟ » .

نعم .

« لَعَلَّكَ لَا تُحْسِنُ أَنْ تُخْسِبَ » .

بلى ، إني أحسن أن أحسب .

« أَرَأَيْتَ إِنْ صَبَّ حَرْدَلٌ فِي الْأَرْضِ حَتَّى يَسُدَّ الْهَوَاءَ ، وَمَا بَيْنَ الْأَرْضِ
وَالسَّمَاءِ ، ثُمَّ أُذِنَ لَكَ عَلَى ضَعْفِكَ أَنْ تَنْقُلَهُ حَبَّةٌ حَبَّةً مِنْ مِقْدَارِ الْمَشْرِقِ
إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَمُدٌّ فِي عُمُرِكَ ، وَأُعْطِيتَ الْقُوَّةَ عَلَى ذَلِكَ ، حَتَّى نَقَلْتَهُ
وَأَخْفَيْتَهُ لَكَانَ ذَلِكَ أَيْسَرَ مِنْ إِيْخْصَاءِ عَدَدِ أَغْوَامٍ مَا لَبِثَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ ، وَإِنَّمَا وَصَفْتُ لَكَ عَشْرَ عَشْرِ
الْعَشِيرِ مِنْ جُزْءٍ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ جُزْءٍ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنَ التَّغْلِيلِ
وَالْتَّخْدِيدِ » .

فبهر الرجل وراح يقول :

فَأَنْتَ أَضَلُّ الْعَالَمِ هَادِي الْهَدَى	تَجْلُو مِنَ الشُّكِّ الْغَيَابِيَا
حُزِرَتْ أَقَاصِي كُلِّ عِلْمٍ فَمَا	تُبْصِرُ إِنْ غُولِبَتْ مَقْلُوبَا
لَا تَثْنِي عَنْ كُلِّ أَشْكُولَةٍ	تُبْذِي إِذَا حُلَّتْ أَعَاجِيَا
لِلَّهِ دَرُّ الْعِلْمِ مِنْ صَاحِبٍ	يُطَلِّبُ إِنْسَانًا وَمَطْلُوبًا ^(١)

مع ذعلب

كان إمام المتقين عليه السلام على المنبر، وهو يدعو الناس إلى سؤاله قائلاً:

« سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْ سَأَلْتُمُونِي عَنْ آيَةٍ فِي لَيْلٍ أُنْزِلَتْ أَوْ فِي نَهَارٍ ، مَكِّيَّهَا وَمَدْيَنِيَّهَا ، سَفَرِيَّهَا وَحَضْرِيَّهَا ، نَاسِجِيَّهَا وَمَنْسُوجِيَّهَا ، وَمُخَكَّمِيَّهَا وَمُتَشَابِهِيَّهَا ، وَتَأْوِيلِيَّهَا وَتَنْزِيلِيَّهَا لَأَخْبِرَنَّكُمْ... » .

فانبرى إليه ذعلب ، وكان ذرب اللسان بليغاً ، شجاعاً فقال : لقد ارتقى ابن أبي طالب مرقاة صعبة لأخجلته اليوم لكم في مسألتي ، فرفع عقيرته قائلاً :

يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك ؟

فصاح به الإمام :

« وَيَلَلَك يَا ذُعْلَبُ لَمْ أَكُنْ بِالَّذِي أُعْبَدُ رَبًّا لَمْ أَرَهُ » .

كيف رأيته ؟ صفه لنا ؟

وأخذ الإمام في وصفه لله تعالى قائلاً :

« وَيَلَلَك ، لَمْ تَرَهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْآبْصَارِ ، وَلَكِنْ رَأَتْهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ .

وَيَلَلَك يَا ذُعْلَبُ ، إِنْ رَبِّي لَا يُوصَفُ بِالْبُعْدِ ، وَلَا بِالْحَرَكَةِ ، وَلَا بِالشُّكُونِ ،

وَلَا بِقِيَامٍ، قِيَامٍ انْتِصَابٍ، وَلَا بِجَنَّةٍ، وَلَا بِذَهَابٍ، لَطِيفُ اللَّطَافَةِ
لَا يُوصَفُ بِاللُّطْفِ، عَظِيمُ الْعَظَمَةِ لَا يُوصَفُ بِالْعَظَمِ، كَبِيرُ الْكِبَرِيَاءِ
لَا يُوصَفُ بِالْكِبَرِ...»^(١).

إلى آخر ما تفضل به في صفة المبدع العظيم، الذي لا يخضع لأوصاف
الممكنات التي يطرق عليها العدم، ويؤول أمرها إلى التراب.

لقد كان وصي رسول الله ﷺ، وباب مدينة علمه، متصدّياً لكل ما يرد على
الإسلام من أوهام فيكشفها ببالغ حججه، وعظيم برهانه.

مِنَّا ظُرْتُهَا
مَعَ الْمُنَجِّمِينَ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

أما علم النجوم فإنه من العلوم القديمة ، وقد ذهب فريق من علماء هذا القرن القدامى إلى أنَّ الكواكب حبة مريدة مختارة ، وأنَّ لها الاستقلال التام في جميع مجريات الأحداث ، بمعنى أنَّها العلة النائمة المؤثرة ، أو أنَّها شريكة في التأثير ، وهذا المعنى قد حرّمه الإسلام ولم يجزه ؛ لأنَّه صريح وواضح في إنكار الله تعالى خالق الكون وواهب الحياة ، وأنَّ جميع ما يجري في الكون من أحداث يستند إليه ، فالاعتقاد بأنَّ المؤثر هي الكواكب مروق من الدين ، قد أفتى فقهاء الإمامية بكفر من يذهب إلى ذلك^(١).

فقد ورد في بعض الأخبار أنَّ المنجّم بمنزلة الكاهن وهو بمنزلة الساحر الذي هو بمنزلة الكافر^(٢).

وعلى أي حال ، فإنَّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد أنكر هذا العلم بالمعنى الذي ذكرناه ، وشجب الآثار التي ذكروها له ، وكان من بين ما أثار عنه في ذلك ما يلي :

(١) القواعد للشهيد . جامع المقاصد . بحار الأنوار وغيرها .

(٢) المكاسب وغيرها .



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

مع منجم في بعض أسفاره

لما عزم الإمام عليه السلام على سفر له بادر إليه منجم ، فقال له : إن سرت في هذا الوقت خشيت أن لا تنظر بمرادك من طريق علم النجوم ...
فأنكر عليه الإمام ذلك وقال له :

« أَتَزْعُمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي مَن سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ الشَّوْءُ وَتُخَوِّفُ مِنَ السَّاعَةِ الَّتِي مَن سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ الضَّرُّ ، فَمَنْ صَلَّقَ بِهَذَا فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ ، وَاسْتَفْنَى عَنِ الْإِعَانَةِ بِاللهِ فِي تَيْلِ الْمَحْبُوبِ ، وَدَفَعَ الْمَكْرُوهَ » .

وأضاف الإمام قائلا :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا كُمْ وَتَعَلَّمُ النُّجُومَ إِلَّا مَا يُهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ ، فَإِنَّهَا تَدْهُو إِلَى الْكُهَانَةِ ، وَالْمُنَجِّمِ كَالْكَاهِنِ ، وَالْكَاهِنُ كَالشَّاجِرِ ، وَالشَّاجِرُ كَالْكَافِرِ ، وَالْكَافِرُ فِي النَّارِ ، سِيرُوا عَلَى اسْمِ اللهِ » ^(١) .

لقد نهى الإمام عليه السلام عن تعلم النجوم ، فإنها تدعو إلى الضلال ، وانصراف الإنسان نحوها ، واهراضه عن قدرة الله تعالى ومشيته .

مع منجم آخر

التقى الإمام عليه السلام مع منجم آخر نهاه عن المسير ، فقال له الإمام :

« أَتُنْذِرِي مَا فِي بَطْنِ هَذِهِ النَّاتِيَةِ أَذْكَرُ أَمْ أُنْشَى ؟ » .

فقال المنجم : إن حسبت علمت ...

فرمقه الإمام بطرفه ، وقال له :

« مَنْ صَدَّقَكَ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ ، فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ ، قَالَ اللَّهُ : ﴿ إِنْ اللَّهُ عِنْدَهُ

عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنْزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَنْذِرِي نَفْسُ مَاذَا

تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَنْذِرِي نَفْسُ بَأْسِي أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ ^(١) .

مَا كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ يَدْعِي مَا ادَّعَيْتَ ، أَتَزْعُمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ

سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ الشُّوءُ ، وَالسَّاعَةُ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ الشُّرُّ ؟

مَنْ صَدَّقَكَ بِهَذَا اسْتَفْنَى بِقَوْلِكَ عَنِ الاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ ، وَأَخْوَجَ إِلَى الرُّغْبَةِ

إِلَيْكَ فِي دَفْعِ الْمَكْرُوهِ عَنْهُ » ^(٢) .

ويستثنى من حرمة تعلم النجوم معرفة الأنواء الجوية التي تعرف بها الأوضاع

الفلكية كالخسوف الناشئ عن حيلولة الأرض بين النيرين ، والكسوف الناشئ عن

(١) لقمان : ٣٤ .

(٢) وسائل الشيعة ٨ : ٢٦٩ - ٢٧٠ .

حيلولة القمر بين الأرض والشمس ، فيكون القمر مانعاً عن رؤية الشمس ، فَإِنَّ تَعْلَمَ
النجوم من أجل هذه الغاية وماشابهها لا بأس به ولا محذور فيه .

وبهذا انطوى الحديث عن احتجاج الإمام عليه السلام ومناظراته ، وليست هي جميع
ما أثر عنه في هذا الميدان ، فقد حفلت مصادر التاريخ والحديث بالكثير منها ،
وقد آثرنا الإيجاز فيها وتركنا الباب مفتوحاً للمؤلفين عن الإمام عليه السلام .



مرکز تحقیقات کتب و تراث علوم اسلامی

الاحتجاجات

٥ فقرة

إِحْتِجَاجَاتُ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

٣٨-١١

- ١٥ احتجاجه على أبي بكر
- ٢٩ موقف أبي بكر
- ٣٠ احتجاجه على أبي بكر وحزبه
- ٣٢ مع عمر
- ٣٣ احتجاج الإمام على المهاجرين
- ٣٥ الإمام مع أعضاء الشورى
- ٣٦ إذهاب الإمام لمصلحة المسلمين
- ٣٨ احتجاج آخر للإمام

إِحْتِجَاجَاتُهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ

٦٦-٣٩

- ٤٣ لوعة الإمام من القرشيين

٤٧	احتجاجاته على طلحة والزبير
٤٩	مع عائشة
٥٠	مع طلحة والزبير
٥٢	مع معاوية
٥٣	إيفاد جرير إلى معاوية
٥٤	احتجازه على معاوية
٦٢	مع الخوارج
٦٢	احتجاج الإمام عليهم
٦٣	مناظرة الإمام معهم
٦٤	مناظرة أخرى للإمام معهم

مِناظَرَتُهُ مَعَ النِّصَّارِ

٨٤ - ٦٧

٧١	أسئلة الجاثليق
٧٥	أسئلة راهب
٧٨	مع الأسقف
٨١	مع قيصر الروم
٨٢	جواب الإمام

مِنَاظِرُهُمْ مَعَ الْيَهُودِ

١١٣ - ٨٥

- ٨٩ مع عالم يهودي
٩٢ مع جماعة من اليهود
٩٥ مع عالم يهودي

مِنَاظِرُهُمْ مَعَ الزِّنَادِقَةِ

١٥٦ - ١١٥

- ١١٩ مع زنديق
١٢٣ اجتماع العباد في مواطن
١٤٤ مع ابن الكواء
١٥٢ مع رجل
١٥٥ مع دغلب

مِنَاظِرُهُمْ مَعَ الْمُنَجِّمِينَ

١٦٣ - ١٥٧

- ١٦١ مناظراته مع المنجمين
١٦٢ مع منجم في بعض أسفاره